جوامع الجامع

جوامع الجامع

تأليف

أمين الإسلام أبي علي
الفضل بن الحسن الطبرسي
ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جواد السيد كاظم الحكيم

الجزء الأول

سورة الفاتحة - سورة النساء

راجعه واعتنى بنشره
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
WWW.MK.IQ
E.mail: media@mk.iq
الموبايل: ٠٠٩٦٤٧٧١١١٧٣١٠٨

الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، 468-548 هجري
جوامع الجامع / تأليف امين الإسلام ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ؛ تحقيق جواد السيد كاظم الحكيم.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، ١٤٣٩ هـ. = ٢٠١٧.
٦ مجلد : صور طبق الاصل ؛ ٢٤ سم
يتضمن نبذة مختصرة عن حياة المؤلف.
يتضمن مصادر وكشافات.
١. القرآن--تفاسير الشيعة--القرن ٦هـ. ألف. الحكيم، جواد كاظم--محقق. ب. العنوان.
BP130.4 .T33 2017
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب: جوامع الجامع
تأليف: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
تحقيق: جواد السيد كاظم الحكيم
راجعه واعتنى بنشره: قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
جهة الاصدار: العتبة العباسية المقدسة - قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
الطبعة: الأولى
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣٢١) لعام ٢٠١٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جمع جوامع كلامه في كتابه العزيز الحميد، الـذي ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾، وصلّى الله على نبيّه المبعوث لنشر كتابه، وعلى آله ذوي القربى، مبيّني آياته، وحجّاب بابه.

وبعد:

مهما بعُد المجتمع الإنسانيّ اليوم عن جادة الطريق تراه يتعطش إلى الغذاء الروحيّ، فهو المنهل له والـمَعين، والناس على اختلاف أديانهم ومشاربهم يسلكون طريق الدين بفطرتهم، فترى كتب الأديان السماويّة فيها حجّة للخلق بين اتِّباعها وعدم اتِّباعها، حجّة تجسدها الآية الشريفة ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾، والقرآن منها ظهرَ ﴿**لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾.

وقد ضمَّ القرآن الكريم ما بين (محكم ومتشابه، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، وأمر ونهي، وخاص وعام، و..)، وهدانا الله تعالى إليه بتبيانه عن لسان رسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، ثمّ وصل حديثهم عن طريق أولي العلم من خلقه، فضمّته التفاسير والمصنّفات.

و(جوامع الجامع) الكتاب الذي بين يديك للمفسِّر الجليل أمين الإسلام الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ) تفسير وسيط في

المقدار والحجم بين تفسيره الكبير(مجمع البيان)، وتفسيره الصغير(الكافي الشافي)، وقد ألّفه بعدهما، وانتخبه منهما بالتماس ولده الحسن بن فضل كما صرّح به في أوّله، وتممه في اثنى عشر شهرًا بعدد خلفاء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم ونقباء موسى عليه السلام ، فقد شرع فيه بتاريخ ١٨ من صفر سنة ٥٤٢هـ، وفرغ منه في ٢٤ من محرّم سنة ٥٤٣هـ، وهو من التفاسير التي أبقاها لنا الدهر، وصاغها جوهرة نتزيّن بها في حياتنا العلميّة والعمليّة.

ويسرُّ قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانية التابع للعتبة العبّاسيّة المقدسة أن يعنى بنشر التفسير هذا بحلته القشيبة، التي ازدانت بالتحقيق الرشيق المُعتمد على عدّة نسخ للكتاب، وعلى الفهارس الفنيّة التي تسهّل وصول الباحثين لمرادهم العلميّ، ونحن إذ نستبشر بطباعته اليوم، نقدّم جزيل شكرنا وامتناننا إلى فضيلة السيّد جواد السيّد كاظم السيّد محسن الحكيم على تحقيقه الكتاب، داعين له بالتوفيق الدائم والتسديد لتحقيق كتب أخرى من كتب التراث الإسلاميّ.

والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّدٍ وآله الطاهرين.

عمار الهلالي

رئيس قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

كربلاء المقدسة

٢٤/ ربيع الثاني/ ١٤٣٩ هـ

١٣ / ٣ / ٢٠١٨ م

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد..

فلما كان مؤلِّف الكتاب الشيخ أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ رحمه الله من عيون الطائفة وأجلّائها وأعلامها، الذين لا يكاد يخلو كتاب من كتب التراجم من ذكرهم، فقد كان عالماً، فاضلاً، فقيهاً، محدّثاً، نحويّاً، مفسّراً، أديباً، شاعراً، وبارزاً في علمي الحساب والجبر؛ لذلك رأيت أن أترجم له ترجمة مختصرة مع ذكر مصادرها لمن أراد التوسّع فيها[1].

(١) ينظر ترجمته: تاريخ بيهق للبيهقي، الفهرست لمنتجب الدين ابن بابويه، معالم العلماء لابن شهراشوب، إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي، نقد الرجال للتفريشي، كشف الظنون لحاجي خليفة، جامع الرواة للأردبيلي، أمل الآمل للحرّ العاملي، رياض العلماء للأفندي، تعليقة على منهج المقال للوحيد البهبهاني، منتهى المقال للمازندراني، مقابس الأنوار للتستري، روضات الجنات للخوانساري، إيضاح المكنون للبغدادي، معجم المطبوعات العربية لإليان سركيس، الكنى والألقاب للقمّي، أعيان الشيعة للأمين العاملي، الذريعة للطهراني، طبقات أعلام الشيعة للطهراني، الأعلام للزركلي، معجم رجال الحديث للخوئي، معجم المؤلّفين لكحالة، موسوعة طبقات الفقهاء للسبحاني، وغيرها.

نسبته:

أصله من طبرس، وهو منزل بين قاسان وأصفهان كما صرّح بذلك معاصره المؤرخ عليّ بن زيد البيهقيّ[١] في كتابه (تاريخ بيهق)[٢]، وقد ذهب الكثير من الباحثين إلى أنّ أصله من طبرستان[٣]، وهي بلاد مازندران الحالية.

ولادته:

لم تذكر المصادر المتوفّرة سنة ولادته بالتحديد، ولكن بملاحظة كتابيه (مجمع البيان) و(جوامع الجامع) يتضح أنّه ولد في العقد السابع من القرن الخامس الهجريّ، فقد ذكر في مقدّمة مجمع البيان: (أنّه ذرّف على الستين...) وقال في نهاية الجزء الأوّل منه: (أنّه فرغ من تأليفه سنة ٥٣٠هـ)، وقال في مقدّمة جوامع الجامع: (فلقد ذرّفت على السبعين سنيناً)، وقال في خاتمته: (وكان ابتدائي بتأليفه سنة ٥٤٢هـ)، ومن هذا يظهر أنّ ولادته كانت في أواخر الستينيات من القرن الخامس الهجريّ.

استوطن مدينة مشهد، وكان يختلف إلى تاج القراء الكرمانيّ ـ أحد علماء النحو والتفسير ـ ثمّ عاد إلى بيهق سنة ٥٢٣هـ، وأشرف على مدرسة (دروازه عراق)[٤].

---

(١) أبو الحسن علي بن زيد البيهقي، كان من العلماء الأعلام وله الكثير من المصنفات في مختلف العلوم كالفقه وأصوله وعلوم القرآن والأدب والطب وغيرها، ولد في سبزوار سنة ٤٩٩هـ، وتوفي سنة ٥٦٥هـ. ينظر: معجم الأدباء ج١٣: ٢١٩.

(٢) تاريخ بيهق: ٤٢٠.

(٣) ينظر: أعيان الشيعة ج٤٢: ٢٨٢، روضات الجنات ج١: ٦٤، رياض العلماء ج٤: ٣٥٧ وغيرها.

(٤) تاريخ بيهق: ٢٤٠.

شيوخه في الرواية:

ذكرت المصادر أنّه يروي عن جماعة من الأعلام، منهم:

١- السيّد أبو طالب محمّد بن الحسين الحسينيّ القصبيّ الجرجانيّ(١).

٢- السيّد أبو الحمد مهديّ بن نزار الحسينيّ القائينيّ(٢).

٣- الشيخ أبو عليّ الحسن ابن الشيخ الطوسيّ(٣).

٤- الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن عليّ المقرئ النيسابوريّ الرازيّ الملقّب بالمفيد(٤).

٥- الشيخ الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمّيّ الرازيّ المدعو (حسكا)، وهو جدّ الشيخ منتجب الدين ابن بابويه صاحب الفهرست(٥).

٦- الشيخ موفّق الدين الحسين بن أبي الفتح الواعظ البكر آباديّ الجرجانيّ(٦).

٧- الشيخ أبو الفتح عبيد الله(٧) بن عبد الكريم بن هوازن القشيريّ المتوفى

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٣٤٩.

(٢) مجمع البيان ج٣-٤: ١٥٩، ٥٣٤، ٢١٠، وغيرها.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج١: ١٣.

(٤) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٣٠٩، مجمع البيان ج ٥-٦: ٤١٣.

(٥) مكارم الأخلاق: ٥٠٦.

(٦) مكارم الأخلاق: ٥٠٦.

(٧) ذكرت المصادر التي تنقل رواية الصحيفة أنّه (عبد الله)، والظاهر أنّه تصحيف من النسّاخ، لأنّ عبد الله بن عبد الكريم أخا أبي الفتح عبيد الله يكنّى بـ(أبي سعد) وقد توفي سنة ٤٧٧هـ. ينظر: تاريخ نيسابور: ٤٤٥، الوافي بالوفيات ج١٧: ١٥٨.

سنة (٥٢١ هـ)[١]، حيث روى عنه صحيفة الرضا عليه السلام في سنة (٥٠١ هـ) داخل القبّة التي فيها قبر الإمام الرضا عليه السلام[٢].

٨- الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمّد بن أحمد البيهقيّ[٣].

٩- الحاكم الموفّق بن عبد الله العارف النوقانيّ[٤].

١٠- الشيخ أبو عبد الله جعفر بن محمّد الدوريستيّ[٥].

١١- الشيخ أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانيّ المعروف بـ(تاج القرّاء)[٦].

تلامذته والراوون عنه:

ذكرت المصادر جملة من تلامذته ومن روى عنه، وهم:

١- ولده الشيخ الجليل رضيّ الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسيّ[٧].

٢- الحافظ محمّد بن عليّ بن شهرآشوب المازندرانيّ[٨].

٣- الشيخ منتجب الدين عليّ بن عبد الله بن الحسن الملقّب بـ(حسكا)

---

(١) تاريخ نيسابور: ٤٦٦، ذيل تاريخ بغداد ج٢: ٥٤، الأنساب للسمعانيّ ج٤: ٥٠٣.

(٢) صحيفة الرضا عليه السلام: ٥٧.

(٣) مجمع البيان ج٧-٨: ٦٧، ٢٩٨.

(٤) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٣٢١.

(٥) قصص الأنبياء: ١٢٩.

(٦) تاريخ بيهق: ٤٢١، وفيه: أنّه كان يختلف إليه. علماً أنّ تاج القرّاء كان من العلماء وله تصانيف في النحو والتفسير. ينظر: ترجمته في معجم الأدباء ج١٩: ١٢٥، بغية الوعاة ج٢: ٤٤.

(٧) مكارم الأخلاق: ٢٨٠.

(٨) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

الرازيّ القمّيّ[1].

٤- السيّد الجليل الإمام ضياء الدين فضل الله بن عليّ بن عبيد الله الحسنيّ الراونديّ[2].

٥- الشيخ الإمام قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراونديّ، المعروف بـ(القطب الراونديّ)[3].

٦- السيّد عزّ الدين شرفشاه بن محمّد الحسينيّ الأفطسيّ النيسابوريّ من آل زبارة[4]، والذي سكن في النجف مجاوراً حتى مات بها، وإليه ينسب جبل شرفشاه في محلّة العمارة.

٧- الشيخ أبو محمّد عبد الله بن جعفر بن محمّد الدوريستيّ[5].

٨- الشيخ أبو الفضل شاذان بن جبرائيل القمّيّ[6].

٩- الشيخ برهان الدين محمّد بن محمّد بن عليّ القزوينيّ[7].

---

(١) الفهرست لمنتجب الدين: ٩٧.

(٢) مقابس الأنوار: ١٤.

(٣) قصص الأنبياء: ١٢٩.

(٤) رياض العلماء ج٤: ٣٤٢.

(٥) روضات الجنات ج٥: ٣٥٨.

(٦) رياض العلماء ج ٤: ٣٤٢.

(٧) لؤلؤة البحرين: ٣٤٦.

مصنفاته:

١- الآداب الدينيّة للخزانة المعينيّة[١]، (مطبوع).

٢- الاختيار من شرح الحماسة ـ الطائيّة ـ للمرزوقي[٢].

٣- الاختيار من المقتصد في النحو، لعبد القاهر الجرجانيّ[٣]، والذي شرح فيه كتاب الإيضاح لأبي عليّ الفارسيّ.

٤- إعلام الورى بأعلام الهدى[٤]، (مطبوع).

٥- تاج المواليد[٥]، (مطبوع).

٦- جوامع الجامع، وهو الكتاب الذي بين يديك.

٧- جواهر النحو[٦].

٨- عدّة السفر وعمدة الحضر[٧].

٩- غنية العابد ومنية الزاهد[٨].

١٠- الفائق[٩].

---

(١) معالم العلماء: ١٣٥ رقم ٩٢٠.

(٢) تاريخ بيهق: ٤٢١.

(٣) تاريخ بيهق: ٤٢١.

(٤) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

(٥) الفهرست لمنتجب الدين: ٩٧.

(٦) الذريعة ج٥: ٢٦٦.

(٧) الذريعة ج١٥: ٢٣٠.

(٨) الفهرست لمنتجب الدين: ٩٧.

(٩) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

١١ - الكاف الشاف من كتاب الكشاف[١].

١٢ - كنوز النجاح[٢].

١٣ - المؤتلف من المختلف[٣]، (مطبوع).

١٤ - مجمع البيان لعلوم القرآن[٤]، (مطبوع).

١٥ - النور المبين[٥].

وهناك بعض المصنّفات نُسبت له رحمه الله ولغيره، نذكر أهمّها:

١ - أسرار الإمامة[٦].

٢ - حقائق الأمور في الأخبار[٧].

٣ - العمدة في أصول الدين والفرائض والنوافل ـ بالفارسيّة ـ[٨].

٤ - معارج السؤول[٩].

٥ - نثر اللئالي[١٠]، (مطبوع).

---

(١) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

(٢) مهج الدعوات: ٢٩٤.

(٣) الذريعة ج٢٣: ٢٤٥.

(٤) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

(٥) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

(٦) الذريعة ج٢: ٤١.

(٧) الذريعة ج٧: ٣٠.

(٨) ينظر: الذريعة ج١٥: ٣٣٣.

(٩) روضات الجنات ج٥: ٣٦١.

(١٠) ينظر: الذريعة ج٢٤: ٥٣.

وغيرها[1].

وهناك مصنّفات نسبت له في بعض المصادر وثبت أنّها لغيره، مثل كتاب الاحتجاج للشيخ أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، وكتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكانيّ، وكتاب مشكاة الأنوار لحفيد المصنّف الشيخ عليّ بن الحسن بن الفضل الطبرسيّ. وجميعها مطبوعة.

شعره:

ذكر البيهقيّ في تاريخه: إنّ له أشعاراً كثيرة نظمها في عهد الصبا، وذكر بعضها في كتابه (الوشاح)[2] من جملتها:

إلهي بحقّ المُصْطَفى ووَصِيِّهِ ... وَسِبْطَيْهِ وَالسَّجَّادِ ذِي الثَّفَنَاتِ
وَبَاقِرِ عِلْمِ الأَنْبِيَاءِ وَجَعْفَرٍ ... وَمُوسى نَجِيِّ اللهِ فِي الخَلَواتِ
وَبِالطُّهْرِ مَوْلانَا الرِّضَا وَمُحَمَّدٍ ... تَلاهُ عَلِيٌّ خِيرَةِ الخِيَرَاتِ
وَبِالحَسَنِ الهَادِي وَبِالقَائِمِ الذِي ... يَقُومُ عَلى اسْمِ اللهِ بِالبَرَكَاتِ
أَنِلْنِي إلهي مَا رَجَوْتُ بِحُبِّهِمْ ... وَبَدِّلْ خَطِيئَاتِي بِهِمْ حَسَنَاتِ[3]

وله أيضاً:

أُطَيِّبُ يَوْمِي بِذِكْرَاكُمُ ... وَأُسْعِدُ نَوْمِي بِرُؤْيَاكُمُ
لَئِنْ غِبْتُمُ عَنْ مَغَانِيكُمُ ... فَإِنَّ فُؤَادِيَ مَغْنَاكُمُ

---

(١) ينظر: رياض العلماء ج٤: ٣٤٠- ٣٥٨.

(٢) هو كتاب وشاح دمية القصر للباخرزيّ، فرغ البيهقيّ من تصنيفه سنة ٥٣٥هـ. ينظر: معجم الأدباء ج١٣: ٢٢٩.

(٣) تاريخ بيهق: ٤٢٠.

فَلا بَـأسَ إنْ رَيْبُ دَهْرِيْ أتَى　　　بِـمَا لا يَـسُّرُ رَعَايَاكُـمُ
فَنَـصْر مِـنَ اللهِ يَأتِيكُـمُ　　　وَفَضْـلٌ مِـنَ اللهِ يَغْشَـاكُمُ
وَعَقْـدُ وِلائِـيْ لَكُمْ شَـاهِدٌ　　　بِـأَنِّيْ فَتَاكُـمْ وَمَوْلاكُـمُ
لَكُـمْ فِي جُدُودِكُـمُ أُسْـوَةٌ　　　إذا سَـاءَكُمْ عَيْـشُ دُنْيَاكُـمُ
وَكَـمْ مِثْلِهَا أُفْرِجَـتْ عَنْكُمُ　　　وَحُـطَّ بِهـا مِـنْ خَطايَاكُـمُ
كَـمَا صُفِّـيَ التِّـبْرُ فِي كُـورِهِ　　　كَذلِكُـمُ اللهُ صَفَّاكُـمُ

وله أيضاً:

قُـلْ لِلَّـذِي يَبْغِـي إلى قَـصْرِ العُلا　　　دَرَجَـاً عَـلى لَغَـبٍ بِـهِ وَقُصُـورِ
أَقْـصِر فَقَدْ خُلِـقَ المَحَامِـدُ وَالعُلا　　　لمحَمَّـدِ بـنِ أخـي العَـلا مَنْصُورِ
غَيْـثٍ إذا غِيـضَ المـكَارِمِ خِضْرِمٍ　　　لَيْـثٍ إذا حَمِـيَ الحِـمَامُ هَصُـورِ
وَتَقَاصَرَتْ أيْـدِيْ الوَرَى عَنْ مُبْتَغى　　　كَـرَمٍ عَلَيْهِ سُـوَى الـوَرَى مَقْصُورِ
لَـوْ عُـصْرَ مِـنْ خَدَّيْـهِ مَـاءُ حَيائِـهِ　　　قُـدِحَ العُـلا مِـنْ مَائِـهِ المعْصُورِ(١)

كما ورد في مقدّمة كتابه (مجمع البيان) ثلاثة أبيات في مدح جلال الدين أبي منصور محمّد بن يحيى الحسينيّ:

حَتَّـى يَحُوزَ مِنَ المُنـى غَايَاتِهَا　　　مُتَلَقِّيـاً بِيَمِينِـهِ رَايَاتِهَـا
وَيَفُـوزَ بِالآمالِ غَـيرَ مُدافِعٍ　　　يَتْلُـو عَلَيْـهِ سَـعْدُهُ آيَاتِهَـا
وَتَظَلُّ شَمْسُ المَجْدِ في سَاحَاتِهِ　　　تَجْلُو عَلَيْهِ جُرْمَهَا بِأَنَاتِهَا(٢)

(١) إنباه الرواة ج٣: ٦.

(٢) مجمع البيان ج١-٢: ١٠.

وجاء في مقدّمة كتابه (إعلام الورى بأعلام الهدى) هذه الأبيات في مدح الملك علاء الدولة عليّ بن شهريار:

لِأَنَّهَا الغَايَةُ القُصْوى التِي عَجَزَتْ ... عَنْ أنْ تَأَمَّلَ إدْرَاكاتِهَا الهِمَمُ
مَا تَسْتَحِقُّ مُلُوكُ الدَّهْرِ مَرْتَبَةً ... إلّا لِصَاحِبِهَا مِنْ فَوْقِهَا قَدَمُ
فَرَأْيُهُ إنْ دَجَا لَيْلُ الشُّكوكِ هُدىً ... وَظِلُّهُ إنْ خَطا صَرْفُ الرَّدَى حَرَمُ

كما ورد هذان البيتان في نفس المقدّمة في مدح الملك المذكور:

فَكُلُّ أرْوَعَ مِنْ آلِ النَّبِيِّ نَجِدْ ... جَذْلانَ يَرْفُلُ مِنْ نَعْماءَ في حُلَلِ
فَلَو أجَابَ كِتَابُ الله سَائِلَهُ ... مَنْ خَيْرِ هذا الوَرى لَمْ يُسْمِ غَيْرَ عَلي[1]

وفاته ومدفنه:

توفي بقصبة سبزوار ليلة العاشر من ذي الحجّة سنة ٥٤٨هـ، ونقل إلى مدينة مشهد ودفن في الموقع الذي يقال له (قتلكاه)، ثم نقل منه إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وقبره الآن معروف يزار ويتبرّك به، وقد أرّخ وفاته البروجرديّ في نخبة المقال[2]:

وَفَضْلُ بنُ الحَسَنِ بنِ الفَضْلِ ... أَبُو عَلِيٍّ الطَبْرَسِيُّ العَدْلِ
شَيْخُ ابنِ شَهْراشُوبَ عَنْهُ يَنْشرُ ... مُفَسِّرٌ عَامُ الوَفَاةِ (مَحْشَرُ)

٥٤٨هـ

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٧.

(٢) طبرسي ومجمع البيان ج١: ٢١٢.

مع الكتاب

ذكر المصنّف في مقدّمة الكتاب أنّه لما فرغ من تأليف كتابه (مجمع البيان في تفسير القرآن)، عثر على كتاب (الكشاف) للزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨هـ) واستفاد منه في تفسيره الثاني (الكافِ الشافِ)، ثمّ اقترح عليه ولده أبو نصر الحسن أن يؤلّف كتاباً ثالثاً يكون مجمع بينهما، فاستجاب لطلبه وصنّف تفسيره الثالث ـ كتابنا هذا ـ وأسماه (جوامع الجامع).

ومن الواضح أنّه لم يتخذ نفس المنهجيّة التي اتبعها في (مجمع البيان)، بل اتبع بشكل كامل منهجيّة صاحب الكشاف في ترتيبه، ولكنّه كان يختصر منه بشكل غير مخلّ، ليكون كما أراد كتاباً وسيطاً خفيف الحجم، كثير الغُنم.

فقد كان يذكر مجموعة من الآيات الشريفة ـ كما في الكشاف ـ ثمّ يعمد إلى شرحها مستعيناً بأقوال المفسّرين من الصحابة والتابعين وغيرهم، وزاد على الكشاف بنقل ما روي عن الأئمّة عليهم السلام في معنى الآية مورد التفسير.

كما يتطرّق إلى ألفاظ الآيات الكريمة من حيث المعنى اللغويّ، والنحو، والصرف، والبلاغة، والبيان، وفي هذا كان يتبع صاحب الكشاف في الأعم الأغلبّ، وكان يشير إلى مواضع الاختلاف معه، كما في تفسير الآية (٦) من سورة البقرة، والآية (٨٨) من سور الزخرف، والآيات (١٣-١٤) من سورة الإنسان.

كما تبع صاحب الكشاف في اعتماد بعض القراءات على غير رواية المصاحف المتداولة، ولم يعتمدها هو في (مجمع البيان)، مثل قوله تعالى: ﴿**يَقُصُّ الْحَقَّ**﴾[1]،

(١) الأنعام: ٥٧.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾[2] وغيرها.

أما بالنسبة لآيات الأحكام فقد كان يذكر ما روي عن الأئمّةعليهم السلام في ذلك، أو أقوال علمائنا بالحكم المفروض، إضافة إلى أقوال الشافعيّ وأبي حنيفة، ولم يذكر قول مالك إلا مرّة واحدة في حدّ السرقة في تفسير الآية (٣٨) من سورة المائدة .

أما بالنسبة لمسائل العقائد فقد كان يردّ على صاحب الكشاف بشكل علميّ مستدلّ بما يوافق الطريقة الحقّة، كما في تفسير الآية (٤٨) من سورة النساء، والآية (٦) والآية (٥٥) من سورة المائدة، والآية (٤٣) من سورة التوبة، والآية (١) من سورة التحريم، والآية (١) من سورة الكوثر.

النسخ المعتمدة في التحقيق :

اعتمدت في تحقيق الكتاب على النسخ الخطيّة التاليّة:

١ - النسخة المحفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامّة بالرقم ١٩٧٨ .

وهي نسخة حسنة الخط، وتشتمل على المجلد الأول من الكتاب ـ من المقدّمة إلى آخر سورة الكهف ـ كتبها سلطان حسن الحسينيّ القمّيّ المجاور بالنجف المقدّس في الحضرة الغرويّة المرتضويّة. وهي بدون تاريخ، وعليها تاريخ إنهاء كتبه السيّد جعفر بن أحمد الملحوس الحسينيّ[3] ما نصّه: (أنهاه دامت سيادته في عدة مجالس آخرها يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان

---

(١) الأعراف: ١٦٣.

(٢) يونس: ٢.

(٣) كان فقيهاً إمامياً كبيراً محققاً جليلاً، صنّف كتاب المنتخب وكتاب تكملة الدروس للشهيد الأوّل المتوفى سنة (٧٦٨هـ)، ولا يعرف تاريخ وفاته. ينظر: موسوعة طبقات الفقهاء ج٩: ٨٢.

وثلاثين وثمانمائة هجريّة نبويّة، وكتب الفقير إلى الله تعالى جعفر بن أحمد الملحوس الحسينيّ عفا الله عنه). ويظهر أنّ الإنهاء هو إنهاء قراءة الناسخ على السيّد الملحوس.

ويذكر أنّ الناسخ قام بكتابة نسخة من كتاب (تحرير الأحكام الشرعية) للعلامة الحليّ المتوفى سنة (٧٢٦هـ) بتاريخ شهر رجب سنة (٨٣٣هـ)(١)، ونسخة من كتاب (التنقيح الرائع) للمقداد السيوريّ المتوفى سنة (٨٢٦هـ) بتاريخ شهر ربيع الأول سنة (٨٣٤هـ)(٢).

وقد كتبت الآيات بالمداد الأحمر، وعلى النسخة هوامش كثيرة وبلاغات.

وتقع في ٢٠٤ ورقة، وقياسها ٢٧×١٨سم، وعدد أسطرها ٢٩.

وقد رمزت لها بالرمز (أ).

٢- النسخة المحفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامّة بالرقم ١٠٦٤.

نسخة حسنة الخط، كتبها ماجد بن مسعود بن شمس بن كمال المهزمي يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر ذي القعدة سنة (٩٨٥هـ).

وقد كتبت الآيات بالمداد الأحمر، وعلى النسخة هوامش توضيحية وكلمات نسخ البدل، وقد تضررت بدايتها ونهايتها بالرطوبة، والنسخة ناقصة الصفحة الأخيرة.

تقع في ٣٥٨ ورقة، وقياسها ٣٠×٢١سم، وعدد أسطرها ٢٧.

وقد رمزت لها بالرمز (ب).

٣- النسخة المحفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامّة بالرقم ٨٥٧.

---

(١) ينظر: فهرستواره دستنوشت هاي إيران (دنا) ج٢: ٨٣٧.

(٢) ينظر: فهرستواره دستنوشت هاي إيران (دنا) ج٣: ٣٦٨.

نسخة حسنة الخط مجهولة الناسخ، كتبت سنة (١٠٨١هـ).

وقد كتبت الآيات بالمداد الأحمر، والنسخة ناقصة الصفحة الأولى.

تقع في ٤٧٣ ورقة، وقياس ٢٥،٨×١٥،٥ سم، وعدد أسطرها ٢٧.

وقد رمزت لها بالرمز (ج).

٤- النسخة المحفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامّة بالرقم ١٩٥٢.

تشتمل على المجلد الثاني من سورة مريم إلى آخر الكتاب، وقد وضع خط على الآيات المفسَّرة، مجهولة الناسخ والتاريخ، عليها بعض الشروح والهوامش وكلمات نسخ البدل.

تقع في ٣٣٣ ورقة، وقياسها ٢٥،٣×١٩،٥سم، وعدد أسطرها ٢٣.

وقد رمزت لها بالرمز (د).

٥- النسخة المطبوعة بتحقيق السيّد محمّد عليّ القاضيّ الطباطبائيّ، والمطبوعة في إيران سنة ١٣٧٩هـ. وقد رمزت لها بالرمز (ط).

منهج التحقيق:

لقد حرصت أن يكون تحقيق الكتاب منصبّاً بالدرجة الأولى على الوصول لأقرب نصّ وضعه المصنّف رحمه الله، وبالدرجة الثانية على عدم إثقال الهامش من حيث التعليق، أو شرح الأبيات الشعريّة، أو بيان صحة الخبر من عدمه، أو بيان وثاقة الراوي من عدمها، وأمثال ذلك؛ لكي يكون كما أراده مصنّفه رحمه الله: (كتاباً وسيطاً خفيف الحجم، كثير الغُنم، لا يصعب حمله، ويسهل حفظه، ويكثر معناه وإن قلّ لفظه).

ولتحقيق هذا الأمر قمت بالخطوات التالية:

١- كتابة النص القرآنيّ المفسّر طبقاً للمصحف المتداول، وإن اعتمد المصنف ﷺ في بعض المواضع القراءات الأخرى كما أشرت إلى ذلك سابقاً. ولم أقم بإرجاع القراءات المختلفة التي نقلها المصنف ﷺ إلى قرّائها، اعتماداً على كونها مذكورة في كتاب (النشر في القراءات العشر) لابن الجزري.

٢- ضبط النص بمقابلة النسخ واستخلاص نسخة تلفيقية منها، مع الإشارة إلى مواضع الاختلاف الضروريّة بينها، والرجوع إلى (مجمع البيان) وإلى (الكشاف) للترجيح عند اختلاف النسخ، وأهملت ما لم يكن له تأثير بالمعنى حرصاً على عدم إثقال الهامش، ففي بعض النسخ ـ مثلاً ـ كلمة (سبحانه) بعد لفظ الجلالة، وفي أخرى (تعالى)، وفي الثالثة (عزّوجل)، أو عند ذكر النبيّ ﷺ، ففي بعضها (عليه السلام) وفي الأخرى (صلوات الله عليه) وفي الثالثة (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وأمثال ذلك.

٣- استخدام علامات الترقيم المتعارفة.

٤- تخريج الآيات الشريفة المستخدمة كشواهد من قبل المؤلِّف ﷺ.

٥- تخريج الأحاديث الشريفة والروايات والأخبار من مصادرها المعتبرة من كتب الفريقين قدر الإمكان.

٦- ترجمة مختصرة للأعلام المذكورين في الكتاب، مع ذكر مصادر الترجمة لكل منهم.

٧- بيان معنى الكلمات اللغويّة الصعبة والمبهمة من المصادر اللغويّة.

٨- إرجاع الأقوال المصرّح بأسماء قائليها الواردة في الكتاب إلى مصادرها، ونسبة الأقوال الأخرى إلى قائليها بالاعتماد على المصادر.

٩- إرجاع الأشعار والأراجيز المصرّح بأسماء قائليها الواردة في الكتاب إلى مصادرها، ونسبة الأخرى إلى قائليها بالاعتماد على المصادر.

١٠- تخريج الأمثال المذكورة في الكتاب.

١١- التعريف بشكل مختصر بأسماء البقاع والأماكن الواردة في الكتاب بالرجوع إلى مصادرها.

١٢- كتابة النسخة وفق القواعد الإملائيّة.

١٣- إعداد فهارس عامّة في آخر الكتاب تضمّنت فهرساً للأحاديث الشريفة والأخبار، وآخر للأعلام، وفهرساً للأمثال، وآخر للأبيات الشعريّة والأراجيز، وفهرساً للأماكن والبقاع...الخ.

١٤- ذكر المصادر المعتمدة في التحقيق.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجّه ببالغ الشكر والامتنان للعتبة العباسية المقدّسة ممثّلة بالمتولي الشرعي للعتبة سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه»، كما لا يفوتني تقديم الشكر لقسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية ورئيسه سماحة الشيخ عمار الهلالي «دام توفيقه» على جهودهم في مراجعة الكتاب وطبعه.

وفي الختام أرجو من القارئ الكريم التجاوز والصفح عما وقع فيه من الخلل والتقصير، كما أشكره تعالى شأنه على توفيقه لإكمال الكتاب، سائلاً منه أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم ألقاه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

جواد السيد كاظم الحكيم

النجف الأشرف

نماذج من المخطوطات

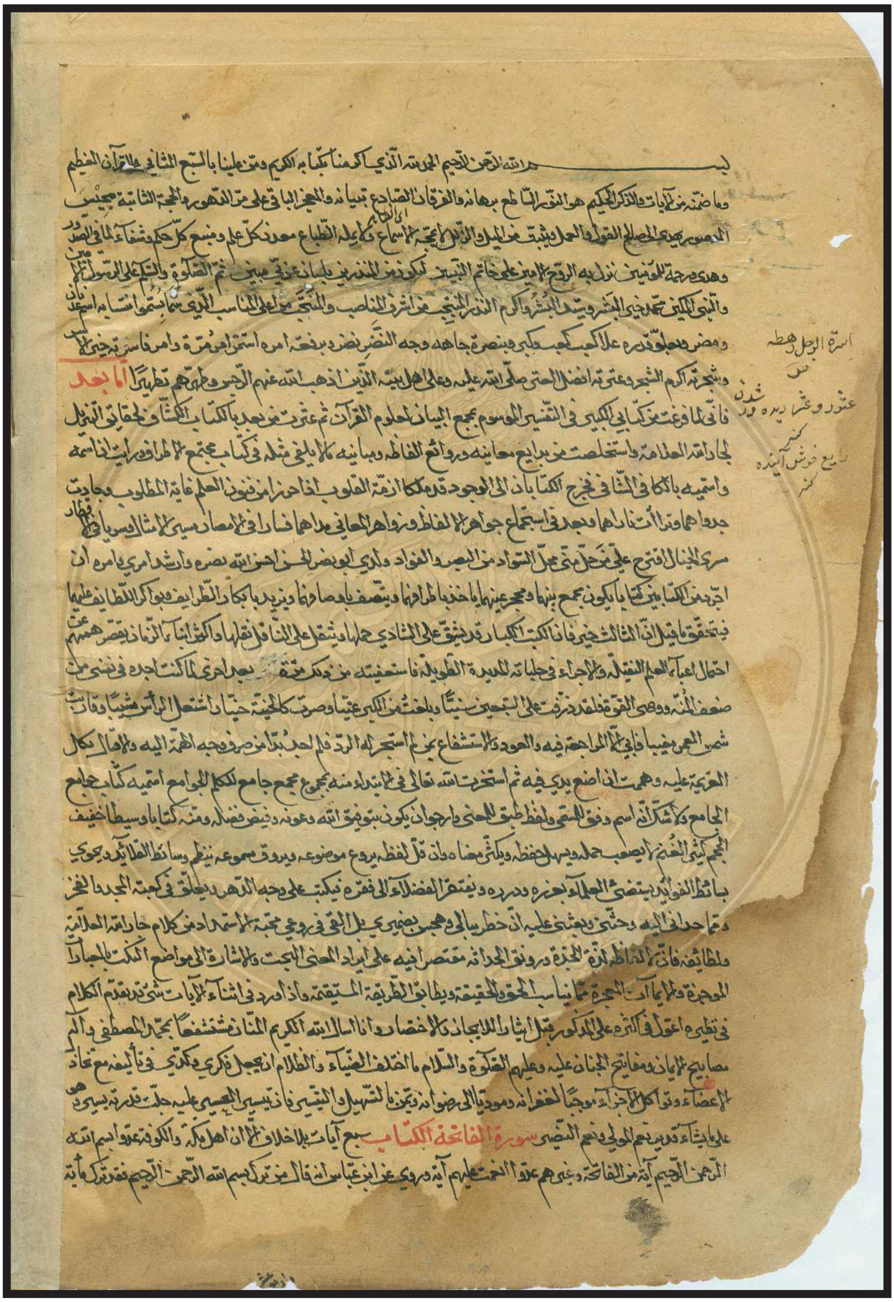

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة - أ -

كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً قل لو كان البحر
مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه
فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً الحول والتحول يقال حال من مكانه
حولاً كما قالوا عادني حبها عوداً اي لا يطلبون تحولاً عنها الى موضع آخر لكمال طيبها المداد اسم ما يمد به الدواة و
المعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها والمراد بالبحر الجنس لنفد البحر قبل ان تنفد الكلمات
ولو جئنا بمثل البحر مداداً لنفد ايضاً والكلمات لا تنفد ومدداً تمييز كقولك لي مثله رجلاً والمدد مثل المداد
وهو ما يمد به وقرئ ينفد بالياء فمن كان يرجوا اي يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول او فمن
كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصاً
لا يريد به غيره وعن النبي صلى الله عليه وآله قال قال الله عز وجل انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً اشرك
فيه غيري فانا منه بريء فهو للذي اشرك ص ما من احد يقراء آخر الكهف عند النوم الا يتيقظ في الساعة التي يريدها
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين ٥
تم المجلد الاول من الجوامع ولله الحمد والمنة وفرغ منه كاتبه بالحضرة الغروية
المرتضوية على مشرفها السلام الفقير الى الله العلي سلطان حسين الحسيني القمي
المجاور بالنجف المقدس حامداً لله تعالى ومصلياً على نبيه وآله وسلم
ويتلوه بالمجلد الثاني سورة مريم

الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة - أ -

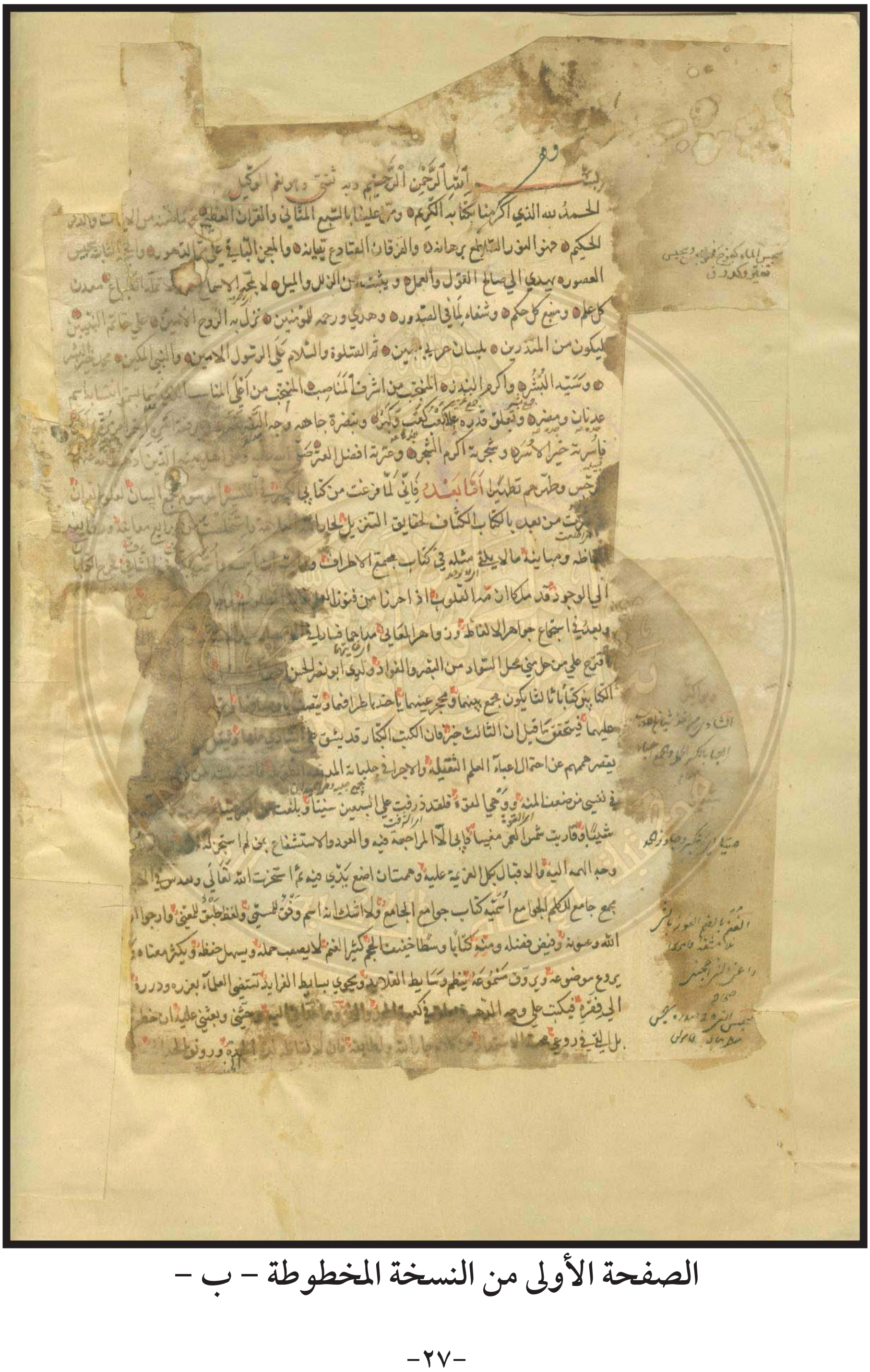

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي اكرمنا بكتابه الكريم ومنّ علينا بالسبع المثاني والقرآن العظيم

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة - ب -

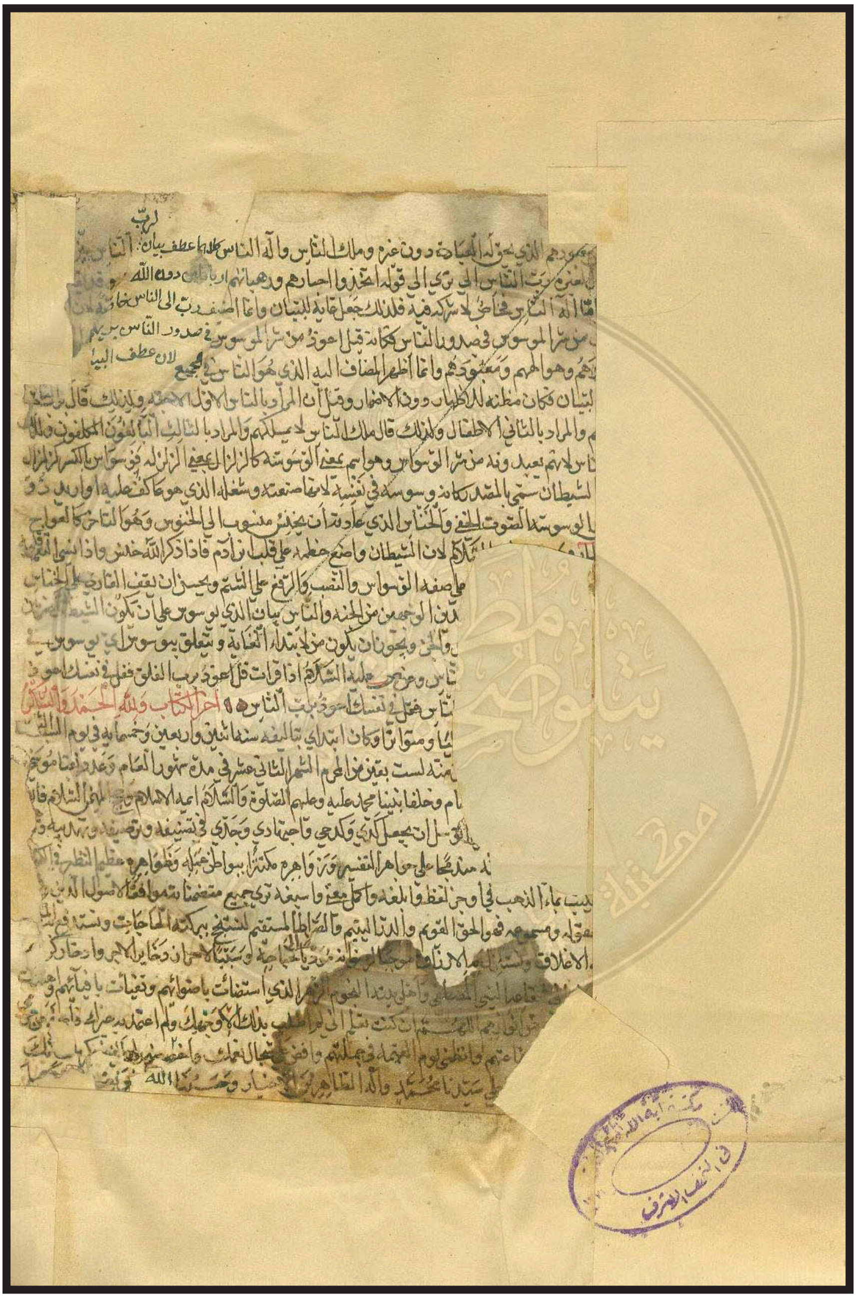

الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة – ب –

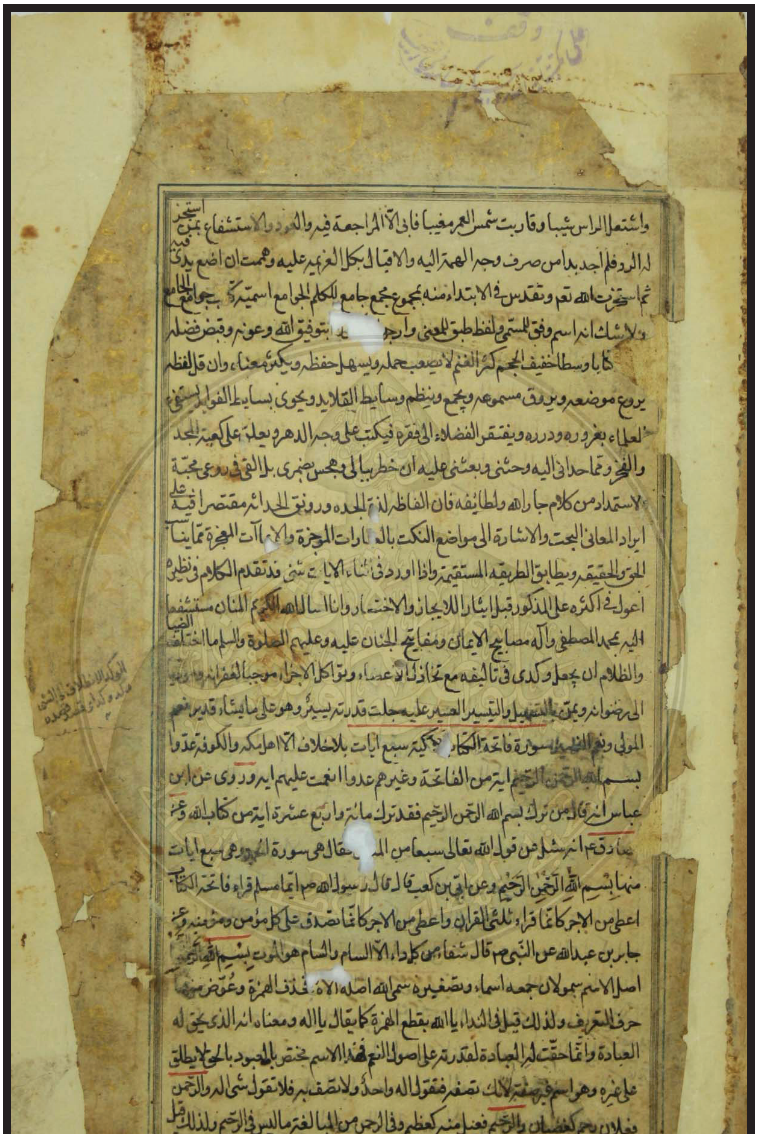

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة – ج –

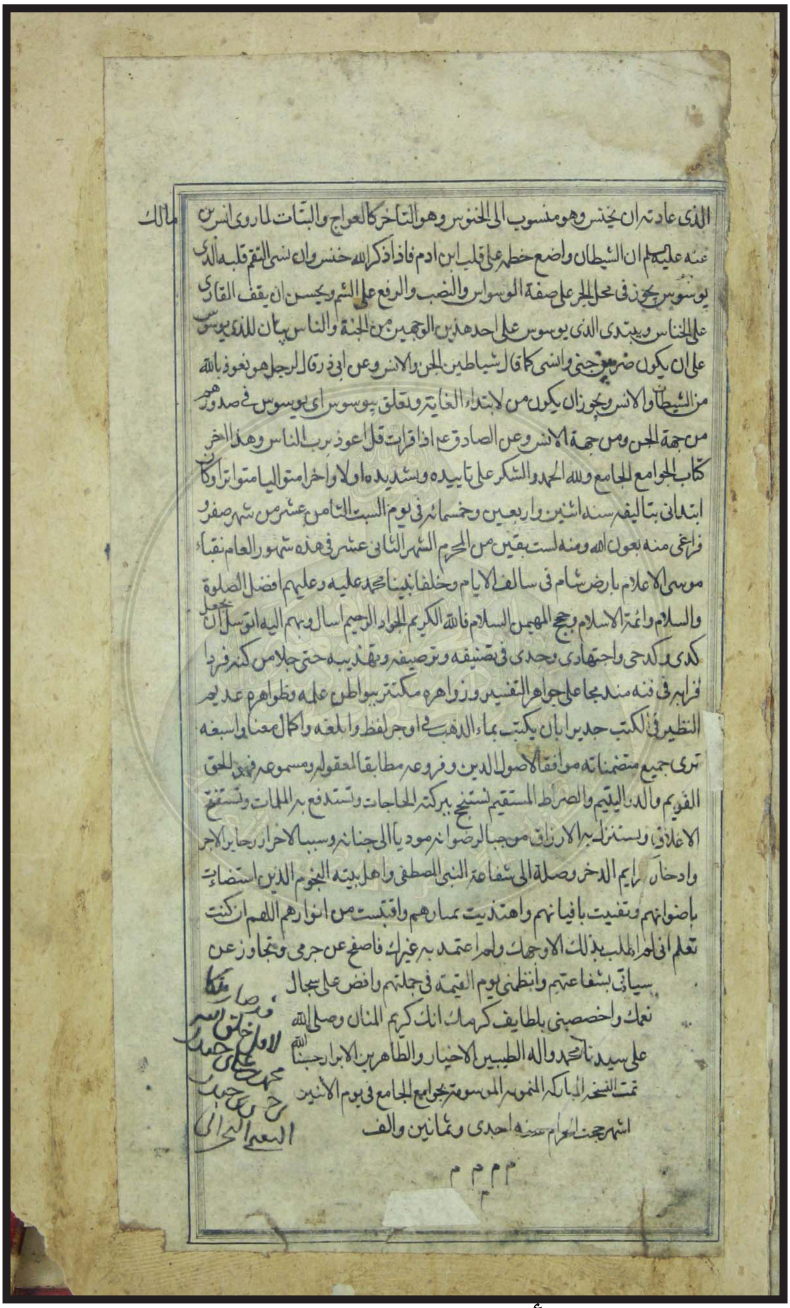
الذي عادته ان يخنس وهو منسوب الى الخنوس وهو التاخر كالعواج والبتات لما روى انس بن مالك
عنه عليه السلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه الذي
يوسوس يجوز في محل الجر على صفة الوسواس والنصب والرفع على الشتم ويحسن ان يقف القاري
على الخناس ويبتدى الذي يوسوس على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذي يوسوس
على ان يكون ضربين جني وانسي كما قال شياطين الجن والانس وعن ابي ذر قال الرجل هو تعوذ بالله
من الشيطان والانس ويجوز ان يكون من لابتداء الغاية وتعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم
من جهة الجن ومن جهة الانس وعن الصادق ع اذا قرات قل اعوذ برب الناس وهذا اخر
كتاب الجوامع الجامع ولله الحمد والشكر على تاييده وتسديده اولا واخرا متواليا متواترا وكان
ابتدائي بتاليفه سنة اثنين واربعين وخمسمائة في يوم السبت الثامن عشر من شهر صفر و
فراغي منه بعون الله ومنه لست بقين من المحرم الشهر الثاني عشر في هذه شهور العام نقباء
موسى الاعلام بارض شام في سالف الايام وخلفا نبينا محمد عليه وعليهم افضل الصلوة
والسلام وائمة الاسلام بحق المهيمن السلام فالله الكريم الجواد الرحيم اسال وبهم اليه اتوسل ان يجعل
كدي وكدحي واجتهادي وجدي في تصنيفه وترصيفه وتهذيبه حتى جلا من كنه فرائدا
فراهر في فنه منبهجا على جواهر التفسير وزواهره مكتنزا ببواطن علمه وظواهره عديم
النظير في الكتب جديرا بان يكتب بماء الذهب في اوجز لفظ وابلغه واكمل معنا واسبغه
ترى جميع متضمناته موافقا لاصول الدين وفروعه مطابقا المعقوله ومسموعه فهو للحق
القويم والدين القيم والصراط المستقيم نستنجح ببركته الحاجات ونستدفع به الملمات ونستفتح
الاغلاق ونستنزل به الارزاق موجبا للرضوان موديا الى الجنان وسببا لاحراز رجاير الاجر
وادخار رايم الذخر وصلة الى شفاعة النبي المصطفى واهل بيته النجوم الذين استضات
باضوائهم وتفيئت بافيائهم واهتديت بمنارهم واقتبست من انوارهم اللهم ان كنت
تعلم اني لم اطلب بذلك الا وجهك ولم اعتمد به غيرك فاصفح عن جرمي وتجاوز عن
سيئاتي بشفاعتهم وانظمني يوم القيمة في جملتهم وافض علي سجال
نعمك واخصصني بلطايف كرمك انك كريم المنان وصلى الله
على سيدنا محمد واله الطيبين الاخيار والطاهرين الابرار حسبنا الله
تمت النسخة المباركة المنوهة الموسومة بجوامع الجامع في يوم الاثنين
اشهر جمادى الحرام سنة احدى وثمانين والف

م م م م
م

الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة – ج –

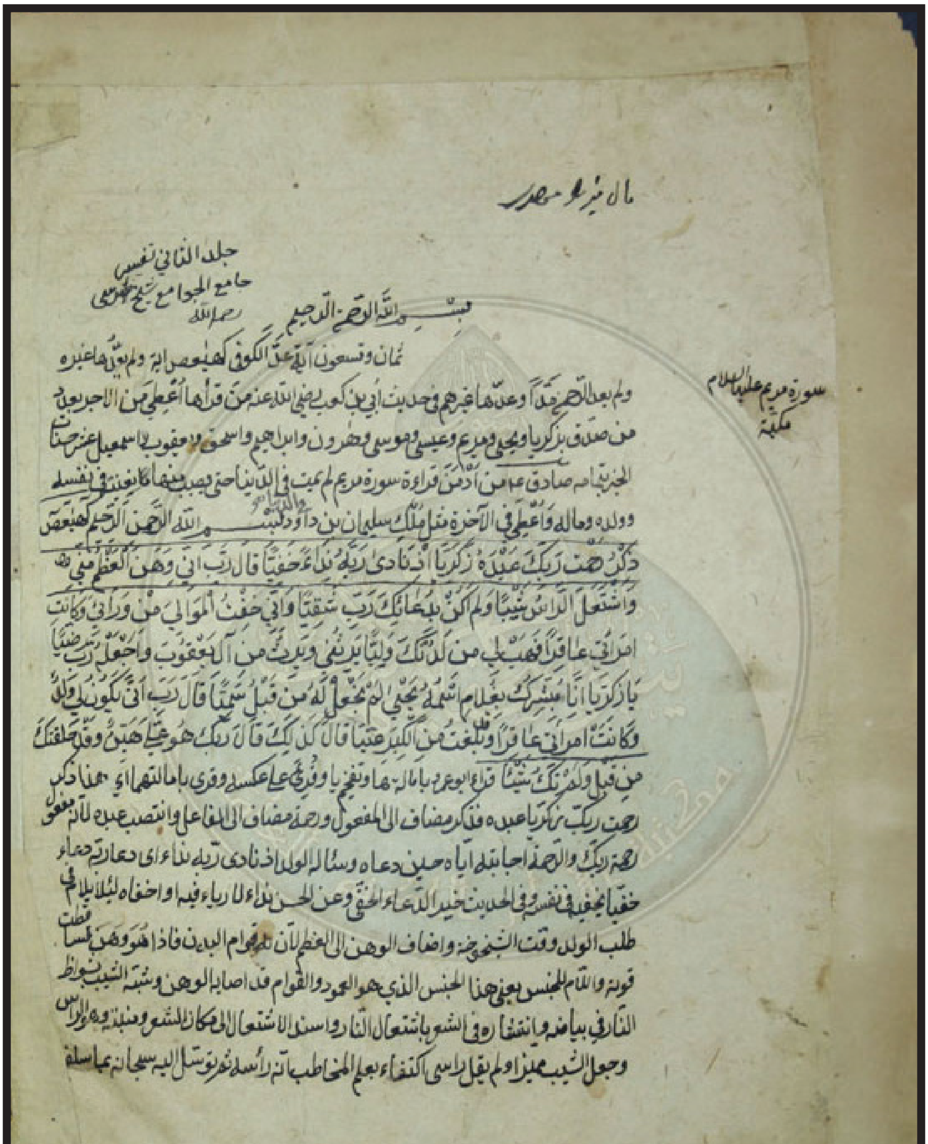
جلد الثاني تفسير جامع الجوامع للشيخ الطبرسي رحمه الله

سورة مريم عليها السلام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ثمان وتسعون آية عد الكوفي كهيعص آية ولم يعدها غيره
ولم يعد الرحمن مدا وعدها غيرهم وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه من قرأها أعطي من الأجر بعدد
من صدق بزكريا ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهرون وإبراهيم وإسحق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات
الخبر وعن الصادق عليه السلام من أدمن قراءة سورة مريم لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه
وولده وماله وأعطي في الآخرة مثل ملك سليمان بن داود بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص
ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إني وهن العظم مني
واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت
امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا
يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لي ولد
وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا قرأ أبو عمرو بإمالة ها وتفخيم يا وقرئ على عكسه وقرئ بإمالتهما أي هذا ذكر
رحمت ربك زكريا عبده فذكر مضاف إلى المفعول ورحمة مضاف إلى الفاعل وانتصب عبده لأنه مفعول
رحمة ربك والرحمة إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد إذ نادى ربه نداء أي دعاه دعاء
خفيا مخفيا في نفسه وفي الحديث خير الدعاء الخفي وعن الحسن نداء لا رياء فيه وأخفاه لئلا يلام في
طلب الولد وقت الشيخوخة وأضاف الوهن إلى العظم لأن بها قوام البدن فإذا هو وهن تساقطت
قوته واللام للجنس يعني هذا الجنس الذي هو العمود والقوام قد أصابه الوهن وشبه الشيب بشواظ
النار في بياضه وانتشاره في الشعر باشتعال النار وأسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس
وجعل الشيب مميزا ولم يقل رأسي اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأسه ثم توسل إليه سبحانه بما سلف

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة – د –

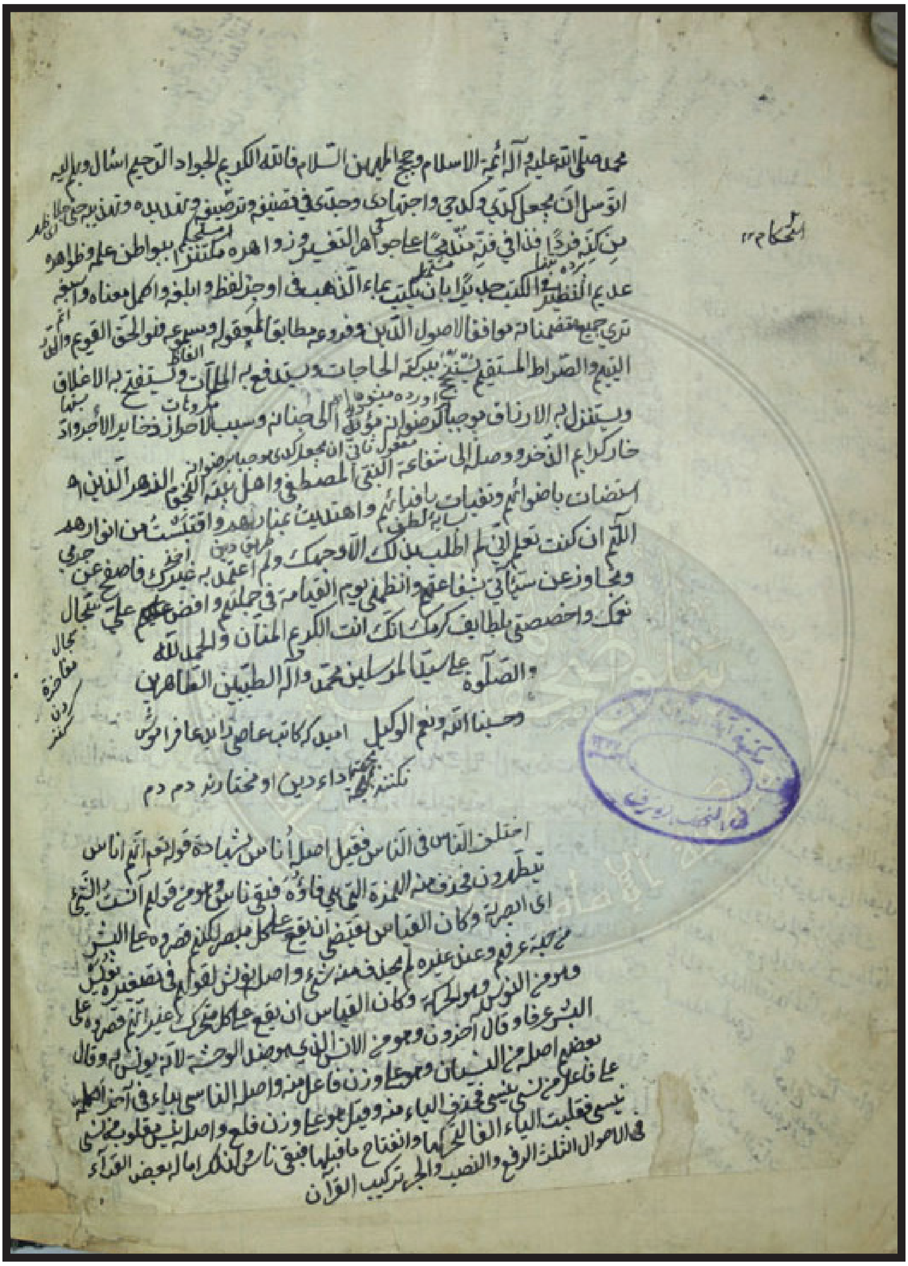

الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة – د –

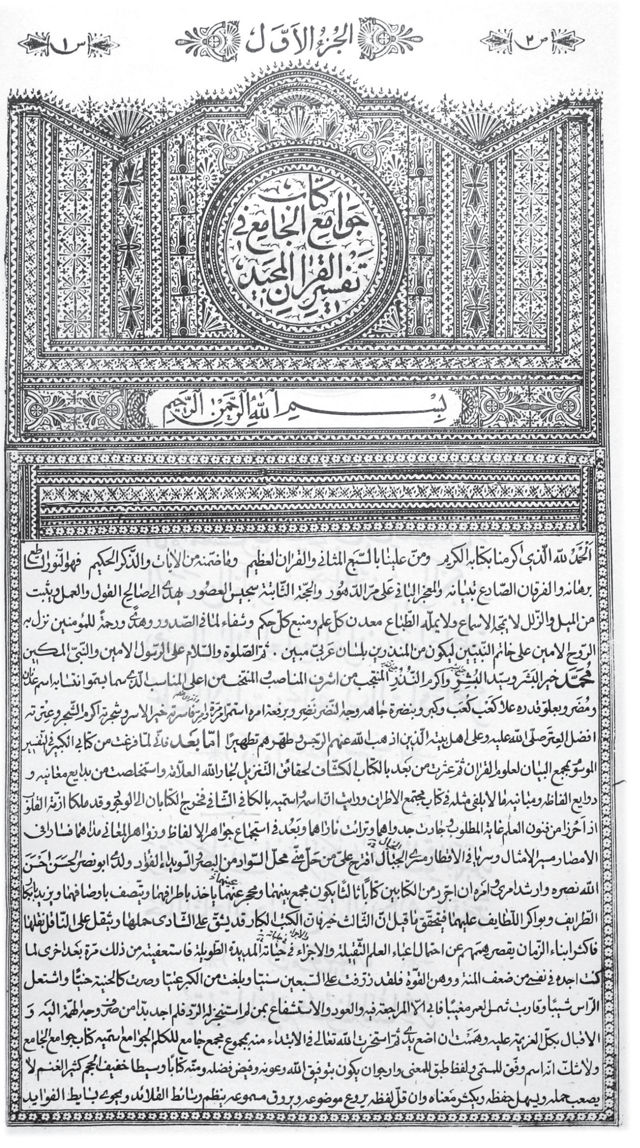

٣ الجزء الاول ١

كتاب جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اكرمنا بكتابه الكريم ومنّ علينا بالسبع المثاني والقرآن العظيم وما ضمنه من الآيات والذكر الحكيم فهو النور الساطع برهانه والفرقان الصادع تبيانه والمعجز الباقي على مرّ الدهور والحجة الثابتة بحبس العصور يهدي الى صالح القول والعمل ويثبت من الميل والزلل لا يمجه الاسماع ولا يملّه الطباع معدن كل علم ومنبع كل حكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين نزل به الروح الامين على خاتم النبيين ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين . ثم الصلوة والسلام على الرسول الامين والنبي المكين محمد خير البشر وسيد البشير واكرم النذير المنتجب من اشرف المناصب المنتخب من اعلى المناسب الذي سما بسموّ انتسابه اسم عدنان ومضر وبعلو قدره علا كعب كعب وكبر وبنصرة جاهه وجد لنضر نضر وبرفعة امره استمر امر مرة وامر فاستمرته خير الاسر وشجرته اكرم الشجر وعترته افضل العتر صلى الله عليه وعلى اهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اما بعد فاني لما فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بمجمع البيان لعلوم القرآن ثم عثرت من بعد بالكتاب الكشاف لحقائق التنزيل لجار الله العلامة واستخلصت من بدايع معانيه وروايع الفاظه ومبانيه ما لا يلفى مثله في كتاب مجمع الاطراف ورايت ان اسمه واسميه بالكافي الشافي فخرج الكتابان الى الوجود وقد ملكا ازمة القلوب اذ احرزا من فنون العلم غاية المطلوب وجادت جداولهما وترائت نازاهما وبعد في استجماع جواهر الالفاظ وزواهر المعاني مداهما فسار في الامصار مسير الامثال وسريا في الاقطار مسرى الجبال اقترح علي من حل مني محل السواد من البصر والسويداء الفؤاد ولدي ابو نصر الحسن احسن الله نصره وارشد امري امره ان اجرّد من الكتابين كتابا ثالثا يكون مجمع بينهما ومحجر عينهما ياخذ باطرافهما ويتصف باوصافهما ويزيد بابكار الطرايف وبواكر اللطايف عليهما فيتحقق ما قيل ان الثالث خير فان الكتب الكبار قد يشق على الشادي حملها ويثقل على الناقل نقلها فاكثر ابناء الزمان يقصر هممهم عن احتمال اعباء العلم الثقيلة والاجزاء في خياتة المديدة الطويلة فاستعفيته من ذلك مرة بعد اخرى لما كنت اجده في نفسي من ضعف المنة ووهن القوة فلقد ذرفت على السبعين سنيا وبلغت من الكبر عتيا وصرت كالحنية حنيا واشتعل الراس شيبا وقارب شمل العمر مغيبا فابى الا المراجعة فيه والعود والاستشفاع بمن لم استنجح له الرد فلم اجد بدا من صرف وجه الهمة اليه والاقبال بكل العزيمة عليه وهممت ان اضع يدي ثم استخرت الله تعالى في الابتداء منه بمجموع مجمع جامع للكلم الجوامع سميته كتاب جوامع الجامع ولا اشك انه اسم وفق للمسمى ولفظ طبق للمعنى وارجو ان يكون بتوفيق الله وعونه وفيض فضله ومنّه كتابا وسيطا خفيف الحجم كثير الغنم لا يصعب حمله ويسهل حفظه ويكثر معناه وان قل لفظه يروع موضوعه ويروق مسموعه بنظم وسائط القلائد ويحوي بسايط الفوائد

الصفحة الأولى من النسخة المطبوعة – ط –

س ١١٤ — سورة الناس — ص ٥٥٧

الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤ قالوا في المثل أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح وهو فعل بمعنى مفعول
والمعنى قل اعتصم وامتنع برب الصبح ومدبره ومطلعه قيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر
والارحام عن الاولاد وقيل هو جب في جهنم اي واد فيها كما قيل للمطمئن من الارض فلق مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ اي من شر الاشياء التي خلقها الله تعالى من المكلفين
وافعالهم من المعاصي والمضار والظلم والبغي وغير ذلك وغير المكلفين وما يحصل منهم من الاكل والنهش واللدغ والعض وما وضعه الله في غيرها
من انواع الضرر كالاحراق بالنار والقتل في السم وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ وهو الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ ووقوبه دخول ظلامه في
كل شيء يقال وقبت الشمس اذا غابت في الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلوة المغرب وخص الليل بذلك لان
انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه اصعب قالوا الليل اخفى للويل والنفاثات النساء او النفوس والجماعات السواحر اللواتي يعقدن عقداً في
خيوط وينفثن عليها ويرقين وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ اي اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره له
يتعد منه شر الى من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالماً اشبه بالمظلوم من الحاسد وقيل معناه من شر نفس
الحاسد وعينه فانه ربما اصاب بهما وعاب ضرر وعن انس ان النبي صلى الله عليه وآله قال من رأى شيئاً يعجبه فقال الله الله ما شاء الله لا قوة الا
بالله لم يضره شيئاً

(سورة الناس مختلف فيها ست آيات)

عن الباقر عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله اشتكى فاتاه جبرئيل وميكائيل فقعد جبرئيل عليه السلام عند راسه وميكائيل عند رجليه فعوذه جبرئيل بقل اعوذ
برب الفلق وميكائيل بقل اعوذ برب الناس وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان كثيراً ما يعوذ الحسن والحسين عليهما السلام بهاتين السورتين

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَٰهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي
يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ برب الناس خالقهم ومنشئهم ومدبرهم ملك الناس
سيدهم والقادر عليهم إله الناس معبودهم الذي يحق لهم العبادة دون غيره وملك الناس وإله الناس كلاهما عطف بيان لرب الناس بين بملك الناس
ثم زيد بيانا بإله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس الا ترى الى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله وقد يقال ملك الناس فاما إله
الناس فخاص لا شركة فيه فلذلك جعل غاية للبيان وانما اضيف رب الى الناس خاصة لان الاستعاذة انما وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه
قال اعوذ من شر الموسوس في صدور الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم وانما اظهر المضاف اليه الذي هو الناس في الجميع لان عطف
البيان انما هو للكشف والبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار وقيل ان المراد بالناس الاول الاجنة ولذلك قال برب الناس لانه يربيهم والمراد
بالثاني الاطفال ولذلك قال ملك الناس لانه يملكهم والمراد بالثالث البالغون المكلفون ولذلك قال إله الناس لانهم يعبدونه من شر الوسواس
هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله
الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي والخناس الذي عادته ان يخنس وهو منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج البتات
لما روى انس بن مالك عنه صلى الله عليه وآله ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه الذي يوسوس يجوز في محله
الجر على صفة الوسواس والنصب والرفع على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان
للذي يوسوس على ان يكون الشيطان ضربين جني وانسي كما قال شياطين الجن والانس وعن ابي ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان
الانس ويجوز ان يكون من لابتداء الغاية وتعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وعن الصادق عليه السلام اذا قرأت
قل اعوذ برب الفلق فقل في نفسك اعوذ برب الفلق واذا قرأت قل اعوذ برب الناس فقل في نفسك اعوذ برب الناس

(هذا آخر الكتاب)

ولله الحمد والشكر على تأييده وتسديده اولاً وآخراً متوالياً متواتراً وكان ابتدائي بتأليفه سنة اثنتين واربعين وخمسمائة في يوم السبت
الثامن عشر من صفر وفراغي منه بعون الله ومنه لست بقين من المحرم الشهر الثاني عشر في مدة شهور العام وعدة نقباء موسى الاعلام بارض الشام في
سالف الايام وخلفاء نبينا محمد عليه وعليهم السلام ائمة الاسلام وحجج المهيمن السلام فالله الكريم الجواد الرحيم اسأل وبهم اليه اتوسل ان
يجعل كدي وكدحي واجتهادي وجدي في تصنيفه وترصيفه وتهذيبه حتى جاء من كنه فريداً فذاً في فنه منبهاً على جواهر التفسير و
زواهره مكثراً ببواطن عمله وظواهره عديم النظير في الكتب جديراً ان يكتب بماء الذهب في ادمج لفظ وابلغه واكمل معنى واسبغه ترى جميع

الصفحة الأخيرة من النسخة المطبوعة – ط –

جوامع الجامع

العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

جوامع الجامع

تأليف

أمين الإسلام أبي علي
الفضل بن الحسن الطبرسي

تحقيق

جواد السيد كاظم الحكيم

الجزء الأول

سورة الفاتحة - سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين..

الحمد لله الذي أكرمنا بكتابه الكريم، ومنّ علينا بالسبع المثاني والقرآن العظيم، وما ضمّنه من الآيات والذكر الحكيم، فهو النور الساطع برهانه، والفرقان الصادع تبيانه، والمعجز الباقي على مرّ الدهور، والحجّة الثابتة سجيس العصور[1]، يهدي إلى صالح القول والعمل، ويثبت من الميل والزلل، لا تمجّه الأسماع، ولا تملّه الطباع، معدن كل علم، ومنبع كل حكم، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، نزل به الروح الأمين على خاتم النبيين ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين.

ثم الصلاة والسلام على الرسول الأمين والنبيّ المكين، محمّد خير البشر، وسيّد البُشُر[2]، وأكرم النذر، المنتجب من أشرف المناصب، المنتخب من أعلى المناسب، الذي سما بسمو انتسابه اسم (عدنان)[3] و(مضر)[4]، وبعلو قدره علا

---

(١) سجيس العصور: أبداً. (الصحاح: مادة سجس)

(٢) البشر: جمع البشير.

(٣) عدنان، من أجداد النبي صلى الله عليه وآله.

(٤) مضر، من أجداد النبي صلى الله عليه وآله.

كعب (كعب)[١] وكبر، وبنضرة جاهه وجه (النضر)[٢] نضر، وبرفعة أمره استمر أمر (مرّة)[٣] وأمر، فأُسرته خير الأُسر، وشجرته أكرم الشجر، وعترته أفضل العتر، صلّى الله عليه وعلى أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

أما بعد: فإنّي لما فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بـ(مجمع البيان لعلوم القرآن)[٤]، ثم عثرت من بعد بالكتاب (الكشاف لحقائق التنزيل)[٥] لجار الله العلامة[٦]، واستخلصت من بدائع معانيه وروائع ألفاظه ومبانيه، مالا يلفى مثله في كتاب مجتمع الأطراف، ورأيت أن أسمه وأسمّيه بـ(الكافِ الشافِ)، فخرج الكتابان إلى الوجود، وقد ملكا أزمّة القلوب، إذ أحرزا من فنون العلم غاية المطلوب، وجادت جدواهما، وتراءت ناراهما، وبَعُد في استجماع جواهر الألفاظ وزواهر المعاني مداهما، فسارا في الأمصار مسير الأمثال، وسريا في الأقطار مسرى الخيال؛ اقترح عليّ من حلّ منّي محلّ السواد من البصر، والسويداء من الفؤاد، ولدي أبو نصر الحسن[٧] ـ أحسن الله نصره وأرشد أمري وأمره ـ أن أجرّد من

---

(١) كعب، من أجداد النبي ﷺ.

(٢) النضر، من أجداد النبي ﷺ.

(٣) مرّة، من أجداد النبي ﷺ.

(٤) مجمع البيان لعلوم القرآن للمصنف (رحمه الله) يقع في عشرة أجزاء، طبع عدة مرات.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري يقع في أربعة أجزاء، طبع عدة مرات.

(٦) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، صاحب التصانيف المشهورة في التفسير والنحو والحديث واللغة وعلم البيان، ولد سنة ٤٦٧هـ سافر إلى مكة وجاور بها زماناً فصار يقال له: جار الله توفي سنة ٥٣٨هـ. ينظر: طبقات المفسرين ج٢: ٣١٤.

(٧) أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، فاضل كامل فقيه محدّث جليل صاحب كتاب (مكارم الأخلاق). الكنى والألقاب ج٢: ٤٠٩.

الكتابين كتاباً ثالثاً يكون مجمع بينهما، ومحجر عينهما، يأخذ بأطرافهما ويتصف بأوصافهما، ويزيد بأبكار الطرائف وبواكر اللطائف عليهما، فيتحقّق ما قيل: إنّ الثالث خير؛ فإنّ الكتب الكبار قد يشق على الشادي حملها، ويثقل على الناقل نقلها، فأكثر أبناء الزمان تقصر هممهم عن احتمال أعباء العلم الثقيلة، والإجراء في حلباته المديدة الطويلة.

فاستعفيته من ذلك مرة بعد أخرى، لما كنت أجده في نفسي من ضعف المنة ووهن القوة، فلقد ذرّفت[١] على السبعين سنياً، وبلغت من الكبر عتياً، وصرت كالحنية[٢] حنياً، واشتعل الرأس شيباً، وقاربت شمس العمر مغيباً.

فأبى إلا المراجعة فيه والعود، والاستشفاع بمن لم أستجز له الرد، فلم أجد بدّاً من صرف وجه الهمّة إليه، والإقبال بكلّ العزيمة عليه، وهممت أن أضع يدي فيه، ثم استخرت الله تعالى وتقدّس في الابتداء منه بمجموع مجمع جامع للكلم الجوامع، أسميه كتاب (جوامع الجامع).

ولاشك أنّه اسم وفق للمسمّى، ولفظ طبق للمعنى، وأرجو أن يكون ـ بتوفيق الله وعونه، وفيض فضله ومنّه ـ كتاباً وسيطاً خفيف الحجم، كثير الغُنم، لا يصعب حمله، ويسهل حفظه، ويكثر معناه وإن قلّ لفظه، يروع موضوعه، ويروق مسموعه، ينظم وسائط القلائد، ويحوي بسائط الفوائد، يستضيء العلماء بغرره ودرره، ويفتقر الفضلاء إلى فِقَره، فيكتب على وجه الدهر، ويعلّق في كعبة المجد والفخر.

ومما حداني إليه، وحثّني وبعثني عليه، أن خطر ببالي وهجس بضميري، بل

---

(١) ذرّف: زاد. (الصحاح: مادة ذرف)

(٢) الحنية: القوس. (الصحاح: مادة حنا)

أُلقي في روعي محبّة الاستمداد من كلام جار الله العلامة ولطائفه، فإنّ لألفاظه لذّة الجدة ورونق الحداثة، مقتصراً فيه على إيراد المعنى البحت، والإشارة إلى مواضع النكت، بالعبارات الموجزة، والإيماءات المعجزة، مما يناسب الحقّ والحقيقة، ويطابق الطريقة المستقيمة. وإذا ورد في أثناء الآيات شيء قد تقدّم الكلام في نظيره، أعوّل في أكثره على المذكور قبل؛ إيثاراً للإيجاز والاختصار.

وأنا أسأل الله الكريم المنان، مستشفعاً إليه بمحمّد المصطفى وآله مصابيح الإيمان ومفاتيح الجنان، عليه وعليهم الصلاة والسلام ما اختلف الضياء والظلام، أن يجعل وكدي[١] وكدّي في تأليفه ـ مع تخاذل الأعضاء وتواكل الأجزاء ـ موجباً لغفرانه، ومؤدياً إلى رضوانه، ويمنّ بالتسهيل والتيسير، فإنّ تيسير العسير عليه ـ جلّت قدرته ـ يسير، وهو على ما يشاء قدير، نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) وكدي: قصدي. (الصحاح: مادة وكد)

سورة فاتحة الكتاب

مكية، سبع آيات بلا خلاف، إلا أنّ أهل مكة عدّوا ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ آية من الفاتحة، وغيرهم عدّوا ﴿**أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾ آية.

وروي عن ابن عباس أنّه قال: من ترك ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى[1]. وعن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿**سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي**﴾[2]، فقال: ((هي سورة الحمد، وهي سبع آيات منها ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾))[3]. وعن أُبيّ بن كعب[4] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أُعطي من الأجر كأنّما قرأ ثلثي القرآن، وأُعطي من الأجر كأنّما تصدّق على كل مؤمن ومؤمنة))[5]. وعن جابر بن عبد

(١) الدر المنثور ج١ : ٧ بالمعنى.

(٢) الحجر: ٨٧.

(٣) تفسير العياشي ج١ : ١٩، وروي قريب منه مرفوعاً. الكشف والبيان ج١ : ٨٩.

(٤) أُبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري النجّاري، من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، قيل: إنه مات في زمن عمر، وقيل: في زمن عثمان. ينظر: الإصابة ج١ : ٢٠، معجم رجال الحديث ج١ : ٢٠٢.

(٥) الضعفاء الكبير ج١ : ١٥٧.

الله[١] عن النبي ﷺ قال: ((هي شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت))[٢].

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾

أصل الاسم: سمو، لأنّ جمعه أسماء وتصغيره (سمي).

﴿ٱللَّهُ﴾ أصله: إله، فحذفت الهمزة وعوّض عنها حرف التعريف، ولذلك قيل في النداء: يا الله ـ بقطع الهمزة ـ كما يقال: يا إله. ومعناه: إنّه الذي تحقّ له العبادة، وإنّما حقّت له العبادة لقدرته على أصول النعم.

فهذا الاسم مختص بالمعبود بالحقّ لا يطلق على غيره، وهو اسم غير صفة لأنّك تصفه فتقول: إله واحد، ولا تصف به فلا تقول: شيء إله.

(الرحمن) فعلان من (رحم) كـ(غضبان)، و(الرحيم) فعيل منه كـ(عليم).

وفي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ من المبالغة ما ليس في ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾، ولذلك قيل: (الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين خاصة)[٣]. ورووا عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ((الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة))[٤].

وتعلّقت الباء في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ بمحذوف تقديره: بسم الله أقرأ، ليختص اسم الله بالابتداء به، كما يقال للمعرس: باليُمن والبركة، بمعنى: أعرست. وإنّما قدّر المحذوف متأخراً لأنّهم يبتدئون بالأهم عندهم، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿بِسْمِ

---

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي، شهد العقبة الثانية، ثم شهد تسع عشرة غزوة مع النبي ﷺ، شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام، مات سنة ٧٨ هـ. ينظر: الإستيعاب ج١: ٢٢١، معجم رجال الحديث ج٤: ١١.

(٢) تفسير العياشي ج١: ٢٠.

(٣) عن الصادق عليه السلام. تفسير القمي ج١: ٢٥، وعن الضحاك. الدر المنثور ج١: ٩.

(٤) الكشف والبيان ج١: ٩٩.

اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾[١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝٢﴾

﴿ٱلْحَمْدُ﴾ والمدح أخوان، وهو الثناء على الجميل من نعمة وغيرها، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة، والحمد باللسان وحده، والشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، ومنه قوله ﷺ: ((الحمد رأس الشكر))[٢]، والمعنى في كونه رأس الشكر: إنّ الذكر باللسان أجلى وأوضح وأدلّ على مكان النعمة، وأشيع للثناء على موليها من الاعتقاد وعمل الجوارح. ونقيض الحمد الذم، ونقيض الشكر الكفران.

وإنّما عدل بالحمد عن النصب الذي هو الأصل في كلامهم ـ على أنّه من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة، كقولهم: شكراً وعجباً... ونحو ذلك ـ إلى الرفع على الابتداء، للدلالة على ثبات المعنى واستقراره، دون تجدّده وحدوثه في نحو قولك: أحمد الله حمداً. ومعناه: الثناء الحسن الجميل والمدح الكامل الجزيل للمعبود المنعم بجلائل النعم، المنشئ للخلائق والأمم.

والربّ: السيّد والمالك، ومنه قول صفوان[٣] لأبي سفيان[٤]: (لأن يربّني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن)[٥]. يقال: ربّه يربّه فهو

(١) هود: ٤١.

(٢) مصنف عبد الرزاق ج١٠: ٤٢٤.

(٣) صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، أحد المؤلفة قلوبهم، قتل أبوه يوم بدر مشركاً، شهد مع النبي ﷺ حنيناً والطائف وهو كافر، ثم أسلم، مات بمكة سنة ٤٢هـ. ينظر: الاستيعاب ج٢: ١٨٣.

(٤) أبو سفيان صخر بن حرب الأموي، أحد المؤلفة قلوبهم، كان رأس المشركين يوم أُحد ويوم الأحزاب، أسلم عام الفتح، توفي في زمن عثمان. ينظر: الإصابة ج٢: ١٧٨.

(٥) نقله المصنف تبعاً لصاحب الكشاف، والمذكور في المصادر المتوفرة أن صفوان قال ذلك لكلدة بن

ربّ، ولم يطلقوا الربّ إلا في الله وحده، ويقيّد في غيره فيقال: ربّ الدار، وربّ الضيعة.

والعالم: اسم لأولي العلم من الملائكة والثقلين[١]. وقيل: هو اسم لما يعلم به الصانع من الجواهر والأجسام والأعراض. وجمع بالواو والنون ـ وإن كان اسماً غير صفة ـ لدلالته على معنى العلم، وليشمل كل جنس مما سمّي به.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾

مرّ معناهما.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾

من قرأ: ملك يوم الدين ، فلأنّ الملك يعمّ والملك يخصّ، ولقوله سبحانه: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[٢]، ومن قرأ: مالك ـ بالألف ـ فهو إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع، أجري الظرف مجرى المفعول به والمعنى على الظرفية. والمراد: مالك الأمر كله في يوم الدين، وهو يوم الجزاء من قولهم: ((كما تدين تدان))[٣].

وهذه الأوصاف التي هي كونه سبحانه ربّاً مالكاً للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته، وكونه منعماً بالنعم المتوافرة الباطنة والظاهرة، وكونه مالكاً للأمر كله في الدار الآخرة بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ فيها دلالة باهرة على أنّ من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحقّ منه بالحمد والثناء.

الحنبل ـ وهو أخوه لأمه ـ في غزوة حنين. ينظر: تاريخ الطبري ج٣: ١٢٨، سيرة ابن هشام ج٤: ١٢٣.

(١) الثقلان: الإنس والجن. (الصحاح: مادة ثقل)

(٢) الناس: ٢.

(٣) الخصال: ٣٠٣، مصنف عبد الرزاق ج١١: ١٧٩.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

(إيّا) ضمير منفصل للمنصوب، والكاف والهاء والياء اللاحقة به في (إيّاك) و(إيّاه) و(إيّاي) لبيان الخطاب والغيبة والتكلّم، ولا محلّ لها من الإعراب، إذ هي حروف عند المحقّقين، وليست بأسماء مضمرة كما قال بعضهم[١].

وتقديم المفعول إنّما هو لقصد الاختصاص، والمعنى: نخصّك بالعبادة ونخصّك بطلب المعونة.

والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه وكيفيته، وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل، ولذلك لا تحسن إلا لله سبحانه الذي هو مولي أعظم النعم، فهو حقيق بغاية الشكر.

وإنّما عدل فيه عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب على عادة العرب في تفننهم في محاوراتهم، ويسمّى هذا التفاتاً. وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلّم، كقوله سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[٢]، وقوله: ﴿اللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾[٣].

وأما الفائدة المختصة به في هذا الموضع، فهي أنّ المعبود الحقيق بالحمد والثناء لما أجري عليه صفاته العليا، تعلّق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالعبادة والاستعانة به في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميّز بتلك الصفات، فقيل: إيّاك ـ يا من هذه صفاته ـ نخصّ بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٤٨.

(٢) يونس: ٢٢.

(٣) فاطر: ٩.

الخطاب أدلّ على (أنّ العبادة له لذلك المتميّز الذي لا تحقّ العبادة إلا له)[١].

وقرنت الاستعانة بالعبادة ليجمع بين ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته، وقدّمت العبادة على الاستعانة، لأنّ تقديم الوسيلة يكون قبل طلب الحاجات ليستوجبوا الإجابة إليها، وأطلقت الاستعانة ليتناول كل مستعان فيه.

والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة، فيكون قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا﴾ بياناً للمطلوب من المعونة، كأنّه قيل: كيف أُعينكم؟ فقالوا:

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦

أصل (هدى) أن يتعدّى باللام أو بـ(إلى)، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢]، و﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣]، فعومل معاملة (اختار) في قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾[٤].

و(السراط) ـ بالسين ـ الجادة، من سرط الشيء إذا ابتلعه، لأنّه يسرط المارة إذا سلكوه، كما سمّي لقماً لأنّه يلتقم السابلة؛ وبالصاد من قلب السين صاداً لأجل الطاء، وهي اللغة الفصحاء.

و﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾هو الدين الحقّ الذي لا يقبل الله من العباد غيره. وإنّما سمّي الدين صراطاً، لأنّه يؤدي بمن يسلكه إلى الجنّة، كما أنّ الصراط يؤدي

(١) في أ: (أن العبادة له لذلك التميّز الذي لا تحقّ العبادة إلا به).

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) الشورى: ٥٢.

(٤) الأعراف: ١٥٥.

بمن يسلكه إلى مقصده.

وعلى هذا فمعنى ﴿ ٱهۡدِنَا﴾: زدنا هدى بمنح الألطاف، كقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[١]. ورووا عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّ معناه: ثبّتنا[٢]. وفي بعض الأخبار: إنّ الصادق عليه السلام قرأ: اهدنا صراط المستقيم، بإضافة (صراط) إلى (المستقيم).

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

هو بدل من ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهو في حكم تكرير العامل، فكأنّه قال: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم. وفائدة البدل التوكيد، والإشعار بأنّ الطريق المستقيم بيانه وتفسيره: صراط من خصّهم الله تعالى بعصمته، وأمدّهم بخواصّ نعمته، واحتجّ بهم على بريّته، وفضّلهم على كثير من خليقته، فيكون ذلك شهادة لصراطهم بالاستقامة على آكد الوجوه، كما تقول: هل أدلّك على أكرم الناس فلان؟ فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم من قولك: هل أدلّك على فلان الأكرم؟ لأنّك تثبت كرمه مجملاً أولاً ومفصّلاً ثانياً، وأوقعت فلاناً تفسيراً للأكرم، فجعلته علماً في الكرم، فكأنّك قلت: من أراد رجلاً جامعاً للكرم فعليه بفلان، فهو المعيّن لذلك غير مدافع فيه.

وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام.

وروي عن أهل البيت عليهم السلام: صراط من أنعمت عليهم، وعن عمر بن الخطاب

---

(١) محمّد: ١٧.

(٢) معالم التنزيل ج١: ٩.

وعمرو بن الزبير[١]. والصحيح هو المشهور.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، على معنى: إنّ المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال؛ أو صفة على معنى: إنّهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة العصمة، وبين السلامة من غضب الله والضلالة. ويجوز أن يكون (غير) هاهنا صفة وإن كان (غير) لا يقع صفة للمعرفة، ولا يتعرف بالإضافة إلى المعرفة، لأنّ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا توقيت فيهم، فهو كقوله:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي　　فَمَضَيْتُ ثَمَّتَ قُلْتُ لَا يَعْنِينِي[٢]

ولأنّ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ خلاف المنعم عليهم، فليس في (غير) إذاً الإبهام الذي يأبى له أن يتعرف.

وقيل: (إنّ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، لقوله تعالى: ﴿مَن لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[٣]، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ هم النصارى، لقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾[٤])[٥].

ومعنى غضب الله: إرادة الانتقام منهم وإنزال العقاب بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده.

---

(١) عمرو بن الزبير بن العوام كان مواليًا لبني أمية ومن أشد الناس عداوة لأخيه عبد الله، قاد جيشاً لبني أمية لمحاربة أخيه فهُزم وأُسر ثم قتل. ينظر الفتوح ج٥: ١٥٣.

(٢) البيت لرجل من بني سلول. الكتاب ج٣: ٢٤، وعجزه ساقط في ب، ج.

(٣) المائدة: ٦٠.

(٤) المائدة: ٧٧.

(٥) عن عدي بن حاتم مرفوعاً. تفسير الطبري ج١: ٦١-٦٤.

ومحلّ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ الأولى نصب على المفعولية، ومحلّ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ الثانية رفع على الفاعلية.

وأصل الضلال: الهلاك، ومنه قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[١] أي: أهلكها. والضلال في الدين هو الذهاب عن الحقّ.

(١) محمّد: ٨.

سورة البقرة

مدنية، مائتان وست وثمانون آية كوفي، وسبع بصري. ﴿الم﴾ و﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ كوفي، ﴿إِلَّا خَائِفِينَ﴾ و﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ و﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ بصري.

عن أُبيّ عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((من قرأ (سورة البقرة) فصلوات الله عليه ورحمته، وأُعطي من الأجر كالمرابط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته))[1]، وقال لي: ((يا أُبيّ، مُرِ المسلمين أن يتعلموا (سورة البقرة)، فإنّ تعلّمها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة، قلت: يا رسول الله مَنِ البطلة؟ قال: السحرة))[2].

وعن الصادق عليه السلام قال: ((من قرأ (البقرة وآل عمران) جاء يوم القيامة يظلانه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين))[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾

اختلف في هذه الفواتح المفتتح بها السور، فورد عن أئمتنا عليهم السلام: ((إنّها من

(١) مجمع البيان ج١-٢: ٣٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج١: ٥٦٤ عن أبي أمامة.

(٣) ثواب الأعمال: ١٠٤.

المتشابهات التي استأثر الله بعلمها، ولا يعلم تأويلها غيره))[١]. وعن الشعبي[٢] قال: (لله تعالى في كل كتاب سرّ، وسرّه في القرآن حروف التهجّي في أوائل السور)[٣].

وقال الأكثرون في ذلك وجوهاً:

منها: أنّها أسماء للسور، تعرف كل سورة بما افتتحت به.

ومنها: أنّها أقسام أقسم الله تعالى بها لكونها مباني كتبه، ومعاني أسمائه وصفاته، وأصول كلام الأمم كلها.

ومنها: أنّها مأخوذة من صفات الله عزّ وجل، كقول ابن عباس في ﴿كهيعص﴾[٤]: (إنّ الكاف من كاف، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق؛ و﴿الٓمٓ﴾ معناه: أنا الله أعلم).

ومنها: أنّ كل حرف منها يدلّ على مدة قوم وآجال آخرين، إلى غير ذلك من الوجوه[٥].

على أنّ هذه الفواتح وغيرها من الألفاظ التي يتهجى بها عند المحقّقين أسماء، مسمّياتها حروف الهجاء التي ركّبت منها الكلم، وحكمها أن تكون موقوفة كأسماء الأعداد، تقول: (ألف)، (لام)، (ميم)، كما تقول: (واحد)، (اثنان)، (ثلاثة). فإذا وليتها العوامل أعربت، فقيل: هذه (ألف)، وكتبت (لاماً)، ونظرت إلى (ميم).

---

(١) التبيان ج١: ٤٨.

(٢) عامر بن شراحيل الكوفي ينسب إلى شَعب، بطن من همدان، يعد من كبار التابعين، توفي سنة ١٠٤هـ بالكوفة. ينظر: وفيات الأعيان ج٢: ٢٢٧، معجم رجال الحديث ج٩: ١٩٩.

(٣) الدر المنثور ج١: ٢٣.

(٤) مريم:١.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ج١: ٦٧ – ٧٤.

قال الشاعر:

إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى أَلِفٍ وَيَاءٍ   وَوَاوٍ هَاجَ بَيْنَهُمُ جِدَالُ[١]

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾

إن جعلت ﴿الٓمٓ﴾ اسماً للسورة، ففيه وجوه:

أحدها: أنّ ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ثانياً، و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول. فيكون المعنى: إن ذلك هو الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمّى كتاباً، كأنّ ما سواه من الكتب ناقص بالإضافة إليه، كما تقول: هو الرجل، أي: الكامل في الرجولية.

والثاني: أن يكون ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ صفة. فيكون المعنى: هو ذلك الكتاب الموعود.

والثالث: أن يكون التقدير: هذه ﴿الٓمٓ﴾ فتكون جملة، و﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ جملة أخرى.

وإن جعلت ﴿الٓمٓ﴾ بمنزلة الصوت كان ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ خبره، أي: ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل؛ أو ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ صفة، والخبر ما بعده، أو قدّر مبتدأ محذوف، أي: هو ـ يعني المؤلَّف من هذه الحروف ـ ذلك الكتاب.

والريب: مصدر رابه يريبه، إذا حصل فيه الريبة، وحقيقة الريبة: قلق النفس واضطرابها. وفي الحديث: ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك))[٢]، والمعنى: إنّه من

---

(١) البيت ليزيد بن الحكم. خزانة الأدب ج١: ١١٣.

(٢) معجم الطبراني الكبير ج٣: ٧٥، كنز الفوائد: ١٦٤.

وضوح دلالته بحيث لا ينبغي أن يرتاب فيه، إذ لا مجال للريبة فيه.

والمشهور الوقف على ﴿فِيهِ﴾، وبعض القراء يقف على ﴿لَا رَيْبَ﴾، ولابد لمن يقف عليه أن ينوي خبراً، ونظيره قوله: ﴿لَا ضَيْرَ﴾[١]، والتقدير: لا ريب فيه.

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والهدى: مصدر على فعل كالسرى، وهو الدلالة الموصلة إلى البغية، وقد وضع المصدر الذي هو (هدى) موضع الوصف الذي هو (هاد).

والمتقي في الشريعة هو الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحقّ به العقاب من فعل أو ترك، وسمّاهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى: (متقين)، كقول النبي ﷺ: ((من قتل قتيلاً فله سلبه))[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٣] أي: صائراً إلى الفجور والكفر. فكأنّه قال: هدى للصائرين إلى التقى.

ولم يقل: هدى للضالين، لأنّ الضالين فريقان: فريق علم بقاؤهم على الضلالة، وفريق علم مصيرهم إلى الهدى، فلا يكون هدى لجميعهم.

وأيضاً: فقد صدّرت السورة التي هي أولى الزهراوين[٤]، وسنام القرآن، وأول المثاني؛ بذكر المرتضين من عباد الله وهم المتقون.

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

الموصول إما أن يكون مجروراً بأنّه صفة لـ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾، أو منصوباً، أو مرفوعاً

(١) الشعراء: ٥٠.

(٢) معجم الطبراني الكبير ج٧: ٢٤٥، تحف العقول: ٢٥٤.

(٣) نوح: ٢٧.

(٤) الزهراوين: مثنى الزهراء وهما: سورة البقرة وسورة آل عمران.

على المدح على تقدير: أعني الذين يؤمنون، أو هم الذين يؤمنون. وإما أن يكون منقطعاً عما قبله مرفوعاً على الابتداء وخبره ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾.

والإيمان إفعال من الأمن. يقال: (أمنت شيئاً) و(آمنت غيري)، ثم يقال: (آمنه) إذا صدّقه، وحقيقته: آمنه التكذيب والمخالفة. وعدّي بالباء فقيل: (آمن به)، لأنّه ضمّن معنى: أقرّ واعترف. ويجوز أن يكون على قياس فعلته فأفعل، فيكون (آمن) بمعنى صار ذا أمن في نفسه بإظهار التصديق.

وحقيقة الإيمان في الشرع هو المعرفة بالله وصفاته، وبرسله، وبجميع ما جاءت به رسله؛ وكل عارف بشيء فهو مصدّق به.

ولما ذكر سبحانه الإيمان علّقه ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾، ليعلم أنّه التصديق لله تعالى فيما أخبر به رسوله مما غاب عن العباد علمه، من ذكر القيامة والجنّة والنار وغير ذلك. ويجوز أن يكون ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ في موضع الحال، ولا يكون صلة لـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، أي: يؤمنون غائبين عن مرأى الناس، وحقيقته متلبسين بالغيب، كقوله: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾[1] فيكون الغيب بمعنى: الغيبة والخفاء. وعلى المعنى الأول يكون الغيب بمعنى: الغائب، من قولك: غاب الشيء غيباً، فيكون مصدراً سمّي به.

ثم عطف ـ سبحانه ـ على الإيمان بذكر الصلاة التي هي رأس العبادات البدنية، فقال: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يحافظون عليها ويتشمرون لأدائها، من قولهم: (قام بالأمر)، أي يؤدونها، فعبّر عن الأداء بالإقامة. أو يعدّلون أركانها، من قولهم: أقام العود، إذا قوّمه.

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

---

(١) الأنبياء: ٤٩.

ثم عطف على ذلك بالعبادة المالية التي هي الإنفاق، فقال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أسند الرزق إلى نفسه، للإعلام بأنّهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يسمّى رزقاً من الله تعالى، و(من) للتبعيض، فكأنّه يقول: ويخصّون بعض المال الحلال بالتصدّق به. وجائز أن يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه بالصلاة، وأن يراد هي وغيرها من الصدقات والنفقات في وجوه البر لمجيئه مطلقاً. وعن الصادق عليه السلام: ((ومما علّمناهم يبثّون))[1].

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام[2] وغيره، فيكون المعطوف غير المعطوف عليه، ويحتمل أن يراد وصف الأوّلين، فيكون المعنى: إنّهم الجامعون بين تلك الصفات.

وهذه وقوله: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ تعريض بأهل الكتاب، وأنّهم يثبتون أمر الآخرة على خلاف حقيقته، ولا يصدر قولهم عن إيقان.

والآخرة: تأنيث الآخر وهي صفة الدار، بدليل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾[3] وهي من الصفات الغالبة وكذلك (الدنيا).

والإيقان واليقين: هو العلم الحاصل بعد استدلال ونظر، ولذلك لا يطلق الموقن على الله تعالى لاستواء الأشياء في الجلاء عنده.

---

(١) تفسير القمي ج١: ٣٠.

(٢) عبد الله بن سلام كان من يهود بني قينقاع، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وآله المدينة، توفي سنة٤٣ هـ. ينظر: الإصابة ج٢: ٣٢٠.

(٣) القصص: ٨٣.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

الجملة في محلّ الرفع إن كان ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ مبتدأ، وإلا فلا محلّ لها.

وفي اسم الإشارة الذي هو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إيذان بأنّ ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل له من أجل الخصال التي عددت لهم.

ومعنى الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾ مثل لتمكّنهم من الهدى واستقرارهم عليه، شبّهت حالهم بحال من اعتلى شيئاً وركبه. ومعنى ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾: منحوه وأُعطوه من عنده، وهو اللطف والتوفيق على أعمال البر.

ونكّر ﴿هُدٗى﴾ ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه، كأنّه قيل: على أيّ هدى.

وفي تكرير ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تنبيه على أنّهم تميّزوا بكل واحدة من الإثرتين اللتين هما الهدى والفلاح عن غيرهم.

و﴿هُمُ﴾ سمّاه البصريون فصلاً، والكوفيون عماداً. وفائدته: الدلالة على أنّ المذكور بعده خبر لا صفة وتوكيد، وإيجاب أنّ فائدة الخبر ثابتة للمخبر عنه دون غيره. ويجوز أن يكون ﴿هُمُ﴾ مبتدأ و﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ خبره، والجملة خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

والمفلح: الفائز بالبغية، كأنّه الذي انفتحت له وجوه الظفر. والمفلج ـ بالجيم ـ مثله.

وقوله: ﴿عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ أدغمت بغنّة وغير غنّة، والغنّة: صوت خفي يخرج من الخيشوم.

والنون الساكنة والتنوين لهما ثلاثة أحوال مع الحروف في جميع القرآن:

الإظهار، وذلك مع حروف الحلق.

والإدغام، وذلك مع الميم، نحو ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾، و﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَعَكَ﴾[1]، لا يجوز إلا الإدغام هنا لاشتراك النون والميم في الغنّة.

والإخفاء، وذلك مع سائر الحروف، نحو ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾[2] و﴿وَمَنْ فِيهَا﴾[3].

وهذا عند جميع القراء إلا أبا عمرو[4] وحمزة[5] والكسائي[6] فإنّهم يدغمونهما في اللام والراء نحو: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ و﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾، ويدغمهما حمزة والكسائي في الياء نحو: ﴿مَنْ يَقُولُ﴾[7]، ويدغمهما حمزة في الواو، نحو: ﴿ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾[8]. فاللام والراء والواو والياء عندهم بمنزلة الميم، ويقال لها: حروف يرملون، لأنّها أيضاً تدغم في النون نحو: (منّي) و(منّا).

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾

---

(١) هود: ٤٨.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) المؤمنون: ٨٤.

(٤) هو أبو عمرو زبان بن العلاء بن عمار المازني البصري، أحد القراء السبعة، ولد بمكة سنة ثمان أو خمس وستين للهجرة، مات بالكوفة سنة ١٥٤ هـ. ينظر: معجم الأدباء ج١١: ١٥٦.

(٥) حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي التميمي، أحد القراء السبعة، ولد سنة ٨٠ هـ، وتوفي سنة ١٥٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج١: ٤٥٥.

(٦) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي الأسدي بالولاء، إمام الكوفيين في النحو واللغة، أحد القراء السبعة، مات بالري سنة ١٨٩هـ على قول. ينظر: بغية الوعاة ج٢: ١٦٢.

(٧) العنكبوت: ١٠.

(٨) البقرة: ١٩.

لما قدّم سبحانه ذكر الأتقياء، عقّبه بذكر الأشقياء وهم الكفار الذين لا ينفع معهم اللطف، وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه، وإنذار الرسول وترك إنذاره.

و﴿سَوَآءٌ﴾ اسم بمعنى الاستواء، وصف به كما يوصف بالمصادر، وهو خبر (إنّ).

و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية، كأنّه قيل: مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه، كما تقول: إنّ زيداً مختصم أخوه وابن عمه. أو يكون ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ في موضع الابتداء، و﴿سَوَآءٌ﴾ خبراً مقدّماً بمعنى: سواء عليهم إنذارك وعدمه، والجملة خبر لـ(إنّ). كذا ذكره جار الله العلامة ـ لله درّه ـ[١]، وما أوردناه في مجمع البيان[٢] فهو من كلام أبي علي الفارسي[٣].

والإنذار: التخويف من عقاب الله تعالى.

وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جملة مؤكدة للجملة قبلها، أو خبر لـ﴿إِنَّ﴾ والجملة قبلها اعتراض.

قيل: نزلت هذه الآية والتي بعدها في أبي جهل وأضرابه[٤]، وعلى هذا فيكون التعريف في ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ للعهد. وقيل: هي في جميع من صمّم على كفره على العموم[٥]، فيكون التعريف للجنس.

---

(١) الكشاف ج١: ٤٧.

(٢) مجمع البيان ج١-٢: ٤٢.

(٣) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، واحد زمانه في علم العربية، أخذ عن الزجّاج وابن السراج، له تصانيف كثيرة في النحو، توفي ببغداد سنة ٣٧٧ هـ. ينظر: بغية الوعاة ج١: ٤٩٦.

(٤) عن الربيع بن أنس. تفسير الطبري ج١: ٨٤.

(٥) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١: ٨٤.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾

الختم والكتم أخوان.

والغشاوة فعالة من غشّاه: إذا غطّاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعمامة.

والختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار من باب المجاز، وهو نوعان: استعارة وتمثيل، ويحتمل هنا كلا النوعين.

أما الاستعارة، فأن يجعل قلوبهم ـ لأنّ الحقّ لا ينفذ فيها لإعراضهم واستكبارهم عن قبوله ـ وأسماعهم ـ لأنّها تنبو عن استماعه ـ كأنّهما مختوم عليهما، وأبصارهم كأنّما غطي عليها وحيل بينها وبين الإدراك.

وأما التمثيل، فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي خلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها بالختم والتغطية.

وأما إسناد الختم إلى الله، فللتنبيه على أنّ هذه الصفة في فرط تمكّنها كالشيء الخلقي غير العرضي، كما يقال: فلان مجبول على كذا ومفطور عليه، يريدون أنّه مبالغ في الثبات عليه.

ووجه آخر: وهو أنّهم لما علم الله سبحانه أنّه لا طريق لهم إلى أن يؤمنوا طوعاً واختياراً فلم يبق إلا القسر والإلجاء، ولم يقسرهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف، عبّر عن ترك الإلجاء والقسر بالختم، إشعاراً بأنّهم قد بلغوا الغاية القصوى في لجاجهم واستشرائهم[1] في الغيّ والضلال.

---

(١) استشرى في الأمر: لجّ فيه. (الصحاح: مادة شرى)

ووحّد السمع لأنّه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع، ولأنّهم قالوا:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِفُّوا   فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ(١)

يفعلون ذلك إذا أمن اللبس، وإذا لم يؤمن لم يفعلوا، لا تقول: (ثوبهم) و(غلامهم) وأنت تريد الجمع.

والبصر: نور العين، وهو ما يبصر به الرائي، كما أنّ البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل.

والعذاب مثل النكال بناء ومعنى، لأنّك تقول: أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه، كما تقول: نكل عنه، ثم اتسع فيه فسمّي كل ألم فادح عذاباً وإن لم يكن نكالاً، أي: عقاباً يرتدع به الجاني.

والعظيم: نقيض الحقير كما أنّ الكبير نقيض الصغير، فإنّ العظيم فوق الكبير، كما إنّ الحقير دون الصغير. ويستعملان في الجثث والأحداث جميعاً، تقول: رجل عظيم وكبير جثته أو خطره.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾

افتتح سبحانه بذكر الذين آمنوا بالله سرّاً وعلانية، ثم ثنّى بالذين كفروا قلوباً وألسنة، ثم ثلّث بالمنافقين الذين أبطنوا خلاف ما أظهروا، وهم أخبث الكفار وأمقتهم عنده. ووصف حال الذين كفروا في آيتين، وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية، وقصّتهم معطوفة على قصّتهم كما تعطف الجملة على الجملة.

وأصل (ناس) أناس حذفت همزته تخفيفاً، وحذفها مع لام التعريف كاللازم، لا يكاد يقال: الأناس. ويشهد لأصله (إنسان) و(إنس)، وسمّوا بذلك

---

(١) من أبيات الكتاب ج١: ٢١٠ التي لا يعرف قائلها.

لظهورهم، وأنّهم يؤنسون أي: يبصرون، كما سمّي الجن جناً لاجتنانهم.

و﴿مَن﴾ في ﴿مَن يَقُولُ﴾ موصوفة، كأنّه يقول: ومن الناس ناس يقولون كذا، كقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾[1]، هذا إن جعلت اللام للجنس، وإن جعلتها للعهد فموصولة، كقوله: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾[2].

وفي تكرير (الباء) أنّهم ادّعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة، وفي قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ من التوكيد والمبالغة ما ليس في قولك: وما آمنوا، لأنّ فيه إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين، فقد انطوى تحته نفي ما ادّعوه لأنفسهم من الإيمان على القطع.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾

المعنى: إنّ هؤلاء المنافقين قد صنعوا صنع الخادعين، حيث تظاهروا بالإيمان وهم كافرون، وصنع الله معهم صنع الخادع، حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم، وهم عنده أهل الدرك الأسفل من النار[3]، وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم، فإنّ حقيقة الخدع أن يوهم الرجل صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه.

ويجوز أن يريد: يخادعون رسول الله، لأنّ طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، كما يقال: قال الملك كذا، وإنّما القائل وزيره أو خاصته الذين قولهم قوله.

---

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) التوبة: ٦١.

(٣) كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ النساء: ١٤٥.

﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ لأنّ ضررها يلحقهم ولا يعدوهم إلى غيرهم. ومن قرأ: يخادعون، أتى به على لفظ يفاعلون للمبالغة.

والنفس: ذات الشيء وحقيقته، ثم قيل للقلب: نفس، لأنّ النفس به نفس. قالوا: (المرء بأصغريه)[1]، أي بقلبه ولسانه. وقيل أيضاً للروح: نفس، وللدم: نفس، لأنّ قوامها بالدم، وللماء: نفس، لفرط حاجتها إليه، ونُفِس الرجل أي: عِين، وحقيقته: أصيبت نفسه، كما قيل: صُدِر الرجل وفُئِد، وقالوا: فلان يؤامر نفسه، إذا تردد في الأمر واتجه له رأيان لا يدري على أيّهما يعوّل، كأنّهم أرادوا داعي النفس.

والمراد بالأنفس هاهنا: ذواتهم، ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم. والشعور: علم الإنسان بالشيء علم حس، ومشاعر الإنسان: حواسه.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾

استعير المرض لأعراض القلب، كسوء الاعتقاد، والغلّ، والحسد، وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض، كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك. والمراد به هاهنا ما في قلوبهم من الكفر، أو من الغلّ والحنق على رسول الله ﷺ والمؤمنين.

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ بما ينزل على رسوله من الوحي، فيكفرون به ويزدادون كفراً إلى كفرهم، فكأنّه سبحانه زادهم ما ازدادوه. أسند الفعل إلى

---

(١) مجمع الأمثال ج٣: ٣٠١.

السبب كما أسنده إلى السورة في قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[١] لكونها سبباً. أو أراد: كلما زاد رسوله نصرة وتمكّناً في البلاد والعباد ازدادوا غلاً وحسداً، أو ازدادت قلوبهم ضعفاً وجبناً وخوراً[٢].

و(ألم) فهو (أليم) كـ(وجع) فهو (وجيع)، ووصف العذاب به كقوله:

تَحِيَّــةُ بَيْنِهِــمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[٣]

وهذا على طريقة قولهم: (جدّ جدّه). والألم في الحقيقة للمؤلم كما أنّ الجدّ للجادّ.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أي: بكذبهم. وفي هذا إشارة إلى قبح الكذب، وأنّ لحوق العذاب الأليم من أجل كذبهم. وقرئ: يكذّبون، من كذّبه الذي هو نقيض صدّقه، أو من كذّب الذي هو مبالغة في كذب، أو بمعنى الكثرة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

هذا معطوف على ﴿يَكْذِبُونَ﴾، ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿يَقُولُ آمَنَّا﴾ لأنّك لو قلت: ومن الناس من إذا قيل لهم: لا تفسدوا، صح الكلام.

والفساد: خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به، ونقيضه الصلاح. وكان فساد المنافقين بميلهم إلى الكفار، وإفشاء أسرار المسلمين إليهم وإغرائهم عليهم.

ومعنى ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: إنّ صفة المصلحين تمحّضت لهم وخلصت

---

(١) التوبة: ١٢٥.

(٢) الخور: الضعف. (الصحاح: مادة خور)

(٣) شعر عمرو بن معد يكرب: ٣٧، وصدره: وخيل قد دلفت لها بخيل.

من غير شائبة قادحة فيها بوجه من وجوه الفساد.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾

﴿أَلَآ﴾ مركّبة من همزة الاستفهام وحرف النفي، لإعطاء معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً، كقوله: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾[1].

ردّ الله سبحانه دعواهم أنّهم المصلحون أبلغ ردّ بما في كلتا الكلمتين: (ألا) و(إن) من التأكيدين، وبتعريف الخبر، وتوسيط الفصل، وقوله: ﴿لَّا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾

السفه: خفة الحلم وسخافة العقل. والمعنى: إذا نُصحوا وبُصّروا طريق الرشد بأن قيل لهم: صدِّقوا رسول الله كما صدَّقه الناس.

واللام في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ للعهد، أي: كما آمن أصحاب رسول الله وهم ناس معهودون، أو عبد الله بن سلام وأضرابه، أي: كما آمن أصحابكم وإخوانكم؛ أو للجنس، أي: كما آمن الكاملون في الإنسانية. أو جعل المؤمنون كأنّهم الناس على الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحقّ والباطل.

والاستفهام في ﴿أَنُؤۡمِنُ﴾ للإنكار. واللام في ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ مشار بها إلى الناس.

وفصلت هذه الآية بـ﴿لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ والتي قبلها بـ﴿لَّا يَشۡعُرُونَ﴾، لأنّ أمر الديانة والوقوف على أنّ المؤمنين على الحقّ وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال

---

(١) القيامة: ٤٠.

حتى يعلم، وأما النفاق وما فيه من الفساد فأمر دنيوي، فهو كالمحسوس المشاهد؛ ولأنّه قد ذكر السفه فكان ذكر العلم معه أحسن.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

هذا بيان ما كانوا يعملونه مع المؤمنين، أي: إذا لقوهم أوهموهم أنّهم معهم، وإذا فارقوهم إلى رؤسائهم من الكفار أو اليهود الذين أمروهم بالتكذيب قالوا: إنّا على دينكم، وصدقوهم ما في قلوبهم.

وخلوت بفلان وخلوت إليه بمعنى: انفردت معه.

و﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: إنّا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم.

وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ توكيد لقولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، لأن المعنى في ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ الثبات على اليهودية، وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ردّ للإسلام ودفع له، لأنّ المستهزئ بالشيء وهو المستخف به منكر له ودافع، ويجوز أن يكون بدلاً منه أو استئنافاً.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾

معنى استهزاء الله سبحانه وتعالى بهم: إنزال الهوان والحقارة بهم، وإجراء أحكام المسلمين عليهم عاجلاً وقد أعدّ لهم أليم العقاب آجلاً. وسمّى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾(١).

وفي استئناف قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ من غير حرف عطف، أنّ الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين، ولا يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم

(١) الشورى: ٤٠.

بذلك.

وقوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ من مدّ الجيش وأمدّه إذا زاده. والمعنى: إنّه يمنعهم ألطافه التي يمنحها للمؤمنين، ويخذلهم بسبب كفرهم، فتبقى قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها، كما يتزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين. وأسند ذلك التزايد إلى الله سبحانه لأنّه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم. وعن الحسن البصري[١] قال: (في ضلالتهم يتمادون)[٢].

والطغيان: الغلو في الكفر، ومجاوزة الحد في العتو. وفي إضافة الطغيان إليهم ما يدلّ على أنّ الطغيان والتمادي في الضلال مما اقترفته نفوسهم.

والعمه مثل العمى، إلا أنّ العمه في الرأي خاصة، وهو التحيّر والتردد، لا يدري أين يتوجه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾

معنى اشتراء الضلالة بالهدى: اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة، لأنّ الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر.

و﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾: الجور عن القصد، وفي المثل: (ضلّ دريص نفقه)[٣]، فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين.

والربح: الفضل على رأس المال، وأسند الخسران إلى التجارة مجازاً. والمعنى:

(١) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، أحد سادات التابعين وكبرائهم، توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج١: ٣٥٤، معجم رجال الحديث ج٤: ٢٧٩.

(٢) الكشاف ج١: ٦٨.

(٣) مجمع الأمثال ج٢: ٢٦١. والدرص: ولد الفأرة واليربوع وأشباه ذلك، ونفقه: جحره.

إنّ المطلوب في التجارة سلامة رأس المال والربح، وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معاً، لأنّ رأس المال كان هو الهدى فلم يبق لهم، ولم يصيبوا الربح لأنّ الضال خاسر.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

ثم زاد سبحانه في الكشف عن حالهم بضرب المثل، فقال: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: حالهم كحال ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وضع (الذي) موضع (الذين)، كقوله سبحانه: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾[1]، أو قصد جنس المستوقدين، أو أراد الجمع الذي استوقد ناراً. على أنّ المنافقين لم تشبّه ذواتهم بذات المستوقد، بل شبّهت قصّتهم بقصّة المستوقد، فلا يلزم تشبيه الجماعة بالواحد.

واستوقد: طلب الوقود، والوقود: سطوع النار وارتفاع لهبها. والإضاءة: فرط الإنارة، وهي متعدّية في الآية، ويحتمل أن تكون غير متعدّية مسندة إلى ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾. والتأنيث للحمل على المعنى، لأنّ ما حول المستوقد أشياء وأماكن.

وجواب ﴿لمّا﴾: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، ويجوز أن يكون محذوفاً، لطول الكلام وأمن الالتباس، كأنّه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا متحيّرين متحسّرين على فوت الضوء. وعلى هذا فيكون ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ كلاماً مستأنفاً، كأنّهم لما شبّهت حالهم بحال المستوقد اعترض سائل فقال: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقيل له: ذهب الله بنورهم.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ بدلاً من جملة التمثيل على سبيل

---

(١) التوبة: ٦٩.

البيان.

والفرق بين (أذهبه) و(ذهب به): أنّ معنى أذهبه: أزاله وجعله ذاهباً، وذهب به: استصحبه ومضى به معه، قال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾[١]. فالمعنى: أخذ الله نورهم وأمسكه، وما يمسك الله فلا مرسل له، فهو أبلغ من الإذهاب.

و(ترك) بمعنى طرح وخلى، قالوا: (تركه ترك الظبي ظله)[٢]. فإذا ضمّن معنى (صيّر) تعدّى إلى مفعولين وجرى مجرى أفعال القلوب، نحو قول عنترة:

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ ... يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالمِعْصَمِ[٣]

والمراد بالإضاءة انتفاع المنافقين بالكلمة المجراة على ألسنتهم، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق الذي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله والعقاب الدائم. ويجوز أن يكون قد شبّه اطلاع الله على أسرارهم بذهاب الله بنورهم.

ووجه آخر: وهو أنّهم لما وصفوا باشتراء الضلالة بالهدى، عقّب ذلك بهذا التمثيل، ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد، والضلالة التي اشتروها بذهاب الله بنورهم.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ١٨﴾

كانت حواسّهم صحيحة، لكنهم لما أبوا أن يصيخوا مسامعهم إلى الحقّ، وأن ينطقوا ألسنتهم بالحقّ، وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم؛ جعلوا كأنّهم انتقضت

---

(١) يوسف: ١٥.

(٢) مجمع الأمثال ج١: ٢١٣.

(٣) شرح ديوان عنترة: ١٧٤، وفيه: ما بين قلة رأسه والمعصم.

بنى مشاعرهم التي هي أصل الإحساس والإدراك كقوله:

صُمٌّ إذَا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ   وَإنْ ذُكِرْتُ بِسوءٍ عِنْدَهُمْ أذِنُوا[١]

و﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ معناه: لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها، أو بقوا متحيّرين لا يدرون أيتقدّمون أم يتأخرون، وكيف يرجعون إلى حيث ابتدأوا منه؟.

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ
فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

الصيّب: المطر الذي يصوب، أي: ينزل ويقع، ويقال للسحاب: صيّب أيضاً.

هذا تمثيل آخر لحال المنافقين، ليكون كشفاً لها بعد كشف. والمعنى: أو كمثل ذوي صيّب، أي: كمثل قوم أخذهم المطر على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا.

قالوا: شبّه دين الإسلام بالصيّب، لأنّ القلوب تحيى به كما تحيى الأرض بالمطر، وشبّه ما يتعلّق به من شبهات الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيبهم من أهل الإسلام بالصواعق.

وقيل: شبّه القرآن بالمطر، وما فيه من الابتلاء والزجر بالظلمات والرعد، وما فيه من البيان بالبرق، وما فيه من الوعيد آجلاً والدعاء إلى الجهاد عاجلاً بالصواعق.

وجاءت هذه الأشياء منكّرة، لأنّ المراد أنواع منها، كأنّه قيل: في الصيّب ظلمات داجية، ورعد قاصف، وبرق خاطف.

---

(١) البيت لقعنب بن أم صاحب. عيون الأخبار ٣: ٨٤.

والضمير في ﴿يَجۡعَلُونَ﴾ يرجع إلى أصحاب الصيّب المضاف، مع كونه محذوفاً وقيام الصيّب مقامه. و﴿يَجۡعَلُونَ﴾ استئناف لا محلّ له.

و﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ يتعلّق بـ﴿يَجۡعَلُونَ﴾ أي: من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم. وصعقته الصاعقة: أهلكته فصعق أي: مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق. و﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ مفعول له.

ومعنى إحاطة الله بالكافرين: إنّهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة. وهذه الجملة اعتراض.

يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾

الخطف: الأخذ بسرعة.

لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول، فكأنّ قائلاً قال: كيف حالهم مع مثل ذلك البرق؟ فقيل: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾، فهذه جملة مستأنفة أيضاً لا محلّ لها. و﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ استئناف ثالث، كأنّه جواب لمن يقول: كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفوته؟.

وهذا تمثيل لشدّة الأمر على المنافقين بشدّته على أصحاب الصيّب وما هم فيه من غاية التحيّر والجهل بما يأتون به ويذرون، إذا خفق البرق مع خوفهم أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة، فخطوا خطوات يسيرة، فإذا خفي بقوا واقفين متحيّرين، ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمّهم، وفي بريق البرق فأعماهم.

و﴿أَضَآءَ﴾ إما متعدّ والمفعول محذوف، بمعنى: كلما نوّر لهم مسلكاً أخذوه، وإما غير متعدّ بمعنى: كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره. ومعنى ﴿قَامُوا﴾ وقفوا وثبتوا في مكانهم.

[ومفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوف، لأنّ الجواب يدلّ عليه][1]. والمعنى: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما، وقد كثر هذا الحذف في (شاء) و(أراد)، ولم يبرزوا المفعول إلا في النادر، كقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾[2]، ﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[3].

والشيء: ما يصح أن يعلم ويخبر عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

ولما عدّد سبحانه فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، أقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات الذي تقدّم ذكره[4]، وهو فن من الكلام فيه هزّ وتحريك من السامع، وتنبيه واستدعاء لإصغائه إلى الحديث.

و(يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، و(أي) و(الهمزة) لنداء القريب، و(أي) وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، كما أنّ (ذو) و(الذي) وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس، ووصف المعارف بالجمل.

---

(١) بين المعقوفتين زيادة من الكشاف يقتضيها السياق.

(٢) الأنبياء: ١٧.

(٣) الزمر: ٤. وتتمة الآية: ﴿لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وهي ساقطة من ب، ج، ط.

(٤) تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وهو اسم مبهم يحتاج إلى ما يوضحه، فلابد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء، والذي عمل فيه حرف النداء (أي) والاسم التابع له صفته. وقد كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة، لاستقلاله بأوجه من التأكيد في التدرج من الإبهام إلى التوضيح.

وكلمة التنبيه المقحمة بين (أي) وصفته لتعاضد حرف النداء بتأكيد معناه، وتكون عوضاً مما يستحقّه من الإضافة.

وكل ما نادى الله لأجله عباده من الأوامر، والنواهي، والوعد، والوعيد، وغير ذلك؛ أمور عظام ومعانٍ جليلة عليهم أن يتيقظوا لها، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ صفة لـ﴿رَبَّكُمُ﴾ جرت عليه على سبيل المدح والثناء، أي: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ على الحقيقة. والخلق: إيجاد الشيء على تقدير واستواء.

و(لعل) للترجي أو الإشفاق، وقد جاء في مواضع من القرآن على سبيل الإطماع[1]، ولكن لأنّه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة، جرى إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به.

و(**لعل**) في الآية ليس مما ذكرته في شيء، بل هو واقع موقع المجاز، لأنّه سبحانه خلق عباده ليكلّفهم، وأزاح عللهم في التكليف من الإقدار والتمكين وأراد منهم الخير، فهم في صورة المرجو منهم أن يتّقوا، لترجّح أمرهم ـ وهم مختارون بين الطاعة والمعصية ـ كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وأن لا يفعل، ومصداقه قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2]، وإنّما يبلو ويختبر من

---

(١) مثل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. البقرة: ١٨٩، آل عمران: ١٣٠،٢٠٠.

(٢) الملك: ٢.

تخفى عليه العواقب، ولكن شبّه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قدّم سبحانه من موجبات عبادته خلقهم أحياء قادرين أولاً، ثم خلق الأرض التي هي مستقرّهم الذي لابد لهم منه ومفترشهم، ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة على هذا المستقر، ثم ما سوّاه سبحانه من شبه عقد النكاح بينهما بإنزال الماء من المظلّة منهما على المقلّة، والإخراج به من بطنها أشباه النسل من ألوان الثمار رزقاً لبني آدم، ليقابلوا هذه النعمة العظيمة بواجب الشكر، ويتفكروا في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وما تحتهم، فيعلموا أنّه لابد لها من خالق ليس كمثلها، حتى لا يجعلوا المخلوقات أنداداً له وهم يعلمون أنّها لا تقدر على بعض ما هو قادر عليه.

ومعنى جعل الأرض فراشاً وبساطاً ومهاداً للناس: إنّهم يتقلبون عليها كما يتقلب على الفراش والبساط والمهاد.

والبناء مصدر سمي به المبنى، وأبنية العرب: أخبيتهم، ومنه: بنى على امرأته.

و(من) في ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتبعيض، كأنّه قال: أنزلنا من السماء بعض الماء، فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم، لأنّه لم ينزل من السماء الماء كله، ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات، ولا جعل الرزق كله في الثمرات. ويجوز أن تكون (من) للبيان، كما تقول: أنفقت من الدراهم ألفاً.

وإذا كانت (من) للتبعيض كان قوله: ﴿رِزْقًا﴾ منصوباً بأنّه مفعول له، وإذا كانت للبيان كان ﴿رِزْقًا﴾ مفعولاً به لـ(أخرج).

والند: المثل، ولا يقال الند إلا للمثل المخالف المناوئ، أي: هو الذي خصّكم بهذه الدلائل النيّرة الشاهدة بالوحدانية، فلا تتخذوا له شركاء ﴿وَأَنتُمْ﴾ أهل المعرفة والتمييز، أو أنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت، أو أنتم تعلمون أنّه لا يماثل.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾

لما احتج سبحانه على الناس بالتوحيد وعلّم الطريق إلى تصحيحه، عطف على ذلك الحجّة على نبوة نبيه محمّد ﷺ فقال: إن ارتبتم فيما ﴿نَزَّلْنَا﴾، أتى بلفظ التنزيل، لأنّ المراد النزول على سبيل التدريج نجوماً سورة بعد سورة، وآيات بعد آيات على حسب النوازل والحوادث ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ ورسولنا محمّد، فهاتوا أنتم سورة من أصغر السور.

والسورة إن كانت واوها أصلاً: فإما أن سمّيت بسور المدينة، لأنّها طائفة من القرآن محدودة، أو لأنّها محتوية على فنون من العلم كاحتواء سور المدينة على ما فيها؛ وإما أن سمّيت بالسورة التي هي الرتبة، لأنّ السور بمنزلة المنازل والمراتب، أو لرفعة شأنها في الدين.

وإن كانت واوها منقلبة عن همزة، فلأنّها قطعة من القرآن، كالسؤرة التي هي البقية من الشيء.

﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ متعلّق بـ(سُورَةٍ) صفة لها، أي بسورة كائنة من مثله، والضمير لـ﴿مَا نَزَّلْنَا﴾ أو لـ﴿عَبْدِنَا﴾. ويجوز أن يتعلّق بقوله: ﴿فَأْتُوا﴾ والضمير للعبد،

والمعنى: فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وحسن النظم، أو هاتوا ممن هو على حاله من كونه بشراً عربياً أو أميّاً، لم يأخذ من العلماء ولم يقرأ الكتب.

وردّ الضمير إلى المنزّل أوجه، لقوله: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[1]، ولأنّ الحديث في المنزّل لا في المنزّل عليه، فمن حقّه أن لا يرد الضمير إلى غيره، لأنّ المعنى: وإن ارتبتم في أنّ القرآن منزّل من عند الله فهاتوا أنتم نبذاً مما يماثله ويجانسه.

وإن كان الضمير مردوداً إلى رسول الله ﷺ فالمعنى: وإن ارتبتم في أنّ محمّداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله.

والشهداء: جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة، والمعنى: ادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى فإنّه القادر على أن يأتي بمثله دون كل شاهد.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

لما أرشدهم سبحانه إلى الوجه الذي منه يعرفون صحة نبوة النبي ﷺ قال لهم: فإذا لم تعارضوه بسورة مثله، ولم يتيسر لكم ذلك، وبان لكم أنّه معجز، فآمنوا واتقوا النار المعدّة لمن كذّب به.

وفيه دليلان على إثبات نبوته: صحة كون القرآن معجزاً، والإخبار بأنّهم لن يفعلوا أبداً، وهو غيب لا يعلمه إلا الله تعالى.

والوقود: ما يوقد به النار وهو الحطب، والمعنى في قوله: ﴿وَقُودُهَا

---

(١) الإسراء: ٨٨.

﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ إنّها نار ممتازة عن النيران الأخر، بأنّها لا تتقد إلا بالناس والحجارة. وقرن الناس بالحجارة، لأنّهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا، حيث نحتوها أصناماً، وجعلوها لله أنداداً وعبدوها من دونه، قال سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾(١).

ومعنى ﴿أُعِدَّتْ﴾: هيّئت وجعلت عدّة لعذابهم.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

ثم ذكر سبحانه الترغيب بعد الترهيب، وشفع الإنذار بالبشارة، فبشّر عباده الذين جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال، بعد أن أنذر الكفار وأوعدهم بالعذاب والنكال. والبشارة: الإخبار بما يظهر سرور المخبر به.

والجنّة: البستان من النخل والشجر، وأصلها من الستر، فكأنّها لتكاثفها والتفاف أغصان أشجارها سمّيت بالجنّة التي هي المرة من مصدر (جنّه) إذا ستره.

ولولا أنّ الماء الجاري من أعظم النعم وأكبر اللذات، لما جاء الله سبحانه بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها في قرن واحد، كالشيئين لابد لأحدهما من صاحبه. وإسناد الجري إلى الأنهار إسناد مجازي، كقولهم: بنو فلان يطؤهم الطريق.

---

(١) الأنبياء: ٩٨.

وإنّما نكّرت الجنات، لأنّ دار الثواب تشتمل على جنات كثيرة مرتبة على حسب استحقاق كل طبقة من أهلها. وعرّفت الأنهار لإرادة الجنس، كما تقول: لفلان بستان فيه الماء الجاري والعنب والفواكه، أو يراد الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ... الآية﴾[1].

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾ إما أن يكون صفة ثانية لـ﴿جَنَّتٍ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف، أو جملة مستأنفة. والمعنى: إنّهم كلما رزقوا من أشجار الجنات نوعاً من أنواع الثمار رزقاً ﴿قَالُوا هَٰذَا﴾ مثل ﴿ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ وشبهه، بدليل قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾، وهذا كقولك: أبو يوسف[2] أبو حنيفة[3]، تريد أنّه لاستحكام الشبه كأنّ ذاته ذاته.

والضمير في قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ﴾ يرجع إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعاً، لأنّ قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين. ويجوز أن يرجع الضمير في ﴿وَأُتُوا بِهِۦ﴾ إلى الرزق، كما أنّ ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إليه. فيكون المعنى: إنّ ما يرزقونه من ثمرات الجنّة يأتيهم متجانساً في نفسه، كما يحكى عن الحسن: (يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بالأخرى، فيقول: هذا الذي أُتينا به من قبل، فيقول الملك: كل فاللون واحد والطعم مختلف)[4].

﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ طهرن مما يختص بالنساء من الحيض، وما

---

(١) محمّد: ١٥.

(٢) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، صاحب أبي حنيفة، ولد سنة ١١٣هـ وتوفي سنة ١٨٢ هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج٥: ٤٢١، معجم رجال الحديث ج٢٢: ١١١.

(٣) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي بالولاء، صاحب المذهب، ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٥٠هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج٥: ٣٩.

(٤) الكشاف ج١: ١٠٩.

لا يختص بهنّ من الأقذار والأدناس، ويدخل تحت ذلك الطهر من دنس الطباع وسائر العيوب.

والخلد: الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

لما ضرب الله تعالى المثلين للمنافقين قبل هذه الآية، قالوا: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فنزلت الآية[١]، لبيان أنّ ما استنكروه من أن تكون المحقّرات من الأشياء مضروباً بها المثل ليس بموضع للاستنكار، لأنّ في التمثيل كشف المعنى ورفع الحجاب عن المطلوب، فإن كان الممثّل له عظيماً كان المتمثّل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثّل به كذلك.

ووصف القديم سبحانه بالحياء في مثل قوله ﷺ: ((إنّ الله حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردّهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً))[٢] جارٍ مجرى التمثيل، لأنّ الحياء تغيّر وانكسار يعتري الإنسان من تخوّف ما يعاب به ويذم، واشتقاقه من الحياة، يقال: حيي الرجل، كما يقال: نسي، وحشي، وشظي الفرس: إذا اعتلّت منه هذه الأعضاء.

جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار منتقص الحياة، فمثّل تركه سبحانه تخييب

---

(١) أسباب النزول: ٢١.

(٢) مصنف عبد الرزاق ج٢: ٢٥١، وينظر: من لا يحضره الفقيه ج١: ٢١٣.

العبد لكرمه بترك من ترك ردّ المحتاج إليه حياء منه. وكذلك المعنى في الآية: إنّ الله تعالى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها.

و﴿مَّا﴾ هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت بنكرة زادته شياعاً، تقول: أعطني كتاباً ما، أو هي صلة زيدت للتأكيد نحو التي في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾[1]. والمعنى: إنّ الله لا يستحيي ولا يترك أن يتمثل للأنداد بما لا شيء أصغر منه وأقلّ.

وانتصب ﴿بَعُوضَةً﴾ بأنّها عطف بيان أو مفعول لـ﴿يَضْرِبَ﴾، و﴿مَثَلًا﴾ حال عن النكرة مقدّمة عليه، أو انتصبا مفعولين لـ﴿يَضْرِبَ﴾، لأنّه أجري مجرى (جعل).

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فيه معنيان:

أحدهما: فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً، وهو القلة والحقارة.

والآخر: فما زاد عليها في الحجم.

و﴿الْحَقُّ﴾: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، يقال: (حقّ الأمر) إذا ثبت ووجب.

و﴿مَاذَآ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون (ذا) اسماً موصولاً بمعنى (الذي) فيكون كلمتين.

والآخر: أن يكون (ذا) مركّبة مع (ما) فتكون كلمة واحدة.

والضمير في ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ للمثل أو لـ﴿أَن يَضْرِبَ﴾، و﴿مَثَلًا﴾ نصب

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

على التمييز.

وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ جارٍ مجرى التفسير والبيان للجملتين المتقدّمتين، وأنّ فريق العالمين بأنّه الحقّ وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأنّ العلم بكونه حقّاً من باب الهدى، وأنّ الجهل بحسن مورده من باب الضلالة.

وإسناد الإضلال إلى الله سبحانه إسناد الفعل إلى السبب، لأنّه لما ضرب المثل فضلّ به قوم واهتدى به قوم تسبّب لضلالتهم وهداهم.

والفسق: الخروج عن طاعة الله.

ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ
أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

النقض: الفسخ، وشاع استعمال النقض في إبطال العهد من جهة أنّهم سمّوا العهد بالحبل على الاستعارة، ومنه قول ابن التيّهان[١] في بيعة العقبة: (يا رسول الله إنّ بيننا وبين القوم حبالاً ونحن قاطعوها، فنخشى إنِ الله أعزّك وأظهرك أن ترجع إلى قومك)[٢].

و﴿عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ هو ما ركز في عقولهم من الحجّة على التوحيد، [أو ما أخذ عليهم في التوراة من إتباع محمّد ﷺ][٣]، أو ما أخذ عليهم من الميثاق بأنّه إذا بعث

(١) أبو الهيثم مالك بن التيهان الانصاري الأوسي، كان أحد النقباء في بيعة العقبة، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وشهد صفين مع الإمام علي عليه السلام واستشهد بها. ينظر: الإصابة ج٤: ٢١٢، معجم رجال الحديث ج٢٢: ٩٨.

(٢) سيرة ابن هشام ج٢: ٩٦.

(٣) ساقطة من ج.

إليهم رسول مؤيد بالمعجزات صدّقوه واتبعوه.

والضمير في ﴿مِيثَـٰقِهِۦ﴾ للعهد. ويجوز أن يكون الميثاق بمعنى: التوثقة، كما أنّ الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة. ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله، أي: من بعد توثقته عليهم.

ومعنى قطعهم ﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين. وقيل: قطعهم ما بين الأنبياء من الاجتماع على الحقّ في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض(١).

والأمر: طلب الفعل ممن هو دونك، وبه سمّي الأمر الذي هو واحد الأمور، لأنّ الداعي الذي يدعو إليه شبّه بآمر يأمر به.

﴿هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ لأنّهم استبدلوا النقض بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾

معنى الهمزة التي في ﴿كَيْفَ﴾ مثله في قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان، وهو الإنكار والتعجب.

والواو في قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ للحال، أي وقصّتكم هذه وحالكم أنّكم كنتم أمواتاً نطفاً في أصلاب آبائكم ﴿فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ فجعلكم أحياء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد هذه الحياة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد الموت. وهذا الإحياء الثاني يجوز أن يراد به الإحياء في القبر، وبقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الحشر والنشور، ويجوز أن يراد بالإحياء

---

(١) عن ابن عباس. تفسير السمرقندي ج١: ٦٥.

النشور، وبالرجوع المصير إلى الحساب والجزاء.

وعطف الأول بالفاء، لأنّ الإحياء الأول يعقب الموت بغير تراخ، وعطف الآخرين بـ﴿ثُمَّ﴾، لأنّ الموت قد تراخى عن الإحياء، والإحياء الثاني متراخٍ عن الموت إن أريد به النشور، أو الإحياء في القبر، والرجوع إلى الجزاء أيضاً متراخٍ عن النشور.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

قوله: ﴿لَكُم﴾ أي: لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم، بأن تتمتعوا منه بفنون المطاعم والمناكح والمراكب والمناظر البهيجة، وفي دينكم بأن تنظروا فيه وما يتضمنه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم. وفي هذا دلالة على أنّ أصل الأشياء الإباحة إلى أن يمنع الشرع بالنهي، وجائز لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها.

و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال من قوله: ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

والاستواء: الاعتدال والاستقامة، يقال: استوى العود، ثم قيل: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي إلى شيء، ومنه استعير قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق ما في الأرض، من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر. والمراد بالسماء جهات العلو، كأنّه قال: ثم استوى إلى فوق.

والضمير في ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ ضمير مبهم، و﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ تفسيره،

كقولهم: (ربّه رجلاً). وقيل: الضمير راجع إلى السماء[1]، والسماء في معنى الجنس. ومعنى (سوّاهن): عدّل خلقهن وأتمّه وقوّمه.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلذلك خلق السماوات والأرض خلقاً محكماً متقناً من غير تفاوت على حسب ما اقتضته الحكمة.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

لما ذكر سبحانه إنعامه علينا بخلق السماء والأرض وما فيهما، ذكر نعمته علينا بخلق أبينا آدم عليه السلام.

و﴿وَإِذْ﴾ نصب بإضمار اذكر، ويجوز أن ينتصب بـ﴿قَالُوٓاْ﴾، و﴿جَاعِلٌ﴾ من جعل الذي له مفعولان، والمعنى مصيّر ﴿فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

والخليفة: من يخلف غيره، والمعنى: خليفة منكم، لأنّ الملائكة كانوا سكان الأرض فخلفهم آدم فيها وذريته، واستغنى بذكر آدم عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر أبي القبيلة في قولك: ربيعة ومضر، أو يريد من يخلفكم، أو خلقاً يخلفكم فوحّد لذلك. ويجوز أن يريد خليفة مني، لأنّ آدم كان خليفة الله في أرضه وهو الصحيح، لقوله: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[2].

﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ﴾ إنّما عرفوا ذلك حتى تعجّبوا منه من جهة اللوح، أو عرفوه بإخبار الله تعالى.

---

(١) معاني القرآن للأخفش: ٦٢.

(٢) ص: ٢٦.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ الواو للحال، كما تقول: أتحسن إلى فلان وأنا أحقّ منه بالإحسان. والتسبيح: تبعيد الله من السوء.

و﴿بِحَمْدِكَ﴾ في موضع الحال، أي: نسبّح حامدين لك وملتبسين بحمدك.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ﴾ من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم ولا تعلمونه، ولم يبين لهم تلك المصالح، لأنّ العباد يكفيهم أن يعلموا أنّ أفعال الله تعالى كلها حسنة، وإن خفي عليهم وجه الحكمة، على أنّه قد بيّن لهم بعض ذلك في قوله: [﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا... الآية﴾][1].

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

أي: أسماء المسمّيات كلها، فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء، لأنّ الاسم لابد له من مسمّى، وعوض منه اللام كقوله: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[2]، وليس التقدير: وعلّم آدم مسمّيات الأسماء، فيكون حذفاً للمضاف، لأنّ التعليم يتعلّق بالأسماء لا بالمسمّيات، [لقوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ومعنى تعليمه أسماء][3] المسمّيات أنّه أراه الأجناس التي خلقها، وعلّمه أنّ هذا اسمه فرس وهذا اسمه كذا، وعلّمه أحوالها وما يتعلّق بها من المنافع الدينية والدنيوية .

(١) ساقطة من أ.

(٢) مريم: ٤.

(٣) ساقطة من ج.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: عرض المسمّيات ﴿عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾، وإنّما ذكّر لأنّ في المسمّيات العقلاء فغلّبهم ﴿فَقَالَ﴾ للملائكة: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي: في زعمكم أنّي أستخلف في الأرض من يفسد فيها إرادة للرد عليهم، وليبيّن أنّ في من يستخلفه من الفوائد العلمية ـ التي هي أصول الفوائد كلها ـ ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا، فبيّن لهم بذلك بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

قالت الملائكة: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن أن يعلم الغيب أحد سواك، أو تعظيماً لك عن أن يعترض عليك في حكمك.

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ وليس هذا في ما علمتنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بجميع المعلومات، وهو صيغة مبالغة للعالم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ المحكم لأفعاله.

﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿أَنۢبِئْهُم﴾ أي: أخبر الملائكة ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ علّق الإنباء بالأسماء لا بالمسمّيات، فلم يقل: أنبئهم بهم، لما قلناه من أنّ التعليم يتعلّق بالأسماء.

﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم﴾ آدم، أي: أخبر الملائكة ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أي: باسم كل شيء ومنافعه ومضاره وخواصه ﴿قَالَ﴾ سبحانه للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ

﴿غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه، كما أعلم ما حضركم فشاهدتموه.

﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ أي: ما تعلنونه وما تضمرونه.

وفي هذا أنّ تعليمه سبحانه الأسماء كلها بما فيها من المعاني وفتق لسانه بذلك، معجزة أقامها الله تعالى للملائكة، دالة على نبوته وجلالة قدره وتفضيله عليهم.

وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناء متصل عند من ذهب إلى أنّ إبليس من الجن، وكان بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم، ثم استثني منهم استثناء واحد منهم. ويجوز أن يكون منقطعاً.

﴿أَبَىٰ﴾ أي: امتنع مما أُمر به ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ عنه ﴿وَكَانَ مِنَ﴾ جنس كافري الجن وشياطينهم. ولاشك أنّ الاستثناء متصل عند من ذهب إلى أنّه من الملائكة.

وفي الآية دلالة على فضل آدمعليه السلام على جميع الملائكة، لأنّه قدّمه على الملائكة إذ أمرهم بالسجود له، ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل. ولو لم يكن سجود الملائكة له على وجه التعظيم لشأنه وتقديمه عليهم، لم يكن لامتناع إبليس عن السجود له، وقوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[1]، وقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾[2]؛ وجه، ولكان يجب على الله تعالى أن يعلمه أنّه لم يأمره بالسجود له على

---

(١) الإسراء: ٦٢.

(٢) ص: ٧٦.

وجه تعظيمه وتفضيله عليه، ولما جاز أن يفعل ذلك إذا كان ذلك سبب معصية إبليس، فعلمنا أنّه لم يكن ذلك إلا على وجه التفضيل له عليهم.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَنتَ﴾ تأكيد للضمير المستكن في ﴿ٱسْكُنْ﴾ ليصح العطف عليه، و﴿رَغَدًا﴾ وصف للمصدر، أي: أكلاً رغداً واسعاً رافهاً، و﴿حَيْثُ﴾ للمكان المبهم، أي: أيّ مكان من الجنّة ﴿شِئْتُمَا﴾. والمعنى: اتخذ أنت وامرأتك الجنّة مسكناً ومأوى.

﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ أي: من الجنّة كثيراً واسعاً حيث شئتما من بقاع الجنّة.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: لا تأكلا منها، والمعنى: لا تقرباها بالأكل. وهو نهي تنزيه عندنا لا نهي تحريم، وكانا بالتناول منها تاركين نفلاً وفضلاً.

﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الباخسين الثواب [والناقصين للحظ](١) لأنفسكما بترك هذا المندوب إليه. [فصورته النهي والمعنى الأمر، أي: اتركا واهجرا، وهكذا قوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾(٢) صورته الأمر ومعناه النهي، ولا يجوز أن يحمل على ظاهر النهي فتصير نهياً لكراهة الناهي المؤكل عنه، والحكيم لا ينهى إلا عن القبيح، والقبيح على الأنبياء غير جائز.

والشجرة المنهية عنها الحنطة. وقيل: الكافور(٣). وقيل: التين والعنب(٤)](٥).

---

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) فصلت:٤٠.

(٣) عن علي عليه السلام. التبيان ج١: ١٥٨، معالم التنزيل ج١: ٢٢.

(٤) عن ابن عباس وغيره: العنب، وعن ابن جريج: التين. تفسير الطبري ج١: ٨٤.

(٥) ساقطة من أ، ج، ط.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أي: حملهما على الزلة.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ يعني: إبليس، نسب الزلة إلى الشيطان لما وقعت بدعائه ووسوسته.

﴿عَنۡهَا﴾ عن الجنّة.

﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من المنزلة والنعمة والدعة، وأضاف الإخراج إلى الشيطان لأنّه كان السبب فيه، وإنّما أخرج الله آدم من الجنّة، لأنّ المصلحة اقتضت بعد تناوله الشجرة إهباطه إلى الأرض وابتلاءه بالتكليف وسلبه ثياب الجنّة، كما تقتضي الحكمة الإفقار بعد الإغناء، والإماتة بعد الإحياء. ومن قرأ: فأزالهما، فالمعنى: فأزالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة أو من الجنّة.

﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ﴾ خطاب لآدم وحواء، والمراد: هما وذريتهما، لأنّهما لما كانا أصل الإنس جعلا كأنّهما الإنس كلهم، ويدلّ عليه قوله في موضع آخر: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[(١)]. والمعنى فيه: ما عليه الناس من التعادي والمخالفة وتضليل بعضهم لبعض.

والهبوط: النزول إلى الأرض، والمستقر: موضع الاستقرار أو الاستقرار.

﴿وَمَتَٰعٌ﴾ أي: تمتع بالعيش ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ إلى يوم القيامة، وقيل: إلى الموت[(٢)].

---

(١) طه: ١٢٣.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج١: ١٩٢.

قال ابن السراج[١]: (لو قيل: (ولكم في الأرض مستقر ومتاع) لظن أنّ ذلك غير منقطع، فقيل: (إلى حين) أي: إلى حين انقطاعه)[٢].

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾

معنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها، أي: أخذها ﴿رَّبِّهِۦ﴾ على سبيل الطاعة، ورغب إلى الله بها، أو سأله بحقّها ﴿فَتَابَ﴾ الله ﴿عَلَيۡهِ﴾. ومن قرأ: فتلقى آدمَ ـ بالنصب ـ كلماتٌ ـ بالرفع ـ فالمعنى: إنّ الكلمات استقبلت آدم عليه السلام بأن بلغته.

والكلمات هي قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣]، وقيل: هي قوله: لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت[٤]، وفي رواية أهل البيت عليهم السلام: إنّ الكلمات هي أسماء أصحاب الكساء عليهم السلام[٥]. واكتفى بذكر توبة آدم عن ذكر توبة حواء لأنّها كانت تبعاً له.

و﴿ٱلتَّوَّابُ﴾: الكثير القبول للتوبة، وهو في صفة العباد: الكثير التوبة.

﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾

---

(١) أبو بكر محمّد بن السري البغدادي المعروف بـ(ابن السراج)، أحد الأئمّة المشاهير في النحو والأدب، كان أحدث أصحاب المبرّد سناً، وله تصانيف مشهورة في النحو، توفي شاباً سنة ٣١٦ هـ. ينظر: بغية الوعاة ج١: ١٠٩.

(٢) التبيان ج١: ١٦٥.

(٣) الأعراف: ٢٣.

(٤) عن ابن مسعود. الكشاف ج١: ١٢٨.

(٥) تفسير العياشي ج١: ٤١، وفي الدر المنثور ج١: ٦٠ عن ابن عباس مرفوعاً.

كرر سبحانه ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ للتأكيد، ولما تبعه من قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ أي: فإن يأتكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم.

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ بأن يقتدي برسولي ويؤمن به وبكتابه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فوت الثواب.

وجواب الشرط الأول الشرط الثاني مع جوابه، [كقولك: إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك](١).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ جحدوا رسلنا ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ بدلالاتنا فـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الملازمون للنار ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: دائمون مؤبدون.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ٤٠﴾

لما عمّ سبحانه جميع خلقه بالخطاب، وذكر لهم الحجج على توحيده، وعدّد عليهم صنوف نعمه؛ خصّ بني إسرائيل [عقيب ذلك بذكر ما أسداه إليهم من النعم، فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾](٢). وإسرائيل هو (يعقوب) لقب له، ومعناه في لسانهم: (صفوة الله)، وقيل: (عبد الله)(٣).

﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا تخلّوا بشكرها واستعظموها، وأراد

---

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١: ١٩٧.

بالنعمة: ما أنعم به على آبائهم من كثرة الأنبياء فيهم، وإنجائهم من فرعون، وغير ذلك مما عدّده سبحانه عليهم.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ أي: بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب. وقيل: أوفوا بعهدي في محمّد ﷺ أنّ من آمن به كان له أجران، ومن كفر به تكاملت أوزاره؛ أوف بعهدكم أدخلكم الجنّة[1].

﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أي: فلا تنقضوا عهدي، وهو من قولك: زيداً رهبته. فـ(إياي) ضمير منصوب بفعل مضمر يفسّره (ارهبون).

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾

أي: وصدّقوا بما أنزلته على محمّد من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي: أول من كفر به، أو أول فريق كافر به، أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به، كما يقال: كسانا الأمير حلّة، أي: كسا كل واحد منا حلّة. وهذا تعريض بأنّه كان يجب أن يكون اليهود أول من يؤمن به، لمعرفتهم به وبصفته، ولأنّهم كانوا يبشّرون الناس بزمانه، ويستفتحون على الذين كفروا، وكانوا يقولون: إنّا نتبعه أول الناس كلهم، فلما بعث كان أمرهم على العكس، كقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[2]. وقيل: الضمير في ﴿بِهِ﴾

(١) تفسير ابن عباس ج١: ٢٠ باختصار.

(٢) البقرة: ٨٩.

لما معكم[(١)]، لأنّهم إذا كفروا بما يصدّقه فقد كفروا به.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الاشتراء استعارة للاستبدال، كما في قوله: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾[(٢)] أي: لا تستبدلوا بآياتي ثمناً، وإلا فالثمن هو المشترى به. والثمن القليل: الرئاسة التي كانت لهم في قومهم خافوا فوتها باتباعه فاستبدلوها بآيات الله.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الباء في قوله: ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ يجوز أن تكون مثل ما في قولك: لبست الشيء بالشيء: خلطته به، فيكون المعنى: ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحقّ بالباطل. ويجوز أن تكون باء الاستعانة كما في قولك: كتبت بالقلم فيكون المعنى: ولا تجعلوا الحقّ ملتبساً مشتبهاً بباطلكم الذي تكتبونه.

﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾ جزم معطوف على ﴿تَلْبِسُوا۟﴾ بمعنى: ولا تكتموا، أو منصوب بإضمار (أن)، أي: ولا تجمعوا بين لبس الحقّ بالباطل وكتمان الحقّ، كقولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّه حقّ وتجحدون ما تعلمون.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

أي: وأدّوا ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بأركانها، وأعطوا ما فرض الله عليكم من ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ من المسلمين، لأنّ اليهود لا ركوع لهم في صلاتهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج١: ١٢٣.

(٢) البقرة: ١٧٥.

وقيل: إنّ المراد به صلاة الجماعة(١).

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم. والبِرّ: سعة الخير، ومنه (البَرّ) لسعته، ويتناول كل خير، ومنه قولهم: صدقت وبررت، وكانوا يأمرون أقاربهم في السرّ باتباع محمّد ولا يتبعونه.

﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ تتركونها من البر.

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ تبكيت، مثل قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢)، يعني: تتلون التوراة وفيها صفة محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ عظيم بمعنى: أفلا تفطنون لقبح ما تقدمون عليه، فيصدكم استقباحه عن ارتكابه فكأنّكم قد سلبت عقولكم.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ في حوائجكم إلى الله بالجمع بين الصبر والصلاة، وأن تصلّوا صابرين على تكاليف الصلاة، وما يجب فيها من إخلاص القلب ودفع الوساوس، أو واستعينوا على البلايا بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة. وقيل: الصبر: الصوم(٣)، ومنه قيل لشهر رمضان: شهر الصبر.

---

(١) تفسير ابن عباس ج١: ٢١.

(٢) آل عمران: ٧١.

(٣) عن الصادق عليه السلام. تفسير العياشي ج١: ٤٣.

﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير للصلاة أو للاستعانة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقة ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ لأنّهم الذين يتوقعون ما ادّخر للصابرين على مشاقها فتهون عليهم. والخشوع: الإخبات والتطامن. والخضوع: اللين والانقياد.

[﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾][1] أي: يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده. وفي مصحف عبد الله[2]: يعلمون، ولذلك فسّر ﴿يَظُنُّونَ﴾ بـ(يتيقنون)[3]، وكان النبي ﷺ يقول: ((يا بلال[4] روِّحنا))[5]، وقال: ((وجعلت قرّة عيني في الصلاة))[6].

يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ في موضع نصب عطف على ﴿نِعْمَتِيَ﴾ أي: اذكروا نعمتي وتفضيلي إيّاكم.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على الجم الغفير من الناس، كقوله: ﴿بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[7]،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) عبد الله بن مسعود الهذلي الصحابي المشهور، أحد السابقين إلى الإسلام، شهد بدراً والحديبية، توفي سنة ٣٢هـ بالمدينة. ينظر: الاستيعاب ج٢: ٣١٦، معجم رجال الحديث ج١٠: ٣٣٧.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج١: ٢٠٧.

(٤) بلال بن رباح مؤذن النبي، الصحابي المشهور، كان من السابقين إلى الإسلام شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، مات بالشام سنة ٢١ أو ٢٢ هـ. ينظر: الاستيعاب ج١: ١٤١، معجم رجال الحديث ج٣: ٣٥٨.

(٥) سنن أبي داود ج٤: ٢٩٨ ح٤٩٨٥ بالمعنى.

(٦) الخصال: ١٥٥، سنن النسائي ج٧: ٦٢.

(٧) الأنبياء: ٧١.

يقال: رأيت عالماً من الناس، يراد به الكثرة. أو تفضيلي إيّاكم في أشياء مخصوصة كإنزال المن والسلوى، والآيات الكثيرة كفلق البحر، وتغريق فرعون، وكثرة الرسل فيكم.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ يريد يوم القيامة ﴿لَّا تَجْزِى﴾ أي: لا تقضي ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ حقّاً وجب عليها لله أو لغيره، كقوله: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾(١). وهذه الجملة منصوبة الموضع صفة لـ﴿يَوْمًا﴾ والعائد منها إلى الموصوف محذوف تقديره: لا تجزي فيه، حذف الجار ثم حذف الضمير. ومعنى التنكير إنّ نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئاً من الأشياء.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ هذا مختص باليهود، فإنّهم قالوا: آباؤنا يشفعون لنا، فأويسوا، لأنّ الأمة مجمعة على أنّ لنبينا صلوات الله عليه وآله شفاعة مقبولة وإن اختلفوا في كيفيتها، وإجماعها حجّة.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي: فدية، لأنّها معادلة للمفدي.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعني: ما دلّت عليه النفس المنكّرة من النفوس الكثيرة، والتذكير بمعنى العباد والأناسي كما قالوا: ثلاثة أنفس.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

أصل ﴿ءَالِ﴾ أهل، ولذلك صغّر بـ(أهيل)، فأبدلت هاؤه ألفاً، وخصّ استعماله بأولي الخطر والشأن كالملوك وأشباههم.

---

(١) لقمان: ٣٣.

و﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ علم لمن ملك العمالقة، مثل (قيصر) لملك الروم، و(كسرى) لملك الفرس.

﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾ من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً، وأصله من سام السلعة إذا طلبها،كأنّه بمعنى يبغونكم ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ ويريدونكم عليه. و السوء: مصدر السيئ، وسوء الفعل قبحه.

و﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بيان لـ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾، ولذلك ترك العاطف. وإنّما فعلوا بهم ذلك لأنّ الكهنة أنذروا فرعون بأنّه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما أنذر نمرود، فلم يغن عنهما تحفّظهما وكان ما شاء الله أن يكون.

والبلاء: المحنة إن أشير بـ﴿ذَٰلِكُم﴾ إلى صنيع فرعون، والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء.

وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم، يقال: فرق بين الشيئين وفرّق ـ بالتشديد ـ بين الأشياء.

والمعنى في ﴿بِكُمُ﴾ إنّهم كانوا يسلكونه ويتفرّق الماء عند سلوكهم، فكأنّما فرق بهم. ويجوز أن يراد بسببكم وبسبب إنجائكم. ويجوز أن يكون في موضع الحال بمعنى: فرقناه ملتبساً بكم.

وروي: أنّ بني إسرائيل قالوا لموسى: أين أصحابنا لا نراهم؟ فقال: سيروا فإنّهم على طريق مثل طريقكم، قالوا: لا نرضى حتى نراهم، فقال: اللهم أعنّي

على أخلاقهم السيئة، فأوحى الله إليه: أن قل بعصاك هكذا، فصارت فيها كوى[(١)] وسمع بعضهم كلام بعض[(٢)].

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى ذلك وتشاهدونهم لا تشكون فيه.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾

أي: وعدنا موسى أن ننزل عليه التوراة، وضربنا له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجّة.

وقيل: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لأنّ الشهور عددها بالليالي. ومن قرأ: واعدنا، فلأنّ الله تعالى وعده الوحي، ووعد هو المجيء للميقات إلى الطور.

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد مضيّه إلى الطور ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ باتخاذكم العجل إلهاً.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد ارتكابكم الأمر العظيم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة في العفو عنكم.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا﴾ أي: واذكروا إذ أعطينا ﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ أي: الجامع بين كونه كتاباً منزلاً وفرقاناً فارقاً بين الحقّ والباطل يعني التوراة، كقولك: (رأيت الغيث والليث) أي: الرجل الجامع بين الجود والجرأة، ونحوه

---

(١) كوى: جمع كوة، وهي نقب البيت. (الصحاح: مادة كوى)

(٢) تفسير الطبري ج١: ٢١٩.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا﴾[١] أي: الكتاب الجامع بين كونه فرقاناً وضياء وذكراً.

ويجوز أن يريد بـ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة و بـ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ البرهان الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام، أو انفراق البحر، أو النصر الذي فرّق بينه وبين عدوه، كقوله: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾[٢] يريد يوم بدر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٤﴾

واذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ لعبدة العجل من قومه بعد رجوعه إليهم: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ﴾ أضررتم ﴿أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ معبوداً.

والبارئ: الذي برأ الخلق بريئاً من التفاوت، ومتميّزاً بعضهم من بعض بالصور والأشكال المختلفة.

﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ﴾ خالقكم ومنشئكم.

﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتل بعضكم بعضاً. أمر من لم يعبد العجل أن يقتل من عبده. روي: أنّ الرجل كان يبصر ولده وقريبه فلم يمكنهم إمضاء أمر الله سبحانه، فأرسل الله عليهم ضبابة لا يتراءون تحتها، وأُمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم، وأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم فقتلوهم إلى المساء حتى دعا موسى وهارون، وقالا: يا ربّ، هلكت بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشفت الضبابة

(١) الأنبياء: ٤٨.

(٢) الأنفال: ٤١.

ونزلت التوبة، فسقطت الشفار من أيديهم، وكانت القتلى سبعين ألفاً[١].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى التوبة مع القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ من إيثار الحياة الفانية. وكرّر ذكر بارئكم تعظيماً لما أتوا به مع كونه خالقاً لهم.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ تقديره: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ القابل للتوبة عن عباده، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قيل: إنّ القائلين هذا القول هم السبعون الذين صعقوا[٢].

أي: لن نصدّقك في قولك ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ﴾ عياناً، وهي مصدر من قولك: جهر بالقراءة، كأنّ الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية، والذي يرى بالقلب مخافت بها. وانتصابها على المصدر، لأنّها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس؛ أو على الحال بمعنى ذوي جهرة.

و﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ نار وقعت من السماء فأحرقتهم. وقيل: صيحة جاءت من السماء[٣]. والظاهر أنّه أصابهم ما ينظرون إليه فخرّوا صعقين ميتين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

ثم أحييناكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ لاستكمال آجالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله بعدما كفرتموها إذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة، أو لعلكم تشكرون

---

(١) العرائس: ١٢٥.

(٢) عن الربيع بن أنس. تفسير الطبري ج١: ٢٣٢.

(٣) عن الربيع بن أنس. تفسير الطبري ج١: ٢٣٢.

نعمة البعث بعد الموت.

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ
كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

وجعلنا ﴿ٱلْغَمَامَ﴾ يظلّكم، وكان ذلك في التيه، سخّر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلّهم من الشمس، وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ كان ينزل عليهم الترنجبين مثل الثلج، ويبعث الله الجَنوب[١] فتحشر عليهم السلوى وهي السماني[٢] فيذبح الرجل منها ما يكفيه.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ على إرادة القول.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يعني: فظلموا بأن كفروا هذه النعمة وما ظلمونا، فاختصر لدلالة ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ عليه.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟
ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحا من قرى الشام[٣]، أمروا بدخولها بعد التيه.

---

(١) الجنوب ـ بفتح الجيم ـ: الريح التي تقابل الشمال. (الصحاح: مادة جنب).

(٢) السماني: طائر يلبد بالأرض ولا يكاد يطير إلا أن يطار. حياة الحيوان الكبرى ج٢: ٢٦.

(٣) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج١: ٢٣٧.

و﴿ٱلْبَابَ﴾ باب القرية. وقيل: هو باب القبّة التي كانوا يصلّون إليها.

وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى، أُمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكراً لله وتواضعاً. وقيل: السجود أن ينحنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع(١). وقيل: طؤطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها(٢).

﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ هي فعلة من الحطّ كالجلسة والركبة، وهي خبر مبتدأ محذوف، أي: مسألتنا حطّة. والأصل النصب بمعنى: حطّ عنا ذنوبنا حطّة، ورفع ليعطي معنى الثبات، كقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾(٣). وروي عن الباقرعليه السلام أنّه قال: ((نحن باب حطّتكم))(٤).

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ومن كان محسناً منكم كانت تلك الكلمة سبباً في زيادة ثوابه، ومن كان مسيئاً يغفر له ويصفح عن ذنوبه.

فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

أي: فخالف الذين عصوا ووضعوا مكان ﴿حِطَّةٌ﴾، ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: ليس معناه معنى ما أُمروا به، ولم يمتثلوا أمر الله، وقيل: إنّهم قالوا مكان ﴿حِطَّةٌ﴾: حنطة(٥). وقيل: قالوا: حطا سمقاثا(٦)، أي: حنطة حمراء، استهزاء منهم

---

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١: ٢٣٨.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١: ٢٤١.

(٣) يوسف: ١٨.

(٤) تفسير العياشي ج١: ٤٥.

(٥) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١: ٢٤١.

(٦) عن ابن مسعود. تفسير الطبري ج١: ٢٤١.

بما قيل لهم.

وفي تكرير ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ زيادة في تقبيح أمرهم، وإيذان بأنّ إنزال العذاب عليهم لظلمهم. والرجز: العذاب، وروي: أنّه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً من كبرائهم[1].

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

عطشوا في التيه، فاستسقى موسى لهم ودعا لهم بالسقيا.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ اللام إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم، فقد روي: أنّه حجر حمله معه من الطور، وكان حجراً مربعاً له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي هي له[2]. وإما للجنس، أي: اضرب الشيء الذي يقال له: الحجر، فقد روي عن الحسن: (أنّه لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه، قال: وهذا أظهر في الحجّة وأبين في القدرة)[3].

﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ أي: ضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ لكل سبط عين.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ يريد كل سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ عينهم التي يشربون منها.

---

(١) التبيان ج١: ٢٦٨.

(٢) عن عطاء. معالم التنزيل ج١:٢٩.

(٣) الكشاف ج١: ١٤٤.

﴿كُلُوا۟﴾ على إرادة القول ﴿وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ مما رزقكم الله من الطعام والشراب وهو المن والسلوى وماء العيون. وقيل: الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ العثي: أشدّ الفساد، أي: لا تتمادوا في الفساد.

﴿مُفْسِدِينَ﴾ أي: في حال إفسادكم.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ نسب قول أسلافهم إليهم ﴿يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ أرادوا بالواحد مالا يختلف ولا يتبدّل، ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدّلها، جاز أن يقال: لا يأكل فلان إلا طعاماً واحداً، ويراد بالوحدة: نفي التبدّل والاختلاف.

﴿فَٱدْعُ لَنَا﴾ أي: لأجلنا ﴿رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ أي: يظهر لنا ويوجد لنا.

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا﴾ البقل: ما أنبتته الأرض من الخضر، والفوم: الحنطة، ومنه: فوّموا لنا أي: اختبزوا. وقيل: هو الثوم[1]. قيل: إنّهم كانوا قوماً

---

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج١: ٢٤٧.

فلاحة فنزعوا إلى أصلهم، ولم يريدوا إلا ما ألفوه وضروا به من الأشياء المتفاوتة، كالبقول والحبوب ونحو ذلك.

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أي: هو أقرب منزلة وأدون مقداراً، والدنو والقرب يعبّر بهما عن قلة المقدار، فيقال: هو أدنى المحلّ وقريب المنزلة، كما يعبّر بالبعد عن عكس ذلك، فيقال: بعيد المحلّ وبعيد الهمة، يريدون الرفعة والعلو.

﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ أي: انحدروا إليه من التيه، ويمكن أن يريد الاسم العلم، وصرفه مع اجتماع السببين: العلم والتأنيث لسكون وسطه، وإن أريد به البلد فما فيه إلا سبب واحد.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي: جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما أنّ من ضربت عليه القبة يكون فيها، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه، فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة: إما على الحقيقة، وإما لتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية.

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: صاروا أحقّاء بغضبه من قولهم: باء فلان بفلان إذا كان حقيقاً بأن يقتل به لمساواته له.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من ضرب الذلة والمسكنة، وكونهم أهل غضبه.

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء قتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ معناه: أنّهم قتلوهم بغير الحقّ عندهم، لأنّهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ تكرار للإشارة.

﴿بِمَا عَصَوا﴾ بسبب معصيتهم واعتدائهم حدود الله في كل شيء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بألسنتهم وهم المنافقون، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ تهوّدوا، يقال: هاد وتهوّد إذا دخل في اليهودية، وهو هائد والجمع هود، ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ جمع نصران [يقال: رجل نصران][1]، وامرأة نصرانة، والنصراني الياء فيه للمبالغة كالتي في أحمري، لأنّهم نصروا المسيح، ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ من صبأ إذا خرج من الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية، وعبدوا الملائكة أو النجوم.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يستوجبونه بإيمانهم وأعمالهم.

ومحلّ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ رفع بالابتداء، وخبره: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، لتضمّن ﴿مَنْ﴾ معنى الشرط، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾؛ أو نصب بدل من اسم ﴿إِنَّ﴾ والمعطوف عليه، وخبر ﴿إِنَّ﴾: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

واذكروا ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ بالعمل على ما في التوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ

---

(١) ساقطة من أ، ب، ج.

﴿ٱلطُّورَ﴾ حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق. وذلك أنّ موسى جاءهم بالألواح، فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة فأبوا قبولها، فأمر جبرئيل فقلع الطور من أصله ورفعه فوقهم، وقال لهم موسى: إن قبلتم وإلا أُلقي عليكم، حتى قبلوا وسجدوا لله تعالى ملاحظين إلى الجبل، فمن ثم يسجد اليهود على أحد شقي وجوههم.

﴿خُذُواْ﴾ على إرادة القول، أي: قلنا ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ من الكتاب.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجدّ ويقين وعزيمة.

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ رجاء منكم أن تكونوا متقين.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به.

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ وتوفيقه للتوبة ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لخسرتم.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً
خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

﴿ٱلسَّبْتِ﴾ مصدر سبتت اليهود إذا عظّمت يوم السبت. المعنى: ﴿وَلَقَدْ﴾ عرفتم ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ﴾ أي: جاوزوا ما حدّ لهم في السبت من تعظيمه واشتغلوا بالصيد. وذلك أنّ الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر إلا ظهر يوم السبت، فإذا مضى تفرّقت، فحفروا حياضاً عند البحر وشرعوا إليها الجداول، فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد، فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم.

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ أي: كونوا جامعين بين القردية والخسوء.

﴿ فَجَعَلْنَٰهَا ﴾ يعني: المسخة ﴿نَكَٰلًا ﴾ عبرة تنكل من اعتبرها، أي: تمنعه ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ لما قبلها ﴿وَمَا خَلْفَهَا ﴾ وما بعدها من الأمم والقرون، لأنّ مسختهم ذكرت في كتب الأولين [فاعتبروا بها][1]، واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين. أو أريد بـ﴿مَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ ما بحضرتها من الأمم.

﴿وَمَوْعِظَةً [أي: زجراً ونهياً][2] لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم، أو لكل متق سمعها.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

كان في بني إسرائيل شيخ موسر قتله قرابة له ليرثوه، فطرحوه على طريق سبط من أسباط بني إسرائيل، ثم جاءوا يطلبون بدمه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله.

﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ أتجعلنا أهل هزو، أو مهزواً بنا أو الهزو نفسه.

﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أي: من المستهزئين، ليدلّ على أنّ الاستهزاء لا يصدر إلا عن الجاهل. وقرئ: هزواً و هزءاً، مثل كفواً وكفؤاً، وبالضمتين والواو فيهما.

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ أي: سل لنا ربّك، وكذا هو في قراءة عبد الله.

---

(١) ساقطة من أ، ب، ج.

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

﴿مَا هِىَ﴾ سؤال عن حالها وصفتها، وذلك أنّهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى، فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ لا مسنّة ولا فتيّة. فرضت البقرة فروضاً أي: أسنّت.

﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نصف وسط بين الصغيرة والكبيرة.

وجاز دخول ﴿بَيْنَ﴾ على ﴿ذَٰلِكَ﴾، لأنّه في معنى شيئين حيث وقع مشاراً به إلى ما ذكر من الفارض والبكر، وجاز أن يشار به إلى مؤنثين لأنّه في تأويل ما ذكر وما تقدّم.

﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ أي: ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به، ويجوز أن يكون بمعنى أمركم أي: مأموركم، تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير.

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

﴿فَاقِعٌ﴾ توكيد لـ﴿صَفْرَآءُ﴾، ولم يقع خبراً عن اللون، و﴿لَّوْنُهَا﴾ فاعله، لأنّ اللون من سبب الصفراء وملتبس بها، فلا فرق بين أن يقول: صفراء فاقع لونها وصفراء فاقعة، وعن وهب[1]: (إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع

(١) وهب بن منبه اليماني الأخباري صاحب القصص، كان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات، مات سنة ١١٤ هـ. ينظر: معجم الأدباء ج١٩: ٢٥٩.

الشمس يخرج من جلدها)[١]. والسرور: لذّة في القلب عند حصول نفع أو توقعه.

وقولهم: ﴿مَا هِيَ﴾ مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها ليزدادوا بياناً لوصفها. وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: ((لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم،ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم، والاستقصاء شؤم))[٢].

﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ أي: إنّ البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيّها نذبح.

﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى البقرة المراد ذبحها، أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل. وفي الحديث: ((لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الأبد))[٣] أي: لو لم يقولوا: إن شاء الله.

﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ لم تذلل للكراب وإثارة الأرض ﴿وَلَا﴾ هي من النواضح فـ﴿تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾.

و﴿لَّا﴾ الأولى للنفي، والثانية مزيدة لتوكيد الأولى، لأنّ المعنى: لا ذلول تثير وتسقي، على أنّ الفعلين صفتان لـ﴿ذَلُولٌ﴾، كأنّه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سلّمها الله من العيوب، أو معفاة من العمل سلّمها أهلها منه، أو مخلصة اللون من سلّم له كذا إذا خلص له.

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لم يشب صفرتها شيء من الألوان، فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها، وهي في الأصل مصدر وشّاه وشياً وشية: إذا خلط بلونه لوناً آخر، ومنه: ثور موشّى القوائم.

---

(١) الدر المنثور ج١: ٧٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ج١: ١٣٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢: ١٣ باختلاف يسير.

(٣) تفسير الطبري ج١: ٢٧٦.

﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بحقيقة وصف البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها ﴿فَذَبَحُوهَا﴾.

وقوله: ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ استبطاء لهم واستثقال لاستقصائهم، أي: ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم. وقيل: وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها(١)، وقيل: لخوف الفضيحة في ظهور القاتل(٢).

فأما اختلاف العلماء في أنّ تكليفهم كان واحداً وهو ذبح البقرة المخصوصة باللون والصفات، أو كان متغايراً وكلما راجعوا تغيّرت مصلحتهم إلى تكليف آخر، فمذكور في كتاب مجمع البيان(٣)، فمن أراد ذلك فليقف عليه هناك.

والنسخ قبل الفعل جائز، وقبل وقت الفعل غير جائز، لأنّه يؤدي إلى البداء.

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾ أي: اختلفتم ﴿فِيهَا﴾ واختصمتم في أمرها، لأنّ المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً أي: يدفعه، أو تدافعتم بأن طرح بعضكم قتلها على بعض فدفع المطروح عليه الطارح، أو دفع بعضكم بعضاً عن البراءة واتهمه.

﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ أي: مظهر ﴿مَّا كُنتُمْ﴾ تكتمونه من أمر القتل ولا يتركه

(١) عن محمّد بن كعب القرظي. تفسير الطبري ج١: ٢٨١.

(٢) عن وهب بن منبه. تفسير الطبري ج١: ٢٨٢.

(٣) مجمع البيان ج١-٢: ١٣٦.

مكتوماً. وهذه جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه وهما﴿ فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ ﴾ و﴿قُلۡنَا ﴾.

والضمير في ﴿ٱضۡرِبُوهُ ﴾إما أن يرجع إلى النفس على تأويل الشخص، أو إلى القتيل لما دلّ عليه قوله: ﴿مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾.

﴿بِبَعۡضِهَا ﴾ ببعض البقرة، والتقدير: فضربوه فحيي ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ فحذف لأنّ ما أُبقي يدلّ على ما أُلقي. روي: أنّهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دماً، وقال: قتلني فلان، فقتل ولم يورّث قاتل بعد ذلك(١).

﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ دلائله على أنّه قادر على كل شيء.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ أي: تعملون على قضية عقولكم في أنّ من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء النفوس كلها، لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث.

وإنّما قدّمت قصّة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل مع تقدّمه، لأنّ الغرض ذكر قصّتين كل واحدة منهما تختص بنوع من التقريع، فلو عمل على عكسه لكانت قصّة واحدة وذهب الغرض في ذلك.

ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾

﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ المعنى في ﴿ثُمَّ ﴾ استبعاد القسوة من بعد ما

---

(١) الكشف والبيان ج١: ٢٢٠.

ذكر مما يوجب لين القلوب ورقّتها من إحياء القتيل وغير ذلك من الآيات.

﴿فَهِيَ﴾ في قسوتها مثل الحجارة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها. والمعنى: إنّ من عرفها شبّهها بالحجارة، أو قال: هي أقسى من الحجارة، أو من عرف حالها شبّهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها.

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ بيان لفضل قسوة قلوبهم على الحجارة. والتفجّر: التفتّح بالسعة والكثرة، والمعنى: إنّ من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ أي: يتشقق، أدغم التاء في الشين، أي: ينشق طولاً أو عرضاً فينبع منه الماء.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ أي: يتردى من أعلى الجبل. والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أُمرت به.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أيّها المكذّبون. ومن قرأ بالياء، فالمراد: عما يعمل هؤلاء أيّها المسلمون.

أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

الخطاب لرسول الله ﷺ والمسلمين، أي: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟﴾ لأجل دعوتكم فيستجيبوا ﴿لَكُمْ﴾ كما قال: ﴿فَآمَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾[1].

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: طائفة من أسلاف اليهود ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ

(١) العنكبوت: ٢٦.

﴿ٱللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ كما حرّفوا صفة رسول الله ﷺ وآية الرجم.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه وضبطوه ولم يبق لهم شبهة في صحته ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنّهم كاذبون، يعني: إن حرّف هؤلاء فلهم سابقة في ذلك.

وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني: اليهود ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بأنّكم على الحقّ، وبأنّ محمّداً هو النبيّ المبشر به في التوراة.

﴿وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾ أي: صاروا في الموضع الذي ليس فيه غيرهم.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بما بيّن لكم في التوراة من صفة محمّد.

﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ ليحتجّوا عليكم بما أنزل ربّكم في كتابه، جعلوا محاجّتهم به وقولهم: هو في كتابكم هكذا محاجّة عند الله، كما يقال: (هو عند الله هكذا)، أو (هو في كتاب الله هكذا) بمعنى واحد، أو يكون المراد ليكون لهم الحجّة عليكم عند الله في إيمانهم بمحمّد إذ كنتم مخبرين بصحة أمره من كتابكم.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أنّ ذلك حجّة عليكم.

﴿أَوَلَا﴾ يعلم هؤلاء اليهود ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من الكفر ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ من الإيمان.

﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾

﴿أُمِّيُّونَ﴾ لا يحسنون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحقّقوا ما فيها.

﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة.

﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ إلا ما هم عليه من أمانيّهم: أنّ الله يعفو عنهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم، وأنّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم. وقيل: إلا أكاذيب مختلقة من علمائهم فيقبلونها على التقليد[١]. كما قال أحدهم: هذا شيء رويته أم تمنّيته، أي: اختلقته. وقيل: إلا ما يقرؤون[٢]، من قول الشاعر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ[٣]

وهذا من الاستثناء المنقطع كقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾[٤].

﴿وَإِنۡ هُمۡ﴾ أي: وما هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: يشكّون وهم متمكّنون من العلم بالحقّ.

﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾

﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ المحرّف ﴿بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ تأكيد، كما تقول: رآه

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الماوردي ج١: ١٥٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ج١: ٤٩.

(٣) ديوان كعب بن مالك: ٢٩٤. وبقيته: وآخره لاقى حمام المقادر.

(٤) النساء: ١٥٧.

بعينه وسمعه بأذنه، والويل: كلمة التحسّر والتفجّع وهو في الآية العذاب.

﴿لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: ليأخذوا به ما كانوا يأخذونه من عوامّهم من الأموال، وصفه بالقلّة لأنّ متاع الدنيا قليل.

وقوله: ﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من الرشا.

وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

وقالت اليهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ أي: لن تصيبنا النار.

﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أي: قلائل أربعين يوماً عدد أيّام عبادة العجل، وعن مجاهد[1]: (قالوا: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنّما نعذّب مكان كل ألف سنة يوماً)[2].

﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ متعلّق بمحذوف تقديره: إن اتخذتم عنده عهداً فلن يخلف الله عهده.

و﴿أَمْ﴾ إما أن تكون معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى: أي الأمرين كائن على سبيل التقرير، لأنّ العلم واقع بكون أحدهما، وإما أن تكون منقطعة بمعنى: بل أتقولون.

---

(١) أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، يعدّ من كبار التابعين، ولد سنة ٢١ هـ، مات سنة ١٠٤ هـ. ينظر: طبقات المفسرين ج٢: ٣٠٥، معجم رجال الحديث ج١٤: ١٩٧.

(٢) تفسير الطبري ج١: ٣٠٣.

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ
أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾

﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ أي: بلى تمسّكم النار على سبيل الخلود بدلالة قوله: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

والسيئة هنا: الشرك، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة[١] وغيرهم[٢]، وهو الصحيح، لأنّ ما عدا الشرك لا يستحقّ به الخلود في النار عندنا.

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أي: أحدقت به من كل جانب كقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٣]، أو أهلكته كقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾[٤]، و﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾[٥]، والمراد: سدّت عليه طريق النجاة. وقيل: المراد بذلك الإصرار على الذنب[٦].

وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...الآية﴾ وعد لأهل التصديق والطاعة بالثواب الدائم، كما أوعد قبله أهل الجحود والإصرار على الكبائر الموبقة بالعقاب الدائم.

---

(١) أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري، يعدّ من كبار التابعين، ولد سنة ٦٠ هـ، توفي سنة ١١٧ هـ بواسط. ينظر: وفيات الأعيان ج٣: ٢٤٨، معجم رجال الحديث ج١٤: ٧٦.

(٢) ينظر: الدر المنثور ج١: ٨٥، تفسير الطبري ج١: ٣٠٥.

(٣) التوبة: ٤٩.

(٤) يوسف: ٦٦.

(٥) الكهف: ٤٢.

(٦) عن عكرمة. معالم التنزيل ج١: ٣٦.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ إخبار في معنى النهي، كما يقال: (تذهب إلى فلان تقول له كذا وكذا)، يراد به الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنّه كأنّه قد سورع إلى امتثاله فأخبر عنه، ويؤيده قراءة عبد الله وأُبيّ: (لا تعبدوا). ولابد من إرادة القول، ويدلّ عليه قوله: ﴿وَقُولُوا۟﴾.

وتقدير قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾:[وتحسنون بالوالدين إحساناً][1]، أو أحسنوا.

وقيل: إنّ قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ جواب القسم، لأنّ أخذ الميثاق في معنى القسم، كأنّه قيل: وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون[2]، وقيل: معناه أن لا تعبدوا، فلما حذف (أن) رفع[3]، كقوله:

ألا أيُّهــذا الزَّاجِـرِي أَحْــضُرَ الوَغَــى[4]

﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: وبذي القربى أن تصلوا قرابته، وباليتامى أن تعطفوا عليهم بالشفقة والرأفة، وبالمساكين أن تؤتوهم حقوقهم.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج١: ١٦٢.

(٣) معاني القرآن للأخفش ج١: ١٣٣.

(٤) ديوان طرفة بن العبد: ٣٣، وفيه: ألا أيهذا اللائمي احضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي.

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ أي: قولاً هو حسن في نفسه لإفراط حسنه. وقرئ: حسناً، وحسنى على المصدر كبشرى. وعن الباقر عليه السلام: ((قولوا للناس ما تحبّون أن يقال لكم))[١].

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أدّوها بحدودها وأركانها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أعطوها أهلها.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ هذا على طريق الالتفات، أي: توليتم عن الميثاق وتركتموه ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ﴾ وهم الذين أسلموا منهم.

﴿وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عادتكم الإعراض عن المواثيق.

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾

﴿لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ أي: لا يفعل ذلك بعضكم ببعض، جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلاً أو ديناً، وقيل: المعنى فيه إنّه إذا قتل غيره فكأنّما قتل نفسه لأنّه يقتص منه.

﴿ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ﴾ بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ عليها. وقيل: أنتم تشهدون اليوم يا معاشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق[٢].

ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ

---

(١) الكافي ج٢: ١٦٥.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١: ٣١٣.

ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ
مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ
أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم، يعني: ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون. يعني: إنّكم قوم آخرون غير أولئك المقرّين تنزيلاً، لتغيّر الصفة منزلة تغيّر الذات، كما تقول: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به.

وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بيان لقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، وقيل: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ موصول بمعنى الذين. وقرىء ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ بحذف التاء، و تظاهرون بإدغامها، والأصل تتظاهرون، أي: تتعاونون عليهم.

﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ وقرئ: أسرى ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ أي: وأنتم مع قتلكم من تقتلون منهم إذا وجدتموه أسيراً في أيدي غيركم فديتموهم، وقتلكم وإخراجكم إيّاهم حرام عليكم كما أنّ تركهم أسرى في أيدي غيركم حرام عليكم، فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوّهم؟! وقرئ: تفدوهم، لأنّ الفعل بين اثنين.

و﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن و﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ خبره، ويجوز أن يكون مبهماً تفسيره ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: بالفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي: بالقتال والجلاء. وذلك أنّ قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضير كانوا حلفاء الخزرج، فكان كل فريق منهم يقاتل مع حلفائه، فإذا غلبوا خرّبوا ديارهم

وأخرجوهم، وإذا أُسر رجل من الفريقين فدوه.

والخزي: قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير، وقيل: الجزية.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ الذي أعدّه الله لأعدائه. وقرئ: (تردّون) و(يعملون) بالتاء والياء.

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

أي: رضوا بـ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ عوضاً من نعيم الآخرة.

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ﴾ عذاب الدنيا بنقصان الجزية وكذلك عذاب الآخرة.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا ينصرهم أحد بالدفع عنهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة، آتاه إيّاها جملة واحدة.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أي: أتبعنا، من القفا، وقفّاه به: أتبعه إيّاه، أي: أرسلنا على إثره كثيراً من الرسل، كقوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ﴾(١).

و﴿عِيسَى﴾ بالسريانية: أيشوع، و﴿مَرْيَمَ﴾ بمعنى الخادم.

و﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار بالمغيّبات.

---

(١) المؤمنون: ٤٤.

﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ بالروح المقدّسة، كما يقال: حاتم الجود، لأنّه لم تضمّه الأصلاب و لا أرحام الطوامث. وقيل: بجبرئيل(١)، وقيل: باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره(٢).

والمعنى: ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ﴾ منهم بالحقّ ﴿ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ عن الإيمان به، فوسّط بين الفاء وما تعلّقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم، ويجوز أن يريد: ولقد آتيناهم ما[آتيناكم](٣) ففعلتم ما فعلتم، ثم وبّخهم على ذلك [بقوله: ﴿فَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ﴾](٤).

ودخول (الفاء) لعطفه على المقدّر، ولم يقل: وفريقاً قتلتم، لأنّه أريد الحال الماضية، لأنّ الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾

﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ جمع أغلف، أي: هي خلقت مغشاة بأغطية لا يصل إليها ما جاء به محمّد ﷺ ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لم يختن، كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾(٥).

ثم ردّ الله عليهم بقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ أي: ليس ذلك كما زعموا: أنّ قلوبهم خلقت كذلك، لأنّها خلقت على الفطرة، لكن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم من رحمته.

---

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج١: ٣٢٠.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١: ٣٢٠.

(٣) في ب: آتيناهم.

(٤) ساقطة من أ، ط.

(٥) فصلت: ٥.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فإيماناً قليلاً يؤمنون. و﴿مَّا﴾ مزيدة، وهو إيمانهم ببعض الكتاب، ويجوز أن يكون القلة بمعنى العدم.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من الكتب المنزلة ـ التوراة والإنجيل وغيرهما ـ لا يخالفها.

وجواب ﴿لَمَّا﴾ محذوف وهو نحو كذّبوا به وما أشبهه. وقيل: إنّ قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ في موضع جواب ﴿لَمَّا﴾ الأول، وكرر ﴿لَمَّا﴾ لطول الكلام، وقيل: إنّ جواب الثاني أغنى عن جواب الأول.

﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: اللهم انصرنا بالنبيّ المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة، وكانوا يقولون: قد أظلّ زمان نبيّ يخرج بتصديق ما قلنا، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ من الحقّ ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ بغياً وحسداً وحرصاً على الرئاسة.

﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ أي: غضبه وعذابه ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: عليهم، وضع الظاهر موضع الضمير.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو

بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

(ما) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل (بئس)، أي: بئس شيئاً ﴿ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ والمخصوص بالذم ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾، و﴿ٱشْتَرَوْا﴾ بمعنى باعوا.

﴿بَغْيًا﴾ أي: حسداً وطلباً لما ليس لهم، وهو مفعول له.

﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: على أن ينزّل الله من فضله الذي هو الوحي والنبوة ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وتقتضي حكمته إرساله.

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ فصاروا أحقّاء لغضب متوال، لأنّهم كفروا بنبيّ الحقّ وبغوا عليه، وقيل: بكفرهم بمحمّد ﷺ بعد عيسى عليه السلام[١].

وقوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مطلق في كل كتاب أنزله الله، وقوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ مقيّد بالتوراة.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: قالوا ذلك والحال أنّهم يكفرون بما وراء التوراة ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ منها غير مخالف له. وفيه ردّ لمقالتهم، لأنّهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها.

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ اعتراض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة، والتوراة لا ترخّص في قتل الأنبياء.

---

(١) عن الشعبي وغيره. تفسير الطبري ج١: ٣٣٠.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾

يعني: ﴿جَآءَكُم مُّوسَىٰ﴾ بالمعجزات الدالة على صدقه.

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً معبوداً من بعد مجيئه، أو من بعد موسى لما مضى إلى ميقات ربّه.

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ وأنتم واضعون العبادة في غير موضعها، فتكون الجملة حالاً؛ أو تكون اعتراضاً، بمعنى: وأنتم قوم عادتكم الظلم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

كرر سبحانه ذكر الطور ورفعه فوقهم، لما في الثانية من الزيادة غير المذكورة في الأولى مع ما فيه من التوكيد.

﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ لما أمرتم به في التوراة.

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك.

﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: تغلغل في بواطنهم وتداخلها حبّ العجل والحرص على عبادته، كما يتداخل الثوب الصبغ. وقوله: ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾ بيان لمكان الإشراب، كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[١].

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: بسبب كفرهم.

---

(١) النساء: ١٠.

﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾ بالتوراة، لأنّه ليس في التوراة عبادة العجل، وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكّم، كما قال قوم شعيب: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾[1]، وكذلك إضافة الإيمان إليهم.

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ تشكيك في إيمانهم، وقدح في صحة دعواهم له.

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤

﴿خَالِصَةٗ﴾ نصب على الحال من ﴿ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ والمراد الجنّة، أي: خالصة لكم خاصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حقّ كما تزعمون في قولكم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾[2].

و﴿ٱلنَّاسِ﴾ للجنس، وقيل: للعهد وهم المسلمون[3].

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ﴾ لأنّ من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاق إليها وتمنّى سرعة الوصول إلى نعيمها، كما روي: أنّ علياًعليه السلام كان يطوف بين الصفين بصفّين في غلالة[4]، فقال له ابنه الحسنعليه السلام: ((ما هذا بزيّ المحاربين))!، فقال: ((يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط، أم عليه سقط الموت))[5]. ويروى: أنّ حبيب

(١) هود: ٨٧.

(٢) البقرة: ١١١.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١: ٣٣٨.

(٤) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً. (الصحاح: مادة غلل)

(٥) الكشاف ج١: ١٦٦.

بن مظاهر[١] ضحك يوم الطف[٢]، فقيل له في ذلك، فقال: (وأيّ موضع أحقّ بالسرور من هذا الموضع؟! والله ما هو إلا أن يقبل علينا هؤلاء القوم بسيوفهم فنعانق الحور العين)[٣].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

هذا من المعجزات لأنّه إخبار بالغيب، وكان كما أخبر به، وفي الحديث: ((لو تمنّوا الموت لغصّ كل إنسان منهم بريقه فمات مكانه، وما بقي على وجه الأرض يهودي))[٤].

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما أسلفوا من موجبات النار من تحريف كتاب الله، والكفر بمحمّد صلى الله عليه وآله، وغير ذلك من أنواع الكفر. والتمنّي: قول الإنسان بلسانه: ليت لي كذا.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديد لهم.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

هو من (وجدت) بمعنى (علمت) في قولهم: وجدت زيداً ذا الحفاظ،

---

(١) حبيب بن مظاهر ـ وقيل: مظهر ـ الأسدي، أدرك النبي صلى الله عليه وآله وعمّر حتى قتل مع الحسين عليه السلام. ينظر: الإصابة ج١: ٣٧٣، معجم رجال الحديث ج٤: ٢٢٧.

(٢) الطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين عليه السلام يوم العاشر من محرّم سنة ٦١ هـ. معجم البلدان ج٤: ٣٦.

(٣) رجال الكشي ج١: ٧٩.

(٤) الكشف والبيان ج١: ٢٣٧.

ومفعولاه ﴿هُمْ﴾ و﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾. ونكّر ﴿حَيَوٰةٍ﴾ لأنّه أراد على حياة مخصوصة متطاولة.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ محمول على المعنى، لأنّ معنى ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾: أحرص من الناس، وجاز ذلك وإن دخل الذين أشركوا تحت الناس، لأنّهم أفردوا بالذكر من جهة أنّ حرصهم أشدّ. ويجوز أن يراد: وأحرص من الذين أشركوا، فحذف لدلالة ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾ عليه. وفيه توبيخ شديد، لأنّ حرص المشركين على الحياة غير مستبعد لأنّها جنّتهم ولم يؤمنوا بعاقبة، فإذا زادوا عليهم في الحرص وهم مقرّون بالجزاء كانوا أحقّاء بأعظم التوبيخ.

وقيل: أراد بالذين أشركوا المجوس لأنّهم كانوا يقولون لملوكهم: (عش ألف نيروز ـ هزار سال بزي ـ)[١].

وقيل: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ كلام مبتدأ، أي: ومنهم ناس.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ على حذف الموصوف، كقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[٢].

والضمير في ﴿وَمَا هُوَ﴾ لأحدهم، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل لـ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ أي: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره. وقيل: الضمير لما دلّ عليه ﴿يُعَمَّرَ﴾ من مصدره، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بدل منه، ويجوز أن يكون ﴿هُوَ﴾ مبهماً و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ مبيّنه. والزحزحة: التنحية والتبعيد.

وقوله: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ في معنى التمنّي، وكان القياس: لو أعمر، إلا أنّه أجري على لفظ الغيبة لقوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ كقولك: حلف بالله ليفعلن، فقوله: ﴿لَوْ

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١: ٣٤٠.

(٢) الصافات: ١٦٤.

﴿يُعَمَّرُ﴾ حكاية لودادتهم.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

روي: أنّ عبد الله بن صوريا ـ وهو من أحبار فدك[1] ـ سأل رسول الله ﷺ عمن يهبط عليه بالوحي، فقال: جبرئيل، فقال: ذاك عدوّنا ولو كان غيره لآمنّا بك، فنزلت جواباً لقوله وردّاً عليه[2].

﴿قُلْ﴾ يا محمّد: ﴿مَن﴾ عادى جبرئيل من أهل الكتاب ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ نزّل القرآن. أضمر ما لم يسبق ذكره، وفيه فخامة لشأنه، إذ جعله لفرط شهرته كأنّه يدلّ على نفسه.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي: حفّظه إيّاك وفهّمكه بإذن الله، أي: بتيسيره وتسهيله. والمعنى: أنّه لا وجه لمعاداته حيث نزّل كتاباً ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب فيكون مصدّقاً لكتابهم، فلو أنصفوا لأحبّوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما يصحح الكتاب المنزل عليهم.

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ أي: وهادياً ومبشراً ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنعيم الدائم.

وإنّما أعاد ذكر جبرئيل وميكائيل بعد ذكر الملائكة لفضلهما، فأفردهما بالذكر كأنّهما من جنس آخر، وهو مما ذكر: أنّ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في

---

(١) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله على رسولهﷺ سنة سبع للهجرة صلحاً. معجم البلدان ج٤: ٢٣٨.

(٢) أسباب النزول: ٢٦.

الذات. [الصادقﷺ][1] كان يقرأ جبريل وميكال بغير همزة.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ أراد عدوّ لهم، وضع الظاهر موضع الضمير ليدلّ على أنّه سبحانه إنّما عاداهم لكفرهم، وأنّ عداوة الملائكة كفر.

وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ
(٩٩) أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا
يُؤۡمِنُونَ (١٠٠)

﴿ءَايَٰتِۭ﴾ أي: معجزات ظاهرات واضحات ﴿وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا﴾ المتمرّدون من الكفرة، وعن الحسن: (إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره)[2].

واللام في ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ للجنس، والأولى أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب.

﴿أَوَكُلَّمَا﴾ الواو للعطف على محذوف، معناه: أكفروا بالآيات البيّنات ﴿وَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ﴾. واليهود موصوفون بنقض العهد قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾[3]. والنبذ: الرمي بالشيء ورفضه.

وقال: ﴿فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ لأنّ منهم من لم ينقض.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بالتوراة وليسوا من الدين في شيء، فلا يبالون بنقض الميثاق ولا يعدّونه ذنباً.

(١) في ب: حفص.

(٢) التبيان ج١: ٣٦٥ بالمعنى.

(٣) الأنفال: ٥٦.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾

﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني: التوراة، لأنّهم بكفرهم برسول الله المصدّق لها كافرون بها نابذون لها، أو يريد القرآن نبذوه بعد أن لزمهم أن يتلقوه بالقبول.

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّه كتاب الله، يعني: إنّهم يعلمون ذلك ولكنهم يكابرون ويعاندون.

ونبذوه ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثل لتركهم وإعراضهم عنه.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝١٠٢﴾

المعنى: إنّ هذا الفريق المذكور من اليهود نبذوا كتاب الله.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ أي: واتبعوا كتب السحر التي كانت تقرأها الشياطين ﴿عَلَىٰ﴾ عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ وفي زمانه، وكانوا يقولون: هذا علم

سليمان، وبه يسخّر الجن والإنس والريح.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ هذا تكذيب للشياطين ودفع لما بهتوه به من العمل بالسحر وسمّاه كفراً.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ هم الذين ﴿كَفَرُواْ﴾ باستعمال السحر وتدوينه في كتب يقرؤونها ويعلّمونها ﴿ٱلنَّاسَ﴾ يقصدون بذلك إغواءهم.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قيل: هو عطف على ﴿مَا تَتْلُواْ﴾ أي: واتبعوا ما أُنزل على الملكين ﴿بِبَابِلَ﴾.

﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ عطف بيان للملكين علمان لهما، والذي أُنزل عليهما علم السحر ابتلاء من الله للناس، من تعلّمه منهم وعمل به كان كافراً، ومن تجنّبه أو تعلّمه لأن لا يعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمناً، كما ابتلي قوم طالوت بالنهر ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[1].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: وما يعلّم الملكان أحداً ﴿حَتَّىٰ﴾ ينبّهاه و﴿يَقُولَآ﴾ له ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: ابتلاء واختبار من الله ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: فلا تتعلم معتقداً أنّه حقّ فتكفر.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ الضمير لما دلّ عليه من أحد، أي: فيتعلم الناس من الملكين ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي: علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك[2] والنشوز والخلاف ابتلاء منه.

---

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) الفِرك ـ بالكسر ـ: البغض. (الصحاح: مادة فرك)

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأنّه ربّما يحدث الله عنده فعلاً من أفعاله وربّما لم يحدث.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ لأنّهم يقصدون به الشر.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ أي: علم هؤلاء اليهود.

﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ أي: استبدل ﴿مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ على كتاب الله ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: نصيب.

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: باعوها.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا كأنّهم لم يعلموا.

وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

يريد ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ برسول الله ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ أي: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أنّ ثواب الله خير مما هم فيه، وقد علموا ولكنه سبحانه جهّلهم لتركهم العمل بالعلم.

وجواب ﴿لَّوْ﴾ قوله: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾. وإنّما أُوثرت الجملة الاسمية على الفعلية، لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها. والمعنى: لشيء من الثواب خير لهم. وقيل: إنّ جواب ﴿لَّوْ﴾ محذوف يدلّ الكلام عليه أي: لأثيبوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾

كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقى إليهم شيئاً من العلم: ﴿رَٰعِنَا﴾ يا رسول الله، أي: راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه، وكانت لليهود كلمة يتسابّون بها وهي (راعينا)، فلما سمعوا بقول المسلمين: ﴿رَٰعِنَا﴾، افترصوه وخاطبوا الرسول به وهم يعنون تلك اللفظة عندهم، فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو ﴿ٱنظُرْنَا﴾ من نظره: إذا انتظره.

﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ وأحسنوا سماع ما يكلّمكم به النبي ﷺ بآذان واعية حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة، أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن مثل سماع اليهود حيث قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[1].

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: ولليهود الذين سبّوا رسول الله ﷺ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ١٠٥﴾

﴿مِنْ﴾ الأولى للبيان، لأنّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جنس تحته نوعان: ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والمشركون، والثانية مزيدة للاستغراق، والثالثة لابتداء الغاية. والخير: الوحي، وكذلك الرحمة كقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[2].

---

(١) البقرة: ٩٣.

(٢) الزخرف: ٣٢.

والمعنى: إنّ اليهود والمشركين يرون أنفسهم أحقّ بالوحي فيحسدونكم، وما يحبّون ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾ شيء من الوحي.

﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ﴾ بالنبوة ﴿مَن يَشَآءُ﴾ ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ إيذان بأنّ إيتاء النبوة من الفضل العظيم، كقوله: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾[1].

مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾

نسخ الآية: إزالتها بإبدال أخرى مكانها، وإنساخها: الأمر بنسخها، ونسؤها: تأخيرها وإذهابها لا إلى بدل، وإنساؤها: أن يذهب بحفظها عن القلوب.

والمعنى: إنّ كل آية نذهب بها على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معاً، أو من إزالة أحدهما إلى بدل، أو لا إلى بدل ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ للعباد أي: بآية العمل بها أحوز للثواب ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في ذلك الثواب.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على الخير، وما هو خير منه، وعلى مثله في ذلك، و﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهو يملك تدبيركم ويجريه على حسب مصالحكم، وهو أعلم بما يتعبّدكم به من ناسخ ومنسوخ.

﴿وَمَا لَكُم﴾ سوى ﴿ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يقوم بأموركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ناصر ينصركم.

---

(١) الإسراء: ٨٧.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ
وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

لما بيّن سبحانه أنّه مدبّر أمورهم، أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبّدهم به، وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته آباء اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عقباها وبالاً عليهم، كقولهم: ﴿أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾[1] وغير ذلك.

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ بأن ترك الثقة بالآيات وشك فيها واقترح غيرها، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: ذهب عن قصد الطريق واستقامته.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ
إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

معناه: تمنّى ﴿كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ كحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وأمثالهما.

﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ على معنى: أن يردّوكم يا معشر المؤمنين، أي: يرجعوكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ منهم لكم بما أعدّ الله لكم من الثواب والفضل. وانتصب ﴿حَسَدًا﴾ بأنّه مفعول له.

وتعلّق قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ بـ﴿وَدَّ﴾ أي: ودّوا ذلك وتمنّوه من قبل أنفسهم وشهواتهم لا من قبل الميل مع الحقّ، لأنّهم ودّوا ذلك ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا

---

(١) النساء: ١٥٣.

﴿تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ أنّكم على ﴿ٱلْحَقُّ﴾ فكيف يكون تمنّيهم من قبل الحقّ؟!. ويجوز أن يتعلّق بـ﴿حَسَدًا﴾ أي: حسداً من أصل نفوسهم فيكون على طريق التوكيد.

﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾ أي: فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ الذي هو قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، وإذلال من سواهم من اليهود بضرب الجزية عليهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على الانتقام منهم.

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

لما أمر سبحانه المسلمين بالصفح عنهم، عقّبه بالأمر بالصلاة والزكاة ليستعينوا بهما على ما شقّ عليهم من شدّة عداوة اليهود لهم كما قال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾(١).

وما تقدّموا ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ من صلاة أو صدقة أو غيرهما من الطاعات ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: تجدوا ثوابه ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عالم لا يضيع عنده عمل عامل.

وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ لأهل الكتاب، والمعنى: وقالت اليهود: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ

---

(١) البقرة: ٤٥.

﴿إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ وقالت النصارى: لن يدخل الجنّة إلا من كان ﴿نَصَٰرَىٰ﴾، فلفّ بين القولين ثقة بأنّ السامع يردّ إلى كل فريق قوله، وأمناً من الالتباس لما علم من الخلاف بين الفريقين، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾[1].

والهود جمع الهائد، ووحّد اسم ﴿كَانَ﴾ حملاً على لفظ ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن كَانَ هُودًا﴾، وجمع خبره حملاً على معناه.

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ إشارة إلى أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربّهم، وأمنيتهم أن يردّوهم كفاراً، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنّة غيرهم. أي: تلك الأماني الكاذبة أمانيهم.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: حجّتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾. وفي هذا دليل على أنّ كل قول لا دليل عليه فهو باطل. وهات بمعنى أحضر.

﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنّة.

﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: من أخلص نفسه لله لا يشرك به غيره ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ الذي يستوجبه.

ويجوز أن يكون ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ مبتدأ، ويكون ﴿مَنْ﴾ متضمناً معنى الشرط، وجوابه ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾؛ ويجوز أن يكون فاعلاً لفعل محذوف، أي: ﴿بَلَىٰ﴾ يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾، ويكون ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ معطوفاً على يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ

---

(١) البقرة: ١٣٥.

﴿لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مبالغة عظيمة، أي: ليسوا على شيء يصح ويعتّد به، كقولهم: أقل من لا شيء.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الواو للحال والكتاب للجنس، أي: قالوا ذلك وحالهم أنّهم من أهل العلم والتلاوة للكتب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الذي سمعت به وعلى ذلك المنهاج ﴿قَالَ﴾ الجهلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لا علم عندهم ولا كتاب، كعبدة الأوثان والدهرية ونحوهم قالوا لأهل كل دين: ليسوا على شيء. وهذا توبيخ لهم حيث نظموا نفوسهم ـ مع علمهم ـ في سلك من لا يعلم.

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ بين اليهود والنصارى ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيريهم من يدخل الجنّة ومن يدخل النار عياناً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

﴿أَن يُذْكَرَ﴾ في موضع النصب بأنّه المفعول الثاني لـ﴿مَّنَعَ﴾، تقول: منعته كذا، ومثله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾[1]، ويجوز أن يكون منصوباً بأنّه مفعول له بمعنى: منعها كراهة أن يذكر.

وهو حكم عام في جنس ﴿مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، وأنّ مانعها من ذكر الله في غاية الظلم.

---

(١) الإسراء: ٩٤.

وروي عن الصادقعليه السلام: ((أنّ المراد بذلك: قريش، حين منعوا رسول اللهصلى الله عليه وآله دخول مكة والمسجد الحرام عام الحديبية))(١)، وبه قال بعض المفسّرين(٢). وقال بعضهم: إنّهم الروم، غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه إلى أن أظهر الله المسلمين عليهم في أيّام عمر، فصاروا لا يدخلونها إلا خائفين يتهيّبون المؤمنين أن يبطشوا بهم(٣).

وعلى القول الأول فقد روي: أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله أمر أن ينادى: ألا لا يحجنّ بعد هذا العام مشرك، ولا يطوفنّ بالبيت عريان(٤).

فالمعنى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المانعون ﴿مَا كَانَ لَهُمۡ﴾ في حكم الله ﴿أَن﴾ يدخلوا مساجد الله ﴿إِلَّا خَآئِفِينَ﴾، لأنّ الله تعالى قد حكم وكتب في اللوح أنّه يعزّ الدين، وينصر عليهم المؤمنين.

﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ أي: قتل وسبي، أو ذلّة بضرب الجزية عليهم. وقيل: بفتح مدائنهم قسطنطينية وروميّة عند قيام المهديعليه السلام(٥).

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ في نار جهنم.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾

﴿وَلِلَّهِ﴾ بلاد ﴿ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ والأرض كلها هو مالكها.

﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ﴾ أي: ففي أيّ مكان فعلتم التولية، يعني: تولية وجوهكم

---

(١) تفسير القمي ج١: ٥٨ وفيه: ((...دخول مكة)).

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج١: ٣٩٧.

(٣) عن مجاهد وغيره. الدر المنثور ج١: ١٠٨.

(٤) الكشف والبيان ج١: ٢٦٢.

(٥) عن السدي. تفسير الطبري ج١: ٣٩٩.

شطر القبلة، بدليل قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... الآية﴾[١].

﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: جهته التي أمر بها ورضيها، والمعنى: إذا منعتم أن تصلّوا في المسجد الحرام فقد جعلت لكم الأرض مسجداً، فصلّوا في أي بقعة شئتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها، فإنّ التولية لا تختص بمسجد دون مسجد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالحهم.

وقيل: إنّها نزلت في صلاة التطوّع على الراحلة للمسافر أينما توجهت راحلته[٢]، وهو المروي عنهم عليهم السلام[٣].

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

ثم ردّ الله على اليهود والنصارى قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم الذين قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾[٤] و﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾[٥]، وعلى من قال: الملائكة بنات الله.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزيه له عن ذلك وتبعيد.

﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو خالقه ومالكه، ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح.

---

(١) البقرة: ١٤٩.

(٢) الكشف والبيان ج١: ٢٦٢.

(٣) ينظر: الوسائل ج٣ باب ١٥ من أبواب القبلة.

(٤) كما أخبر عنهم عزّ وجل في قوله: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾ التوبة: ٣٠.

(٥) كما أخبر عنهم عزّ وجل في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾ التوبة: ٣٠.

﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ مطيعون منقادون لا يمتنع شيء منهم عن تقديره وتكوينه ومشيئته، ومن كان بهذه الصفة لم يجانس، ومن حقّ الولد أن يكون من جنس الوالد.

والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوض من المضاف إليه، أي: كل من في السماوات والأرض، وجاء بلفظة ﴿مَا﴾ دون (من) كقولهم: سبحان ما سخركنّ لنا.

ويقال: بدع الشيء فهو بديع، و﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، أي: بديع سماواته وأرضه، وقيل: هو بمعنى المبدع[1].

وقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ أي: أحدث فيحدث، وهو من (كان) التامة، وهذا تمثيل ولا قول هناك. والمعنى: إنّ ما قضاه من الأمور وأراد كونه، يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف، كالمأمور المطيع إذا أُمر لا يتوقف. أكّد بهذا استبعاد الولادة، لأنّ من كانت هذه صفته في كمال القدرة، فحاله مباينة لحال الأجسام في توالدها.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

أي: ﴿وَقَالَ﴾ الجاهلون من المشركين، وقيل: من أهل الكتاب[2]، نفى عنهم العلم لأنّهم لم يعملوا به.

﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: هلا يكلّمنا كما يكلّم الملائكة وكلّم موسى،

(١) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج١: ٤٠٤.

(٢) عن مجاهد: النصارى، وعن ابن عباس: اليهود. تفسير الطبري ج١: ٤٠٧.

استكباراً منهم وعتواً.

﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ﴾ هذا جحود منهم لأن يكون ما آتاهم من آيات الله آيات.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ حيث اقترحوا الآيات على موسى عليه السلام.

﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله سبحانه: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦ﴾[١].

﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ﴾ ينصفون فـ﴿يُوقِنُونَ﴾ أنّها آيات يجب الاعتراف بها والاكتفاء بوجودها عن غيرها.

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ لأنّ تبشّر وتنذر لا لتجبر على الإيمان، وهذه تسلية له صلى الله عليه وآله لئلا يضيق صدره بإصرارهم على الكفر، ولا نسألك ﴿عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلّغت واجتهدت في الدعوة. وأما قراءة نافع[٢]: (وَلَا تَسْأَلْ) فهو على النهي، وقيل: إنّ معناه تفخيم الشأن كما يقول القائل: لا تسأل عن حال فلان، أي: قد صار إلى أكثر مما تريده، أو أنت لا تستطيع استماع خبره.

---

(١) الذاريات: ٥٣.

(٢) أبو رويم نافع بن عبد الرحمن الشجعي المقرئ، كان إمام أهل المدينة في القراءة، توفي بالمدينة سنة ١٦٩هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: وفيات الأعيان ج٥: ٥.

وكان اليهود قالوا للنبي: لن نرضى عنك - وإن طلبت رضانا بجهدك - حتى تتبع ملّتنا، فحكى الله كلامهم، ولذلك قال: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ جواباً لهم عن قولهم، يعني: إنّ هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى الحقّ والذي يصح أن يسمّى هدى.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ أقوالهم التي هي أهواء وبدع.

﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: من الدين المعلوم صحته بالدلائل والبراهين.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾

يعني: الذين آمنوا من جملة أهل الكتاب ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ لا يحرّفونه ولا يغيّرون ما فيه من نعت رسول الله ﷺ. الصادق عليه السلام قال: ((إنّ حقّ تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنّة والنار))(١)، يسأل في الأولى ويستعيذ في الأخرى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾ بكتابهم دون المحرّفين.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ من المحرّفين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

---

(١) تفسير العياشي ج١: ٥٧.

قد تقدّم مثل الآيتين[١]، ولما بعُد ما بين الكلامين حسن الإعادة والتكرير، إبلاغاً في التنبيه والاحتجاج، وتأكيداً للتذكير.

﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾

العامل في ﴿إِذۡ﴾ مضمر نحو اذكر ﴿إِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ أي: اختبر إبراهيم ﴿رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ بأوامر ونواه. واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين: ما يريده الله، وما يشتهيه العبد، كأنّه يمتحنه ليعرف ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: فقام بهن حقّ القيام، وأدّاهن حقّ التأدية من غير تفريط وتقصير. أو يكون تقديره: وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات كان كيت وكيت. ويجوز أن يكون العامل في ﴿إِذۡ﴾ قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ﴾.

ويكون على القول الأول قد استؤنف الكلام، كأنّه قيل: فماذا قال له ربّه حين أتمّ الكلمات؟ فقيل: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾؛ وعلى الثاني هي جملة معطوفة على ما قبلها، أو يكون بياناً وتفسيراً لقوله: ﴿ٱبۡتَلَىٰٓ﴾ فيراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة.

وقيل في (الكلمات): هي خمس في الرأس: الفرق، وقصّ الشارب، والسواك، والمضمضة، والاستنشاق؛ وخمس في البدن: الختان، والاستحداد، والاستنجاء، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط[٢]. وقيل: (هي ثلاثون خصلة من شرائع الإسلام:

---

(١) ينظر: تفسير الآيتين ٤٧، ٤٨ من السورة.

(٢) عن ابن عباس برواية طاوس. تفسير الطبري ج١: ٤١٤.

عشر في براءة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾[١]، وعشر في الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾[٢]، وعشر في المؤمنون[٣]، وسأل سائل إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٤])[٥]، وقيل: هي مناسك الحج[٦]، وقيل: هي الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، وهي أسماء محمّد وأهل بيته عليه وعليهم السلام، عن الصادق عليه السلام[٧].

والإمام اسم من يؤتمّ به، جعله سبحانه إماماً يأتمّون به في دينهم، ويقوم بتدبيرهم وسياسة أمورهم.

وقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ عطف على الكاف، كأنّه قال: وجاعل بعض ذريتي؟ كما يقال لك: سأكرمك، فتقول: وزيداً؟.

﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: من كان ظالماً من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة، وإنّما ينال من لا يفعل ظلماً. وهذا يدلّ على وجوب العصمة للإمام، لأنّ من ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره.

---

(١) التوبة: ١١٢.

(٢) الأحزاب: ٣٥.

(٣) المؤمنون: ٩.

(٤) المعارج: ٣٤.

(٥) عن ابن عباس برواية عكرمة. تفسير الطبري ج١: ٤١٤، وهي - كما ترى - أربعون وليست ثلاثين.

(٦) عن ابن عباس برواية قتادة. تفسير الطبري ج١: ٤١٦.

(٧) معاني الأخبار: ١٢٥.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿ٱلْبَيْتَ﴾ اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا.

﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً يثاب إليه كل عام.

﴿وَأَمْنًا﴾ موضع أمن كقوله: ﴿حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[1]، ولأنّ الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج.

﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ على إرادة القول، أي: وقلنا لهم: اتخذوا منه موضع صلاة تصلّون فيه.

و﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ الموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع قدميه عليه، أمرنا بالصلاة عنده بعد الطواف. وقرئ: (واتخذوا) بلفظ الماضي عطفاً على ﴿جَعَلْنَا﴾ أي: واتخذ الناس من مقام إبراهيم موضع صلاة. ومن قرأ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ على الأمر وقف على قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾. ومن قرأ: (واتخذوا) على الخبر لم يقف، لأنّ قوله: (واتخذوا) عطف على ﴿جَعَلْنَا﴾.

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾ أمرناهما بـ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ أو أي: طهّرا بيتي، فتكون (أن) المفسرة التي تكون عبارة عن القول، أي طهّراه من الأوثان والخبائث كلها. وأضاف (البيت) إلى نفسه تفضيلاً له على سائر البقاع.

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ أي: للدائرين حوله.

﴿وَٱلْعَـٰكِفِينَ﴾ أي: المجاورين له والمقيمين بحضرته.

---

(١) العنكبوت: ٦٧.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي: المصلّين عنده، لأنّ الركوع والسجود من هيئات المصلي.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾

أي: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا﴾ البلد وهو مكة ﴿بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ ذا أمن، كقوله: ﴿فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾[1] أي: ذات رضا، وبلد آهل، أي: ذو أهل، أو آمناً يؤمن فيه، كقولهم: ليل نائم، أي: ينام فيه.

﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ﴾ يعني: وارزق المؤمنين منهم خاصة، لأنّ قوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم﴾ بدل من ﴿أَهۡلَهُۥ﴾، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ عطف على ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾، كما أنّ قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ عطف على الكاف في ﴿جَاعِلُكَ﴾.

وإنّما خصّ إبراهيم عليه السلام المؤمنين بالدعاء حتى قال سبحانه: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾، لأنّ الله كان أعلمه أنّه يكون في ذريته ظالمون بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فعرّفه سبحانه الفرق بين الرزق والإمامة، لأنّ الاستخلاف استرعاء يختص بمن لا يقع منه الظلم، بخلاف الرزق فإنّه قد يكون استدراجاً للمرزوق وإلزاماً للحجّة. والمعنى: قال: وأرزق من كفر ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾. ويجوز أن يكون ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مبتدأ متضمّناً معنى الشرط و﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ جواباً للشرط، أي: ومن كفر فأنا أمتعه. وقرئ: فَأُمْتِعُهُ.

﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾ أي: أدفعه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ دفع المضطر الذي لا يملك

---

(١) القارعة: ٧.

الامتناع مما اضطر إليه.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿يَرْفَعُ﴾ حكاية حال ماضية، و﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾: جمع القاعدة، وهي الأساس لما فوقه، وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة. ورفع القواعد: البناء عليها لأنّها إذا بني عليها ارتفعت، ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لأنّ كل ساف[١] قاعدة لما يبنى عليه ويوضع فوقه، وروي: أنّ إبراهيمعليه السلام كان يبني وإسماعيل يناوله الحجارة[٢].

﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولان: ربّنا، وهذا الفعل في محلّ النصب على الحال.

﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ فيه دلالة على أنّهما بنيا الكعبة مسجداً لا مسكناً، لأنّهما التمسا القبول الذي معناه الإثابة، والثواب إنّما يطلب على الطاعات.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنياتنا.

وإنّما لم يقل: قواعد البيت بل أبهمت القواعد ثم بيّنت بعد الإبهام، لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم شأن المبيّن.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي: مخلصين لك أوجهنا من قوله: ﴿أَسْلَمَ

(١) الساف: كل عرق من الحائط. (الصحاح: مادة سوف)

(٢) الكشف والبيان ج١: ٢٧٤.

وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾[1]، أو مستسلمين لك خاضعين منقادين، ومعناه: زدنا إخلاصاً أو خضوعاً وإذعاناً لك.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أي: واجعل من ذريتنا ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾. و﴿مِن﴾ للتبعيض أو للتبيين كقوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾[2]، وروي عن الصادق‌عليه‌السلام: ((إنّه أراد بالأمّة بني هاشم خاصة))[3].

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: وعرّفنا وبصّرنا متعبداتنا في الحج لنقضي عباداتنا على حد ما توقفنا عليه. وقد قرئ بسكون الراء من ﴿وَأَرِنَا﴾ قياساً على (فخذ) في (فخِذ)، وهي قراءة مسترذلة، إلا أن يقرأ بإشمام الكسرة.

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ قالا هذه الكلمة انقطاعاً إلى الله ليقتدى بهما، أو استتابا لذريتهما.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ القابل للتوبة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده.

رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

﴿وَٱبْعَثْ﴾ في الأمة المسلمة ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ من أنفسهم وهو نبيّنا محمّد‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، قال‌عليه‌السلام: ((أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي))[4].

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ يقرأ عليهم ويبلّغهم ما يوحى إليه.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وهي الشريعة وبيان

---

(١) النساء: ١٢٥.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) تفسير العياشي ج١: ٦١.

(٤) معجم الطبراني الكبير ج١٨: ٢١٢، الخصال: ١٦٣ بالمعنى.

الأحكام.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطّهرهم من الشرك والأدناس.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القوي في كمال قدرتك ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ المحكم لبدائع صنعك.

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ التي هي الحقّ والحقيقة، وهو إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عنه.

و﴿مَن سَفِهَ﴾ في محلّ الرفع على البدل من الضمير المستكن في ﴿يَرْغَبُ﴾، ومعنى ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ امتهنها واستخف بها. وأصل السفه: الخفّة، [وقيل: إنّ ﴿نَفْسَهُۥ﴾ منصوبة على نزع الخافض، أي: سفه في نفسه](١)، وقيل: إنّ ﴿نَفْسَهُۥ﴾ منصوبة على التمييز نحو غبن رأيه، [وقيل: معناه سفه في نفسه، فحذف الجار كقولهم: زيد ظني مقيم، أي: في ظني](٢). والأول أوجه.

﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته، أي: اجتبيناه بالرسالة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الفائزين، ومن جمع الكرامة عند الله في الدارين لم يكن أحد أولى بأن يرغب في طريقته منه.

إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا

---

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) ساقطة من ب، ج.

﴿تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٣٢﴾

﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لـ﴿اصْطَفَيْنَاهُ﴾ أي: اخترناه في ذلك الوقت، ومعنى ﴿قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾: أخطر بباله النظر في الدلائل المفضية به إلى التوحيد والإسلام.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ أي: فنظر وعرف، وقيل: إنّ معنى ﴿أَسْلِمْ﴾: أذعن وأطع.

وقرئ: (وأوصى) بالألف. والضمير في ﴿بِهَآ﴾ لقوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على تأويل الكلمة [والجملة، ومثله الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾(١)](٢) فإنّه يرجع إلى قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾(٣).

و(يعقوب) عطف على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ داخل في حكمه، يعني: ووصّى بها يعقوب بنيه أيضاً.

﴿ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ معناه: أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام، ووفقكم للأخذ به.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي على الحقيقة عن كونهم مخالفي الإسلام إذا ماتوا، والنكتة في إدخال حرف النهي على الموت أنّ فيه إظهاراً لكون الموت على خلاف الإسلام موتاً لا خير فيه.

---

(١) الزخرف: ٢٨.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) الزخرف ٢٦، ٢٧.

﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾

﴿أَمۡ﴾ هي المنقطعة، أي: بل أكنتم شهداء، ومعنى الهمزة فيها الإنكار، أي: ما كنتم حاضرين يعقوب. والشهيد: الحاضر.

﴿إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: حين احتضر. والخطاب للمؤمنين، يعني: ما شهدتم ذلك وإنّما حصل لكم العلم به من طريق الوحي. وقيل: الخطاب لليهود[1]، لأنّهم كانوا يقولون ما مات نبي إلا على اليهودية، فتكون ﴿أَمۡ﴾ على هذا متصلة على أن يقدّر قبلها محذوف، كأنّه قيل: أتدّعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت. يعني: إنّ أوائلكم كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على ملة الإسلام، وقد علمتم ذلك، فما لكم تدّعون على الأنبياء ما هم منه براء؟.

﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ أي: أيّ شيء تعبدون ﴿مِنۢ بَعۡدِي﴾ أي: من بعد وفاتي؟، فحذف المضاف.

و﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ عطف بيان لـ﴿ءَابَآئِكَ﴾، وجعل إسماعيل وهو عمّه من جملة آبائه، لأنّ العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما.

﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ بدل من ﴿إِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ حال من فاعل ﴿نَعۡبُدُ﴾ أو من مفعوله لرجوع الضمير إليه في ﴿لَهُۥ﴾. ويجوز أن يكون

---

(١) عن الربيع. تفسير الطبري ج١: ٤٣٩.

جملة معطوفة على ﴿نَعۡبُدُ﴾، أو جملة اعتراضية، أي: ومن حالنا أنّا له مسلمون.

﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤﴾

﴿تِلۡكَ﴾ إشارة إلى الأمّة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحّدون، والمعنى: إنّ أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدّماً كان أو متأخراً، وذلك أنّهم افتخروا بأوائلهم.

﴿وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ لا تؤاخذون بسيّئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾

الضمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ يرجع إلى اليهود والنصارى، أي: قالت اليهود: ﴿كُونُواْ هُودًا﴾، وقالت النصارى: كونوا نصارى ﴿تَهۡتَدُواْ﴾ تصيبوا طريق الهدى والحقّ.

﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ بل نكون أهل ملّة إبراهيم كقول عدي بن حاتم[(١)]: (إنّي من دين)[(٢)]، أي: من أهل دين، وقيل: بل نتبع ملّة إبراهيم[(٣)].

و﴿حَنِيفٗا﴾ حال من المضاف إليه، كقولك: رأيت وجه هند قائمة. والحنيف: المائل عن كل دين إلى دين الحقّ.

---

(١) عدي بن حاتم الطائي الجواد المشهور، أسلم سنة ٩ أو ١٠ هـ، شهد فتح العراق ثم سكن الكوفة، شهد الجمل وصفين والنهروان مع الإمام علي عليه السلام، مات بالكوفة سنة ٦٨ هـ زمن المختار. ينظر: الإصابة ج٢: ٤٦٨، معجم رجال الحديث ج١١: ١٤٤.

(٢) الفائق في غريب الحديث ج٢: ٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٢١٣.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم، لأنّ كلاً منهم يدّعي اتباع ملة إبراهيم؛ وهو على الشرك.

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

﴿قُولُوٓاْ﴾ خطاب للمسلمين، أمرهم الله سبحانه بإظهار ما تديّنوا به على الشرح، فبدأ بالإيمان ﴿بِٱللَّهِ﴾ لأنّه أوّل الواجبات، وثنّى بالإيمان بالقرآن والكتب المنزلة على الأنبياء المذكورين.

﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ حفدة يعقوب وذراري أبنائه الإثني عشر، جمع السبط، وكان الحسن والحسين عليهما السلام سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، و﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجماعة ولذلك صح دخول ﴿بَيْنَ﴾ عليه.

فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾ أي: إن آمن هؤلاء الكفار ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ أي: مثل إيمانكم بالله وكتبه ورسله. والباء مزيدة، و﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ أي: فقد سلكوا طريق الهداية.

﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عما تقولون لهم ولم ينصفوا، أو تولوا عن الدخول في مثل

إيمانكم.

﴿فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ أي: مناوأة ومعاندة لا غير، وليسوا من طلب الحقّ في شيء.

﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ هذا ضمان من الله لإظهار نبيّه عليهم، وكفايته من يشاقّه من اليهود والنصارى. وفيه دلالة على صحة نبوّته، لأنّه سبحانه قد أنجز وعده فوافق المخبر الخبر. ومعنى السين: إنّ ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ وعيد لهم، أو وعد لرسول الله، أي: يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون فيعاقبهم على ذلك، أو يسمع ما تدعو به ويعلم نيّتك وإرادتك من إظهار الدين وهو مستجيب لك.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ مصدر مؤكد ينتصب عن قوله: ﴿آمَنَّا بِاللهِ﴾كما انتصب ﴿وَعْدَ اللهِ﴾[1] عما تقدّمه. وهي فعلة من (صبغ) كالجلسة من (جلس)، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ. والمعنى: تطهير الله، لأنّ الإيمان يطهّر النفوس. والأصل فيه: إنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون: هو تطهير لهم، فأمر المسلمون أن يقولوا: آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتكم، وطهّرنا به تطهيراً لا مثل تطهيركم، ولا صبغة أحسن من صبغة الله.

﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ عطف على ﴿آمَنَّا بِاللهِ﴾.

---

(١) النساء: ١٢٢.

﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ١٣٩﴾

أمر نبيّه أن يقول لليهود وغيرهم: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ أي: أتجادلوننا في أمر الله واصطفائه النبي من العرب دونكم ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ﴾ نشترك جميعاً في أنّا عبيده وهو ربّنا، [وهو يصيب بكرامته من يشاء من عباده إذا كان أهلاً للكرامة][(١)].

﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ يعني: إنّ العمل هو أساس الأمر، وكما أنّ لكم أعمالاً يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها، فإنّ لنا أعمالاً معتبرة في ذلك.

﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾ موحّدون نخلصه بالإيمان والإيقان فلا تستبعدوا أن نؤهّل للكرامة بالنبوة. وهذا ردّ لقولهم: نحن أحقّ بالنبوة، لأنّا أهل الكتاب والعرب عبدة الأوثان.

﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١﴾

من قرأ: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ﴾ بالتاء فإنّ ﴿أَمۡ﴾ يمكن أن تكون متصلة معادلة للهمزة في ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ بمعنى: أي الأمرين تأتون: المحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ والمراد بالاستفهام الإنكار؛ ويمكن أن تكون منقطعة بمعنى: بل أتقولون، والهمزة للإنكار. ومن قرأ بالياء فلا تكون ﴿أَمۡ﴾

---

(١) ساقطة من ج.

إلا منقطعة.

﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ يعني: إنّ الله شهد لهم بملّة الإسلام في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا... الآية﴾[1].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: كتم شهادة الله التي عنده أنّه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم عليه السلام بالحنيفية، ويحتمل معنيين:

أحدهما: إنّه لا أحد أظلم من أهل الكتاب لكتمانهم هذه الشهادة مع علمهم بها.

والآخر: لا أحد أظلم منا لو كتمنا هذه الشهادة، فنحن لا نكتمها.

و(من) في قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ مثلها في قولك: هذه شهادة [مني لفلان إذا شهدت][2] له، ومثله ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ﴾[3].

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿سَيَقُولُ﴾ أي: سوف يقول الجهّال الخفاف الأحلام وهم اليهود، لكراهتهم التوجه إلى الكعبة.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ ما صرفهم عن بيت المقدس الذي كان قبلتهم يتوجهون إليها في صلاتهم. وقيل: هم المنافقون[4] قالوا ذلك لحرصهم على

---

(١) آل عمران: ٦٧.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) التوبة: ١.

(٤) عن السدي. تفسير الطبري ج٢: ٢.

الاستهزاء بالإسلام، وقيل: هم المشركون(١) قالوا: رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها، وليرجعنّ إلى دينهم.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي: بلاد المشرق والمغرب.

﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ من أهلها ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو ما توجبه الحكمة والصلاح من توجيههم تارة إلى بيت المقدس وأخرى إلى الكعبة.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الجعل العجيب والإنعام بالهداية ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: خياراً، وهو وصف بالاسم الذي هو وسط الشيء، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. وإنّما قيل للخيار: وسط، لأنّ الأطراف يتسارع إليها الفساد والأوساط محفوظة مكنونة؛ أو عدولاً لأنّ الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض.

﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ روي: أنّ الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبيّنة على أنّهم قد بلّغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمّد فيشهدون لهم، وهو صلوات الله عليه وآله يزكيهم(٢). ويروى عن علي عليه السلام أنّه قال ((إنّ الله إيّانا عنى، فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه وحجّته

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٢١٨.

(٢) الكشف والبيان ج٢: ٨.

في أرضه))[١]. وقيل: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا، أي: حجّة عليهم فتبيّنوا لهم الحقّ والدين.

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ مؤدياً للشرع وأحكام الدين إليكم. والشاهد مبيّن، ويقال للشاهد: بيّنة.

ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بـ﴿عَلَى﴾ التي هي كلمة الاستعلاء، كما في قوله تعالى: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢].

﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ ليست بصفة للقبلة، وإنّما هي المفعول الثاني لـ(جعل). يريد: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ﴾ الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة، لأنّه ﷺ كان يصلّي بمكة إلى الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألّفاً لليهود، ثم حوّل إلى الكعبة، فيقول: وما جعلنا قبلتك الجهة التي كنت تستقبلها بمكة أولاً ثم رددناك إليها ثانياً ﴿إِلَّا﴾ امتحاناً للناس وابتلاء ﴿لِنَعْلَمَ﴾ الثابت على الإسلام ﴿مِمَّن﴾ هو على حرف منه فينكص ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ ويرتد. وقيل: يريد بالتي كنت عليها بيت المقدس[٣]، أي: جعلناها جهتك التي كنت تستقبلها لنمتحن الناس، وننظر من يتبعك منهم ومن لا يتبعك، وعن ابن عباس قال: (كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنّه كان يجعل الكعبة بينه وبينه)[٤].

وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ معناه: لنعلمه علماً يتعلّق به الجزاء، وهو أن يعلمه موجوداً حاصلاً.

---

(١) شواهد التنزيل ج١: ٩٢.

(٢) المائدة: ١١٧.

(٣) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج٢: ٨.

(٤) معجم الطبراني الكبير ج١١: ٥٦.

﴿وَإِن كَانَتۡ﴾ هي (إن) المخففة التي تلزمها اللام الفارقة. ﴿لَكَبِيرَةً﴾ لثقيلة شاقة.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إلا على الذين صدقوا في اتباع الرسول، الذين لطف الله بهم وكانوا أهلاً للطفه.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ أي: ثباتكم على الإيمان، بل شكر صنيعكم وأعدّ لكم الثواب الجزيل. وقيل: معناه: من كان صلّى إلى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ لا يضيع أجورهم ولا يترك مصالحهم.

قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤

﴿قَدۡ نَرَىٰ﴾ ربّما نرى، ومعناه: كثرة الرؤية كقول الشاعر:

قَدْ أَتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَرّاً أَنامِلَهُ[2]

﴿تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ﴾ تردد وجهك ﴿فِي﴾ جهة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾. وكان رسول الله ﷺ ينتظر الوحي من السماء في تحويله إلى الكعبة، لأنّها قبلة أبيه إبراهيم، ومفخرة العرب ومطافهم، فيكون أدعى لهم إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود.

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا﴾ فلنعطينك ولنمكّننك من استقبالها، من قولهم:

---

(١) عن ابن عباس. سنن أبي داود ج٤: ٢١٩ ح٤٦٨٠.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص: ٥٦. وبقيته: كأن أثوابه مجت بفرصاد.

ولّيته كذا، أي: جعلته والياً عليه، أو فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: نحوه. قيل: كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة وقد صلّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحوّل في الصلاة وحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال، فسمّي المسجد مسجد القبلتين(١).

و﴿شَطْرَ﴾ نصب على الظرف، أي: اجعل تولية الوجه تلقاء ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾ أي: في جهته وسمته.

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ أينما كنتم من الأرض ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ وهو خطاب لجميع أهل الآفاق.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: علماء اليهود والنصارى ﴿لَيَعْلَمُونَ﴾ أنّ التحويل إلى الكعبة هو ﴿ٱلْحَقُّ﴾ لأنّه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله أنّه يصلّي إلى القبلتين.

وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

اللام في ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾ هي الموطئة للقسم، و﴿مَا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ جواب القسم المحذوف وقد سدّ مسدّ جواب الشرط. يعني: إن أتيتهم ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾

---

(١) الكشف والبيان ج٢: ١٢.

بكل برهان قاطع على أنّ التوجه إلى الكعبة هو الحقّ ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ لأنّ تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها الحجّة، إنّما هو عن عناد ومكابرة، لعلمهم بما في كتبهم من نعتك وكونك على الحقّ.

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ حسم لأطماعهم، إذ قالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنّا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره [تغريراً له](١)، وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يعني: إنّهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم، وذلك أنّ اليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى مطلع الشمس.

وقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ بعد بيان حاله المعلومة عنده في قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير، بمعنى: ولئن اتبعتهم مثلاً من بعد وضوح الأمر ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لمن المرتكبين الظلم الفاحش. وفي ذلك زيادة تحذير وتهجين لحال من يترك الدليل بعد تثبّته.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ الضمير لرسول الله، أي: يعرفون رسول الله معرفة جلية ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم. وجاز الإضمار وإن لم يجر له ذكر، لأنّ الكلام يدلّ عليه؛ ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإيذان بأنّه لشهرته

---

(١) ساقطة من أ، ج، ط.

معلوم بغير إعلام، وقيل: الضمير للعلم، أو للقرآن، أو لتحويل القبلة[١].

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا﴾ خصّ الفريق منهم استثناء لمن آمن منهم كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار[٢].

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ مبتدأ وخبر، وفيه وجهان: أن تكون اللام للعهد والإشارة إلى الحقّ الذي عليه رسول الله ﷺ، وأن تكون للجنس على معنى: الحقّ من ربّك لا من غيره. ويجوز أن يكون ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف، فيكون ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ في محلّ النصب على الحال، أو يكون خبراً بعد خبر.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكّين في كتمانهم الحقّ مع علمهم، أو في أنّه من ربّك.

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي: لكل أهل ملة ﴿وِجْهَةٌ﴾ أي: قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه، فحذف أحد المفعولين، وقيل: ﴿هُوَ﴾ الله تعالى[٣]، أي: الله موليها إيّاه. وقرئ: هو مولاها، أي: هو مولى تلك الجهة قد ولِّيها [أي:مصروفاً اليها][٤]. والمعنى: لكل أمّة قبلة تتوجّه إليها منكم ومن غيركم.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾ أنتم ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ واسبقوا إليها غيركم في أمر القبلة وغيرها.

---

(١) إعراب القرآن ج١: ٢٧٠.

(٢) كعب بن ماتع الحميري، كان يهودياً، أسلم في زمن أبي بكر، وقدم من اليمن في زمن عمر، وتوفي في زمن عثمان. ينظر: تذكرة الحفاظ ج ١: ٥٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٢٢٥.

(٤) ساقطة من أ، ج، ط.

ويجوز أن يكون المعنى: ولكل منكم يا أمّة محمّد جهة يصلّي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية، فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وإن اختلفت.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ﴾ من الجهات المختلفة ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنّها إلى جهة واحدة، وكأنّكم تصلّون حاضري المسجد الحرام. وقيل: أينما كنتم من البلاد فيدرككم الموت يأت بكم الله إلى المحشر يوم القيامة، أي: يحشركم جميعاً[١]. وروي عنهم عليهم السلام: ((أنّ المراد به أصحاب المهدي في آخر الزمان))[٢].

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ أي: ومن أي بلد خرجت فاستقبل بوجهك نحو ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إذا صليت.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: إنّ هذا المأمور به ﴿لَلْحَقُّ﴾ الثابت الذي لا يزول بنسخ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد. وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة،

(١) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج٢: ١٩.

(٢) تفسير العياشي ج١: ٦٥-٦٦.

لأنّ النسخ من مظان الشبهة، ولأنّه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ استثناء من ﴿ٱلنَّاسِ﴾، ومعناه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ حجّة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين: إنّ محمّداً ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحبّاً لبلده، ولو كان على الحقّ للزم قبلة الأنبياء. وأما الحجّة التي كانت للمنصفين منهم لو لم يحوّل القبلة فهي أنّهم كانوا يقولون: ماله لا يحوّل إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة؟!. وإنّما أطلق اسم الحجّة عليه لأنّهم كانوا يسوقونه سياق الحجّة.

ويجوز أن يكون المعنى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ للعرب ﴿عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾ في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ وهم أهل مكة حين يقولون: بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم.

﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ ولا تخالفوا أمري.

﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي﴾ متعلّق اللام محذوف، أي: ولإتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أمرتكم بذلك؛ أو هو معطوف على علة مقدرة، كأنّه قيل: واخشوني لأوفقكم ولأتم نعمتي عليكم، وقيل: هو معطوف على (لئلا يكون)، وفي الحديث: ((تمام النعمة دخول الجنّة))[1].

---

(١) معاني الأخبار: ٢١٨، الأدب المفرد: ٢٥٣.

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

الكاف: إما أن يتعلّق بما قبله، أي: ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب، كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول؛ وإما أن يتعلّق بما بعده، أي: كما ذكرتكم بإرسال الرسول.

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ بالطاعة ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالثواب.

﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ ما أنعمت به عليكم ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ ولا تجحدوا نعمائي.

ويعني بالرسول: محمّداً صلى الله عليه وآله. ﴿مِّنكُمۡ﴾ أي: من نسبكم، منّ سبحانه عليهم بكونه عليه السلام من العرب لما حصل لهم بذلك من الشرف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

خاطب سبحانه المؤمنين وأمرهم بأن يستعينوا ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ وهو حبس النفس على المكروه وحبسها عن المحبوب، وبـ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ لما فيها من الذكر والخشوع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالمعونة والنصرة.

﴿أَمۡوَٰتُۢ﴾ أي: ﴿لَا تَقُولُواْ﴾: هم ﴿أَمۡوَٰتُۢ بَلۡ﴾ هم ﴿أَحۡيَآءٞ﴾ عند الله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ كيف حالهم في حياتهم. قال الحسن: (إنّ الشهداء أحياء

عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشياً فيصل إليهم الألم والوجع)[١].

قالوا: ويجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرة، وقيل: نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر[٢].

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا
لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ ولنصيبنكم إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم، هل تصبرون وتسلمون لحكم الله أم لا.

﴿بِشَيْءٍ﴾ أي: بقليل من كل هذه البلايا أو بطرف منه.

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ المسترجعين عند البلاء، لأنّ الاسترجاع تسليم وإذعان.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ قولنا: (إنّا لله) إقرار على أنفسنا بالملك، وقولنا: (إنّا إليه راجعون) إقرار على أنفسنا بالهلك))[٣].

وإنّما قلل في قوله: ﴿بِشَيْءٍ﴾ ليؤذن أنّ كل بلاء أصاب الإنسان وإن جلّ ففوقه ما يقلّ هذا بالإضافة إليه.

وقوله: ﴿وَنَقْصٍ﴾ عطف على ﴿شَيْءٍ﴾ أو على ﴿الْخَوْفِ﴾، بمعنى: وشيء من نقص الأموال.

---

(١) معالم التنزيل ج١: ٥٩.

(٢) أسباب النزول: ٣٤.

(٣) نهج البلاغة: ٥٨٢ ح٩٩.

﴿وَبَشِّرِ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من تتأتى منه البشارة.

والصلاة من الله: العطف والرأفة، جمع بينها وبين الرحمة كقوله: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾(١)، و﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٢). والمعنى: عليهم رأفة بعد رأفة، ورحمة بعد رحمة.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلّموا لأمر الله.

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

﴿الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ علمان للجبلين، والشعائر: جمع شعيرة وهي العلامة، أي: هما من أعلام مناسكه ومتعبداته، والحج: القصد، والاعتمار: الزيارة، وهما في الشرع: قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين، وهما في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان.

و﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله: (يتطوف) فأدغم، وعن أبي جعفر الباقر ﵇: أن يَطُوفَ بهما.

وإنّما قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ والسعي بينهما واجب، لأنّه كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة، وهما صنمان. يروى: أنّهما كانا رجلاً وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما، فلما طالت المدة عبدا. وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الإسلام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل

(١) الحديد: ٢٧.

(٢) التوبة: ١١٧.

فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح[١].

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: من تبرّع بالسعي بين الصفا والمروة بعدما أدى الواجب.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ مجاز على ذلك ﴿عَلِيمٌ﴾ بقدر الجزاء فلا يبخس أحداً حقّه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

يعني: أحبار اليهود، أي: ﴿يَكْتُمُونَ﴾ ما أنزلناه في التوراة من الآيات الشاهدة على صحة نبوة محمّد ﷺ، والهادية إلى نعته وصفته، والأمر باتباعه والإيمان به.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾ ولخّصناه ﴿لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: في التوراة، لم ندع فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم، فكتموا ذلك المبيّن الملخص.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ من الملائكة والمؤمنين.

﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ أي: ندموا على ما فعلوا ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ نياتهم فيما يستقبل من الأوقات، وتداركوا ما فرط منهم ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ ما قد بيّنه الله في كتابهم، أو بيّنوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما عرفوا به ويقتدي غيرهم بهم.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم [﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ﴾ القابل للتوبة

(١) أسباب النزول: ٣٥.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده][١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾

أي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ ذكر سبحانه لعنتهم أحياء ثم ذكر لعنتهم أمواتاً.

ومعنى قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ والمراد به: من يعتدّ بلعنه وهم المؤمنون، وقيل: إنّ يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في اللعنة، وقيل: في النار إلا أنّها أضمرت لتفخيم شأنها وتهويل أمرها[٢].

﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ لا يمهلون ـ من الإنظار ـ، أو لا ينتظرون، أو لا ينظر الله إليهم نظر رحمة.

واللعن من الله: الإبعاد من الرحمة وإيجاب العقاب، ومن الناس: هو الدعاء عليهم بذلك.

﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ

---

(١) ساقطة من أ، ج، ط.

(٢) عن أبي العالية. تفسير الطبري ج٢: ٣٦.

وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ فرد في الإلهية لا شريك له فيها، فلا يصح أن يسمّى غيره إلهاً، و﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته، و﴿هُوَ﴾ بدل من موضع ﴿لَّآ إِلَٰهَ﴾ وهو الرفع، لأنّ ﴿لَا﴾ مع ما بعدها مبتدأ، وهكذا في قولك: (لا إله إلا الله): (الله) بدل من موضع (لا إله) والخبر محذوف، والتقدير: الله في الوجود.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ المولي لجميع النعم: أُصولها وفروعها، ولا شيء سواه بهذه الصفة، فإن كل ما سواه إما نعمة، وإما منعم عليه.

وروي: إنّ المشركين كان لهم حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فلما سمعوا هذه الآية قالوا: إن كنت صادقاً فأت بآية نعرف بها صدقك، فنزل[1]:

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وإنشائهما على سبيل الاختراع والإبداع.

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: اعتقابهما، كل واحد منهما يعقب الآخر ويخلفه، أو اختلافهما في الجنس والهيئة والصفة.

﴿وَٱلۡفُلۡكِ﴾ أي: السفن.

﴿ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: بالذي ينفعهم فتكون (ما) موصولة، أو بنفعهم فتكون (ما) مصدرية.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من نحو السماء أو من السحاب ﴿مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالإنبات وإنماء النبات، أو أهل الأرض بإخراج الأقوات.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾ عطف على ﴿أَنزَلَ﴾ أي: وما أنزل في الأرض

---

(١) الكشف والبيان ج٢: ٣٢.

من ماء وبثّ فيها من كل دابة، ويجوز أن يكون عطفاً على ﴿فَأَحْيَا﴾ أي: فأحيا بالمطر الأرض وبثّ فيها من كل دابة، لأنّهم ينمون ويعيشون بالحيا والخصب.

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ في مهابها قبولاً ودبوراً وشمالاً وجنوباً، وفي أحوالها باردة وحارة ولينة وعاصفة.

﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ للرياح تقلّبه في سكائك الجو ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بمشيئة الله يمطر حيث شاء.

﴿لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون بها، لأنّها دلائل على عظيم القدرة وعجيب الحكمة.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ
أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (من) للتبعيض، أي: وبعض الناس ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالاً من الأصنام التي يعبدونها، وقيل: من الرؤساء[1] بدلالة قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا﴾، وقال الباقر عليه السلام: ((هم أئمّة الظلمة وأشياعهم))[2].

﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ يعظّمونهم ويخضعون لهم ويحبّون عبادتهم والانقياد لهم.

﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي: كما يحبّ الله، على أنّه مصدر من الفعل المبني للمفعول. واستغنى عن ذكر من يحبّه لأنّه معلوم، وقيل: كحبّهم الله، أي: يسوون بينه وبينهم

---

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج٢: ٤٠.

(٢) تفسير العياشي ج١: ٧٢.

في محبّتهم[١].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأنّهم لا يعدلون عنه إلى غيره، بخلاف المشركين فإنّهم يعدلون من صنم إلى غيره.

﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ باتخاذ الأنداد، أي: ولو يعلم هؤلاء الذين أشركوا (أن) القدرة كلها (لله) على كل شيء دون أندادهم، ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندم والتحسر فحذف الجواب.

وقرئ: (ولو ترى) بالتاء على خطاب الرسول، أو كل مخاطب، أي: ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً. وقرئ: (إذ يُرَوْنَ) على البناء للمفعول، و(إذ) في المستقبل كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[٢].

إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ
بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ
مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ
وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

﴿إِذۡ تَبَرَّأَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ أي: تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأتباع.

﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ الواو للحال، أي: تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب.

﴿وَتَقَطَّعَتۡ﴾ عطف على ﴿تَبَرَّأَ﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٢١٨.

(٢) الأعراف: ٤٤.

و﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ الأسباب التي كانت بينهم يتواصلون عليها، والأرحام التي كانوا يتعاطفون بها. والمعنى: زال عنهم كل سبب يمكن أن يتوصل به من مودة أو عهد أو قرابة فلا ينتفعون بشيء من ذلك.

﴿وَقَالَ﴾ الأتباع: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي: عودة إلى دار الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ﴾ فيها من الرؤساء ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ في الآخرة. و﴿لَوْ﴾ في معنى التمنّي، ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمنّي، كأنّه قيل: ليت لنا كرّة فنتبرأ منهم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإراءة الفظيعة ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: ندامات، والمعنى: إنّ أعمالهم تنقلب حسرات ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم.

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: يخلدون فيها. وفي ﴿هُم﴾ دلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

هذا خطاب لجميع بني آدم.

﴿حَلَٰلًا﴾ مفعول ﴿كُلُوا۟﴾ أو حال من ما ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿طَيِّبًا﴾ طاهراً من كل شبهة.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فتدخلوا في حرام أو شبهة. و(من) للتبعيض، لأنّ كل ما في الأرض غير مأكول. والخُطوة: ما بين قدمي الخاطي، والخَطوة: المرة من الخطو كالغُرفة والغَرفة، واتبع خطواته ووطئ على عقبه في

معنى: اقتدى به واستن بسنته.

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر العداوة.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ بيان لوجوب الكفّ عن اتباعه وظهور عداوته، أي: لا يأمركم بخير قط، إنّما يأمركم ﴿بِالسُّوٓءِ﴾ بالقبيح ﴿وَالْفَحْشَآءِ﴾ ما يتجاوز الحد في القبح. وقيل: السوء مالا حدّ فيه، والفحشاء ما يجب فيه الحد[1].

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهو أن تقولوا: هذا حلال وهذا حرام بغير علم. ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله سبحانه مما لا يجوز عليه، وجميع الاعتقادات الباطلة والمذاهب الفاسدة.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

الضمير في ﴿لَهُمُ﴾ للناس، وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات لبيان ضلالهم، فإنّه لا ضال أضل من المقلِّد، كأنّه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون، والقائل لهم هو النبي ﷺ والمسلمون، والمقول لهم: المشركون أو قوم من اليهود.

و﴿أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ الواو للحال، والهمزة بمعنى الرد والتعجيب، معناه: أيتبعون آباءهم ولو كانوا ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ للصواب.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً

---

(١) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج١: ٦٣.

﴿وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾

لابد ها هنا من حذف المضاف، والتقدير: ﴿وَمَثَلُ﴾ داعي ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾، أو مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق. والمعنى: ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنّهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة والصوت من غير تفهم واستبصار، كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَآءً﴾ الناعق ونداءه، ولا تفقه شيئاً آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون.

ونعق الراعي بالغنم: إذا صوّت بها، وأما نغق الغراب فبالغَين.

﴿صُمُّۢ﴾ أي: هم صمّ، رفع على الذم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾

أي: ﴿كُلُواْ مِن﴾ مستلذات ﴿مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ لأنّ ما رزقه الله تعالى لا يكون إلا حلالاً.

﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ الذي رزقكم إيّاها ﴿إِن﴾ صح أنّكم تخصونه بالعبادة وتقرّون أنّه المنعم على الحقيقة. وفي الحديث: ((يقول الله تعالى: إنّي والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري))(١).

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾

﴿ٱلۡمَيۡتَةَ﴾ ما يموت من الحيوان.

---

(١) مسند الشاميين ج٢: ٩٣ ح ٩٧٥.

وخصّ ﴿لَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ لأنّه المعظم والمقصود، وإلا فجملته محرّمة.

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: رفع به الصوت للصنم، وكذلك قول أهل الجاهلية: باسم اللات والعزّى.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ إلى أكل هذه الأشياء ضرورة مجاعة أو إكراه.

﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ على مضطر آخر بالاستئثار عليه ﴿وَلَا عَادٖ﴾ سد الجوعة. وعنهم عليهم السلام: ((غير باغ على إمام المسلمين، ولا عاد بالمعصية طريقة المحقّين))[1].

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ أي: لا حرج عليه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾

أعيد ذكر اليهود الذين تقدّم ذكرهم.

﴿فِي بُطُونِهِمۡ﴾ أي: ملء بطونهم، يقال: أكل فلان في بطنه، وأكل في بعض بطنه.

﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأنّه إذا أكل ما يؤدي إلى النار فكأنّه أكل النار، ومنه قولهم: أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدل منه.

---

(١) التبيان ج٢: ٨٦.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ تعريض بحرمانهم حال أهل الجنّة في إكرام الله إيّاهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم. وقيل: نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم[١].

﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ تعجب من حالهم في جرأتهم على النار والتباسهم بموجبات النار، وقيل: معناه أيّ شيء صبّرهم على النار[٢]، يقال: أصبره و صبّره بمعنى.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب بسبب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: نزّل ما نزّل من الكتاب ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي﴾ كتب الله فقالوا في بعضها: حقّ، وفي بعضها: باطل، وهم أهل الكتاب ﴿لَفِي شِقَاقِۢ﴾ أي: في خلاف ﴿بَعِيدٖ﴾ عن الحقّ.

و(الكتاب) للجنس، أو يكون المعنى: كفرهم ذلك بسبب أنّ الله نزّل القرآن بالحقّ، وإنّ الذين اختلفوا فيه فقالوا: سحر، أو شعر، أو أساطير لفي شقاق بعيد عن الاجتماع على الصواب.

لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ
ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ
وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ
وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧

(١) عن الحسن وغيره. التبيان ج٢: ٨٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ج١: ١٠٣.

الخطاب لأهل الكتاب، لأنّ اليهود كانت تصلي قِبَل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قِبَل المشرق، وذلك أنّهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّل رسول الله ﷺ إلى الكعبة، وزعم كل واحد من الفريقين: أنّ البر هو التوجه إلى قبلته، فرّد عليهم وقيل لهم: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ فيما أنتم عليه لأنّه منسوخ. وقيل: كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل: ليس كل البر أمر القبلة، ولكن البر الذي يجب صرف الهمة إليه بر ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ وقام بهذه الأعمال[١]، والبر: اسم لكل فعل مرضي. وقرئ: البر بالنصب على أنّه خبر مقدّم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ على تأويل حذف المضاف، أي: برّ من آمن، أو يكون البرّ بمعنى: ذي البرّ، أو يكون البرّ بمعنى: البارّ كما قالت:

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ[٢]

وقال المبرد[٣]: (لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت: ولكن البَرّ بفتح الباء)[٤].

و(الكتاب) جنس الكتب أو القرآن.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ مع حبّ المال والشح به كما قال ابن مسعود [رواية عن رسول ﷺ حين سئل عنه: أي الصدقة أفضل؟ فقال ﷺ][٥]: ((أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان

---

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج٢: ٥٥.

(٢) ديوان الخنساء: ٤٨. وصدره: ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت

(٣) أبو العباس محمّد بن يزيد الثمالي الأزدي، ولد سنة ٢١٠ هـ، كان إماماً في النحو و اللغة، توفي سنة ٢٨٥ هـ، له كتاب الكامل والمقتضب وغيرهما. ينظر: معجم الأدباء ج١٩: ١١١.

(٤) الكشاف ج١: ٢١٨.، وينظر الكامل في اللغة والأدب ج١: ٢٢٨ .

(٥) ساقطة من أ، ج.

كذا))[١]. وقيل: على حبّ الله[٢]، وقيل: على حبّ الإيتاء[٣]، أي: يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه.

والمسكين: الدائم السكون إلى الناس لأنّه لا شيء له كالمسكير: الدائم السكر.

﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع به، جعل ابناً للسبيل لملازمته له، كما يقال للص القاطع: ابن الطريق. وقيل: هو الضيف[٤] لأنّ السبيل يرعف به.

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ الطالبين للصدقة، وقيل: المستطعمين[٥]. وفي الحديث: ((للسائل حقّ وإن جاء على فرس))[٦].

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ وفي معاونة المكاتبين حتى يفكّوا رقابهم، وقيل: في ابتياع الرقاب وإعتاقها[٧]. وعن الشعبي قال: (إنّ في المال حقّاً سوى الزكاة وتلا هذه الآية)[٨]، لأنّه ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قيل: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

﴿وَٱلۡمُوفُونَ﴾ عطف على ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾.

وأخرج ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ منصوباً على الاختصاص والمدح إظهاراً لفضل

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج٢: ١٢، سنن النسائي ج٦: ٢٣٧.

(٢) أمالي المرتضى ج١: ١٤٥.

(٣) عن الحسين بن أبي الفضل. الكشف والبيان ج٢: ٥١.

(٤) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢: ٥٧.

(٥) تفسير الطبري ج٢: ٥٧.

(٦) معجم الطبراني الكبير ج٣: ١٣١، وينظر: من لا يحضره الفقيه ج٢: ٣٩.

(٧) عن الشافعي. تفسير الماوردي ج١: ٢٢٧.

(٨) تفسير الطبري ج٢: ٥٦.

الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال.

و﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾الفقر والشدة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض والزمانة ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ أي: وقت القتال وجهاد الكفار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أي: كانوا صادقين جادّين في الدين ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين اتقوا النار بفعل هذه الخصال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٨ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ أي: فرض وأوجب ﴿ٱلْقِصَاصُ﴾ المساواة في القتلى، وهو أن يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾. وعن الصادقعليه السلام قال: ((لا يقتل حرّ بعبد، ولكن يضرب ضرباً شديداً، ويغرّم دية العبد، ولا يقتل الرجل بالمرأة إلا إذا أدّي إلى أهله نصف ديته))[(١)].

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ معناه: فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو، كما يقال: سير بزيد بعض السير. ولا يصح أن يكون ﴿شَيْءٌ﴾ في معنى المفعول به، لأنّ (عفا) لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة. و(أخوه) هو ولي المقتول، وذكر بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من أخوّة الإسلام، ويقال: عفوت له ذنبه، وعفوت لفلان عما جنى، فيعدّى إلى

(١) تفسير العياشي ج١: ٧٥.

المذنب باللام، ويعدّى إلى الجاني وإلى الذنب بـ(عن) فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه.

وإنّما قيل: شيء من العفو للإشعار بأنّه إذا عفي له طرف من العفو وبعض منه، بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة، تم العفو وسقط القصاص ولم يجب إلا الدية.

﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي: فليكن اتباع، أو فالأمر اتباع. وهذه توصية للعافي والمعفو عنه جميعاً، أي: فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة، وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء ﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾ بأن لا يمطله ولا يبخسه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من القصاص أو العفو أو الدية ﴿تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ لأنّ أهل التوراة كتب عليهم القصاص أو العفو وحرّم عليهم أخذ الدية، وعلى أهل الإنجيل العفو أو الدية وحرّم القصاص.

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ بأن قتل بعد قبول الدية أو العفو، أو تجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي: نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة.

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ فيه فصاحة عجيبة، وذلك أنّ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفاً ومكاناً للحياة، وفي تعريف القصاص وتنكير الحياة معنى: إنّ لكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة، وذلك أنّهم كانوا [قبل الإسلام][1] يقتلون بالواحد الجماعة، ويقتلون بالمقتول غير قاتله فتقع الفتنة، فكانت في القصاص حياة أي حياة أو نوع من الحياة، وهي الحياة

(١) ساقطة من أ، ط.

الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل فسلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود، فكان القصاص سبب حياة نفسين.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [أي لكي تتقوا][1] القتل خوفاً من القصاص، أو لعلكم تعملون عمل أهل التقوى.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝١٨٠﴾

﴿الْوَصِيَّةُ﴾ فاعل (كتب) وذكّر للفاصل، ولأنّها بمعنى: أن يوصي ولذلك ذكّر الراجع في قوله: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾.

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ إذا دنا منه وظهرت إماراته.

﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: مالاً.

﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي: لوالديه وأقربائه.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالشيء الذي يعرف العقلاء أنّه لا جور فيه ولا حيف.

﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد، أي: حقّ ذلك حقّاً ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ على من آثر التقوى.

قالوا: إنّ هذه الآية منسوخة[2] بقوله ﷺ: ((لا وصية لوارث))[3]. ولم يجوّز أصحابنا نسخ القرآن بخبر الواحد، وقالوا: إنّ الوصية لذي القرابة من أوكد السنن، ورووا عن الباقر عليه السلام: ((أنّه سئل هل تجوز الوصية للوارث؟ فقال: نعم،

---

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) كتاب الأم ج٤: ٢٧.

(٣) سنن أبي داود ج٣: ١١٣ ح ٢٨٧٠.

وتلا هذه الآية))[١].

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ أي: فمن غيّر الإيصاء عن وجهه من الأوصياء أو الشهود ﴿بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ وتحقّقه.

﴿فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ أي: فما إثم الإيصاء المغيّر أو إثم التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنّهما بريئان من الجنف.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ وعيد للمبدل.

﴿فَمَنۡ خَافَ﴾ أي: فمن توقع وعلم، وقد شاع في كلامهم أخاف أن يقع كذا يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم.

﴿مِن مُّوصٖ جَنَفًا﴾ أي: ميلاً عن الحقّ بالخطأ في الوصية ﴿أَوۡ إِثۡمٗا﴾ أو تعمّداً للجنف.

﴿فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: بين الورثة والموصى لهم ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ لأنّ تبديله تبديل باطل إلى حقّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ

---

(١) تهذيب الأحكام ج٩: ١٩٩.

خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ أي: فرض عليكم ﴿الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء وأممهم من لدن عهد آدم إلى عهدكم، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ((أولهم آدم))[١]. يعني: إنّ الصوم عبادة قديمة ما أخلى الله تعالى أمّة من إيجابها عليهم،لم يوجبها عليكم وحدكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بالمحافظة عليها وتعظيمها [لأصالتها و قدمها][٢]، أو لعلكم تتقون المعاصي، لأنّ الصائم أردع لنفسه عن مواقعة السوء.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ موقّتات بعدد معلوم، أو قلائل كقوله: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[٣]، وأصله: أنّ المال القليل يقدّر بالعدد، والكثير يحثى حثياً. والمعنى يقتضي أن يكون ﴿أَيَّامًا﴾ منصوباً بـ﴿الصِّيَامُ﴾ كما تقول: نويت الخروج يوم الجمعة، إلا أنّ الصيغة تأباه للفصل بينه وبين (أيّام) بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ﴾، فينبغي أن يكون انتصابه بفعل مضمر نحو: صوموا أيّاماً، لدلالة قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ عليه.

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أو راكب سفر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ أي: فعليه عدّة ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. وفيه دلالة على أنّ المسافر والمريض مكتوب عليهما الإفطار وأنّ يصوما أيّاماً أخر، وفي الحديث: ((الصائم في السفر كالمفطر في الحضر))[٤].

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم إن أفطروا

---

(١) الكشاف ج١: ٢٢٥، وينظر: من لا يحضره الفقيه ج٢: ٤٤.

(٢) ساقطة من أ، ب، ط.

(٣) يوسف: ٢٠.

(٤) الكافي ج٤: ١٢٧، تفسير الطبري ج٢: ٨٩.

﴿فِدۡيَةٞ طَعَامُ﴾ وعن الباقر عليه السلام: طعام مساكين. وكان ذلك في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعوّدوا فاشتدّ عليهم فرخّص لهم في الإفطار والفدية.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ فزاد على مقدار الفدية ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ﴾ فالتطوع أخير له. وقرئ: ومن يطّوّع بمعنى: يتطوع.

﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ أيّها المطيقون ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من الفدية وتطوع الخير. ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. وروى أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ معناه: ((وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك فدية لكل يوم مدّ من الطعام))[1]. وعلى هذا فلا نسخ.

شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

الرمضان مصدر (رمض): إذا احترق ـ من الرمضاء ـ فأضيف إليه الشهر وجعل علماً، ومنع الصرف للتعريف والألف والنون. وهو مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، أو بدل من ﴿الصِّيَامُ﴾ في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه الأيّام المعدودات ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾.

ومعنى ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ ابتدأ فيه إنزاله وكان ذلك في ليلة القدر، وقيل: أُنزل جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض نجوماً[2]، وقيل: أُنزل في شأنه

(١) من لا يحضره الفقيه ج٢: ٨٤.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج٢: ٨٥.

القرآن[١] وهو قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ نصب على الحال، أي: أُنزل وهو هادٍ للناس إلى الحقّ، [وهو آيات واضحات مما يهدي إلى الحقّ][٢] ويفرّق بين الحقّ والباطل، ذكر أولاً أنّه هدى ثم ذكر أنّه بيّنات من جملة ما هدى الله به وفرّق به بين الحقّ والباطل من الكتب السماوية.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: فمن كان حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر، والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، ولا يكون مفعولاً به، لأنّ المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر.

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ حدّ المرض الذي يوجب الإفطار: ما يخاف بالصوم الزيادة المفرطة فيه، وحدّ السفر الذي يوجب الإفطار: ثمانية فراسخ.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ أي: يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر، وقد نفى عنكم الحرج في الدين، وأمركم بالحنيفية السمحة التي لا إصر فيها، ومن جملة ذلك: ما أمركم بالإفطار في السفر والمرض.

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ الفعل المعلل محذوف ويدلّ عليه ما سبق، والتقدير: ولتكملوا العدة ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك لكم. ويجوز أن يكون ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ معطوفاً على علة مقدرة، كأنّه قيل: يريد الله ليسهّل عليكم ولتكملوا العدة.

---

(١) عن مجاهد. تفسير الماوردي ج١: ٢٤٠.

(٢) ساقطة من ج.

والمراد بالتكبير عندنا: التكبير عقيب أربع صلوات: المغرب، والعشاء ليلة الفطر، والغداة، وصلاة العيد[١].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ تمثيل لحاله في سرعة إجابته لمن دعاه بحال من قرب مكانه، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٢].

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أنّي أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم.

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ روي عن الصادق عليه السلام: أنّ معناه: ((وليتحقّقوا أنّي قادر على إعطائهم ما سألوه))[٣].

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾أي: لعلهم يصيبون الحقّ ويهتدون إليه.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ

---

(١) ينظر: الوسائل ج٥ باب ٢٠ من أبواب صلاة العيد.

(٢) ق: ١٦.

(٣) تفسير العياشي ج١: ٨٣ بالمعنى.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾

﴿ٱلرَّفَثُ﴾ أصله: القول الفاحش، فكنى به عن الجماع، وعدّي بـ﴿إِلَىٰ﴾ لتضمّنه معنى الإفضاء.

﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾ استئناف كالبيان لسبب الإحلال، وهو أنّه إذا كانت بينكم وبينهن المخالطة والمعانقة قلّ صبركم عنهن، فلذلك رخّص لكم في مباشرتهن.

والاختيان: من الخيانة، كالاكتساب من الكسب، أي: علم الله أنّكم كنتم تنقصون أنفسكم حظها من الخير ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ فرخّص لكم وأزال التشديد عنكم. قال الصادقعليه السلام: ((كان الأكل محرّماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، وكان النكاح حراماً بالليل والنهار، وكان رجل من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم يقال له: مطعم بن جبير نام قبل أن يفطر، وحضر حفر الخندق فأغمي عليه. وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل سراً في شهر رمضان، فنزلت الآية، فأحلّ النكاح بالليل والأكل بعد النوم، فذلك قوله: ﴿وَعَفَا عَنكُمۡ﴾))[١].

﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ من الولد بالمباشرة، أي: لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها، ولكن لابتغاء ما وضع الله النكاح له من التناسل، وقيل: وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر[٢].

﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ وهو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود.

---

(١) تفسير القمي ج١: ٦٦ باختلاف.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢: ٩٩.

﴿مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ وهو ما يمتد معه من ظلمة الليل، شبّها بخيطين، وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود.

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ﴾ أي: معتكفون في المساجد، والاعتكاف: أن يحبس نفسه في المسجد للعبادة.

﴿تِلۡكَ﴾ الأحكام التي ذكرت ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: حرمات الله ومناهيه ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾ فلا تأتوها. وفي الحديث: ((إنّ لكل ملك حمى، وإنّ حمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه))[1]. والرتع حول الحمى والقرب منه واحد.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البيان. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ حججه ودلّائله ﴿لِلنَّاسِ﴾ على ما أمرهم به ونهاهم عنه ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ معاصيه ومناهيه.

وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ
لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

أي: لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالوجه الذي لا يحلّ ولم يشرعه الله.

﴿وَتُدۡلُواْ﴾ أي: ولا تدلوا ﴿بِهَآ﴾ أي: ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها ﴿إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقٗا﴾ طائفة ﴿مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ﴾ بشهادة الزور، أو باليمين الكاذبة، أو بالصلح مع العلم بأنّ المقضي له ظالم. وقيل: وتدلوا وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة[2].

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج١: ٣٩٠، سنن أبي داود ج٣: ٢٤٠ ح٣٣٢٩.

(٢) عن الجبائي. التبيان ج٢: ١٣٨.

﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنّكم على الباطل، وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح.

يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ﴾ أحوال ﴿ٱلۡأَهِلَّةِ﴾ في زيادتها ونقصانها، ووجه الحكمة في ذلك.

﴿قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ أي: معالم يوقّت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وغير ذلك، ومعالم للحج يعرف بها وقته.

﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ونقبوا في ظهور بيوتهم نقباً منه يدخلون ويخرجون، فقيل لهم: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾ بتحرّجكم من دخول الباب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ﴾ برّ ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ما حرّم الله. [والتقدير: ولكن البرّ برّ من اتقى، أو ولكن ذا البرّ برّ][(١)].

﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَا﴾ وقيل: معناه باشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها أي الأمور كانت.

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

---

(١) ساقطة من أ، ط.

قيل: إنّها أول آية نزلت في القتال بالمدينة(١).

والمقاتلة ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هو الجهاد لإعزاز دين الله وإعلاء كلمته.

﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ يناجزونكم القتال دون المحاجزين، وعلى هذا فيكون منسوخاً بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾(٢). ويجوز أن يريد الذين يناصبونكم القتال دون الصبيان والنساء، أو يريد الكفرة كلهم، لأنّهم جميعاً يقصدون مقاتلة أهل الإسلام فهم في حكم المقاتلة فلا يكون حكم الآية منسوخاً.

﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ بقتال من نهيتم عن قتاله، أو بالمثلة، أو بالمفاجأة من غير دعوة.

وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ
مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن
قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾

﴿حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ﴾ أي: أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ يوم الفتح بمن لم يسلم منهم.

﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ أي: المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشدّ عليه من القتل. جعل الإخراج من الوطن من المحن التي يتمنّى عندها الموت. وقيل: الفتنة عذاب الآخرة، كما قال: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾(٣)، وقيل: الشرك

(١) عن الربيع بن أنس. تفسير الطبري ج٢: ١١٠.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) الذاريات: ١٤.

أعظم من القتل في الحرم[١]، وذلك أنّهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون المسلمين به. وقرئ: ولا تقتلوهم... حتى يقتلوكم فيه... فإن قتلوكم. جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم، قال الشاعر:

فَـإِنْ تَقْتُلُونَـا نُقَتِّلْكُـمُ[٢]

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن الشرك والقتل كقوله: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٣].

وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن الشرك ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: فلا تعتدوا على المنتهين، لأنّ مقاتلة المنتهين عدوان وظلم، فوضع قوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ موضع المنتهين.

ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

[أي: قتال الشهر الحرام بالشهر الحرام، والباء للبدلية، أي: قتالكم إيّاهم في

---

(١) الكشف والبيان ج٢: ٨٨.

(٢) ديوان امرئ القيس: ١٨٦، وفيه: وإن تقتلونا نقتّلكم   وإن تقصدوا لدمٍ نقصد.

(٣) الأنفال: ٣٨.

الشهر الحرام بقتالهم إيّاكم في الشهر الحرام](١).

قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذوالقعدة، فقيل لهم عند خروجهم لقضاء العمرة وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه، يعني: تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم.

﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ أي: كل حرمة يجري فيها القصاص، فمن هتك حرمة اقتص منه بأن تهتك له حرمة، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثل ذلك ولا تبالوا. ثم أكّد ذلك بقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ...إلى آخره﴾.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في حال كونكم منتصرين، فمن اعتدى عليكم فلا تعتدوا، [أي: فلا تجاوزوا](٢) إلى مالا يحلّ لكم.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾

﴿وَأَنفِقُواْ﴾ من أموالكم في الجهاد وأبواب البر.

﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ أي: الهلاك، والباء مزيدة كما يقال للمنقاد: أعطى بيده، بزيادة الباء. والمعنى: ولا تقبضوا التهلكة بأيديكم، أي: لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم. وقيل: معناه ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأيديكم بأن تتركوا الإنفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو(٣) كما يقال: فلان أهلك نفسه

---

(١) ساقطة من أ، ج، ط.

(٢) ساقطة من أ، ج.

(٣) عن حذيفة وغيره. تفسير الطبري ج٢: ١١٦.

بيده. وقيل: هو نهي عن الإسراف في النفقة[١].

﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ أمر بالاقتصاد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: المقتصدين.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ﴾ أي: ائتوا بالحج والعمرة تامّين كاملين بشرائطهما وأركانهما ومناسكهما.

﴿لِلَّهِ﴾ أي: لوجه الله خالصاً، وأقيموهما إلى آخر ما فيهما. وظاهر الأمر يقتضي الوجوب، فدلّ الأمر بإتمامهما على أنّ العمرة واجبة مثل الحج.

﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ أي: منعكم خوف أو عدو أو مرض عن المضي إليه وأنتم محرمون بحج أو عمرة فامتنعتم لذلك.

﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ أي: ما تيسّر من الهدي. يقال: يسر الأمر واستيسر، وصعب واستصعب ضده.

و﴿ٱلۡهَدۡيِ﴾: جمع هدية، أي: فعليكم إذا أردتم التحلّل من الإحرام ما تيسّر من الهدي من بعير أو بقرة أو شاة، أو فاهدوا ما تيسّر.

﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ﴾ الخطاب للمحصرين، أي: لا تحلّوا ﴿حَتَّىٰ﴾ تعلموا

---

(١) عن الجبائي. التبيان ج٢: ١٥٢.

أنّ الهدي الذي بعثتموه قد بلغ ﴿مَحِلَّهُۥ﴾ أي: مكانه الذي يجب نحره فيه أو ذبحه. ومحلّه منى يوم النحر إن كان الإحرام بالحج، ومكة إن كان الإحرام بالعمرة.

هذا إذا كان محصراً بالمرض، وأما إن كان محصراً بالعدو وهو المصدود، فمحلّه الموضع الذي يصدّ فيه، لأنّ النبيﷺ نحر هديه بالحديبية[١].

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ يحتاج فيه إلى الحلق للمداواة، أو تأذى بهوام رأسه فحلق لذلك العذر.

﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أي: فعليه فدية، أي: بدل وجزاء يقوم مقامه ﴿مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾. وروي عن أئمتناعليهم السلام: ((أنّ الصيام ثلاثة أيّام، والصدقة على ستة مساكين))[٢]، وروي: عشرة[٣]، والنسك شاة، وهو مخيّر فيها، ورووا ذلك أيضاً عن النبيﷺ[٤]. والنسك مصدر، وقيل: جمع نسيكة أي: ذبيحة.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ الإحصار يعني: فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ وتمتعه بالعمرة إلى وقت الحج هو أنّه إذا أحلّ من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرّماً عليه إلى أن يحرم بالحج.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ هو هدي المتعة، وهو واجب بالإجماع على خلاف

---

(١) الحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك، وبينها وبين مكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل. معجم البلدان ج٢: ٢٢٩.

(٢) ينظر: الوسائل ج٩ باب ١٤ من أبواب بقية كفارات الإحرام.

(٣) الاستبصار ج٢: ١٩٦.

(٤) معجم الطبراني الكبير ج١٩: ٩٧.

في أنّه نسك أو جبران، فعندنا[١] وعند أبي حنيفة أنّه نسك يأكل منه[٢]، وعند الشافعي[٣] هو جبران جار مجرى الجنايات ولا يأكل منه[٤].

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي فعليه صيام ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ أي: في وقته، والأفضل أن يصوم يوماً قبل التروية والتروية وعرفة ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهاليكم.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ توكيد فيه وزيادة توصية بصيامها وإتمامها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التمتع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وحاضروا المسجد الحرام من كان بينهم وبينه اثنا عشر ميلاً فما دونها من كل جانب.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في المحافظة على أوامره ونواهيه.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالف أمره وتعدّى حدوده.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

أي: وقت ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ كقولك: البرد شهران. والأشهر المعلومات: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجّة. وفائدة كونها أشهر الحج: أنّ

(١) المبسوط للشيخ الطوسي ج١: ٣٧٤.

(٢) المبسوط للسرخسي ج٤: ٧٦.

(٣) محمّد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي الشافعي، صاحب المذهب، ولد سنة ١٥٠ هـ بغزة، توفي سنة ٢٠٤ هـ بمصر، ينظر: وفيات الأعيان ج٣: ٣٠٥.

(٤) كتاب الأم ج٢: ١٨٤.

الإحرام بالحج أو بالعمرة التي يتمتع بها إلى الحج لا يصحّ إلا فيها.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾ أي: أحرم فيهن بالحج ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أي: فلا جماع ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ أي: ولا كذب، وقيل: لا خروج عن حدود الشريعة[١].

﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ وهو قول: (لا والله) و(بلى والله) عندنا[٢]، وقالوا: إنّه المراء والسباب[٣].

﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ﴾ هذا حثّ على أفعال الخير والبر.

﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾.

﴿وَٱتَّقُونِ﴾ وخافوا عقابي ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ فإنّ قضية اللب تقوى الله، ومن لم يتقه من الألباء فكأنّه لا لب له.

لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ
فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ
ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم
مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨

كانوا يتحرجون عن التجارة في الحج ويسمّون من يخرج بالتجارة: الداج، فرفع عنهم الجناح في ذلك.

﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾ في أن تبتغوا ﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: إعطاء منه

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢: ١٥٦.

(٢) معاني الأخبار: ٢٨٠.

(٣) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢: ١٥٦.

وتفضلاً وهو النفع والربح في التجارة.

﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ أي: دفعتم بكثرة، وهو من إفاضة الماء وهو صبّه بكثرة، وأصله: أفضتم أنفسكم. و(عرفات) علم للموقف سمّي بجمع كـ(أذرعات)، وهي من الأسماء المرتجلة.

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ﴾ فيه دلالة على أنّ الوقوف بالمشعر الحرام فريضة، لأنّ ظاهر الأمر على الوجوب، وإذا أوجب الله تعالى الذكر فيه فقد أوجب الكون فيه. والمعنى: فإذا أفضتم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله عنده.

﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ (ما) مصدرية أو كافة، أي: اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة، أو اذكروه كما علّمكم كيف تذكرونه.

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ من قبل الهدى ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه، و(إن) هي المخففة من الثقيلة.

وروي عن جابر: (أنّ النبي ﷺ لما صلّى الفجر بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبّر وهلّل، ولم يزل واقفاً حتى أسفر)[١].

والمشعر: المعلَم، لأنّه معلَم للعبادة، ووصف بالحرام لحرمته، وسمّيت المزدلفة: جمعاً، لأنّ آدم اجتمع فيها مع حواء، وازدلف منها أي: دنا منها. [وقيل: تسمّى المزدلفة: جمعاً، بفعل أهلها لأنّهم مزدلفون إلى الله، أي: يتقربون فيها بالوقوف][٢]، وقيل: لأنّه يجمع فيها بين الصلاتين[٣].

---

(١) صحيح مسلم ج ٤: ٤٢.

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

(٣) الكشف والبيان ج٢: ١١١.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

ثم لتكن إفاضتكم ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ ولا تكن من المزدلفة، وذلك لما كان عليه الحمس[1] من الترفّع على الناس عن أن يساووهم في الموقف، وقولهم: نحن أهل الله وسكان حرمه فلا نخرج منه، فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات. وقيل: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس، أي: من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات. [وقيل في القول الاول الخطاب للحمس بأن يفعلوا مثل ما يفعله سائر الناس في الوقوف بعرفات، وفي القول الثاني الخطاب لجميع المؤمنين. وهذا أقرب إلى الصواب، لأنّ ذكر الإفاضة من عرفات ذكر في قوله: فإذا أفضتم من عرفات][2].

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ واطلبوا المغفرة من الله.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ فإذا أدّيتم مناسككم، والمنسك: إما موضع النسك، أو مصدر جمع لأنّه يشتمل على أفعال، أي: فإذا فرغتم من أفعال الحج ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما

---

(١) الأحمس: الشجاع، وإنما سميت قريش وكنانة حمساً لتشدّدهم في دينهم. (الصحاح: مادة حمس)

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

تفعلونه في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيّامهم. وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعدّون فضائل آبائهم ويذكرون أيّامهم.

﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ في موضع جر عطفاً على ما أضيف إليه الذكر في قوله: ﴿كَذِكۡرِكُمۡ﴾ كما تقول: كذكر قريش آباءهم أو قوم أشدّ منهم ذكراً، أو في موضع نصب عطفاً على ﴿ءَابَآءَكُمۡ﴾ بمعنى: أو أشدّ ذكراً من آبائكم على أنّ ﴿ذِكۡرٗا﴾ من فعل المذكور.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ فإنّ الناس من بين مقلّ لا يطلب بذكر الله إلا الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين، فكونوا من المكثرين.

﴿ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ اجعل إيتاءنا، أي: إعطاءنا في الدنيا خاصة.

﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ يعني: من طلب خلاق أي: نصيب، لأنّ همّه مقصور على الدنيا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الداعون بالحسنتين ﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ﴾ من جنس ما اكتسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة، أو من أجل ما كسبوا، أو لهم نصيب مما دعوا به يعطيهم منه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة، وسمّى الدعاء كسباً لأنّه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب. ويجوز أن يكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ للفريقين جميعاً.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ يحاسب الخلائق على كثرة [عددهم وكثرة][1] أعمالهم لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره، وروي: أنّه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة[2]، وروي: في مقدار فواق ناقة، وروي: في مقدار لمحة.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) الكشف والبيان ج٢: ١١٧.

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾

الأيّام المعدودات: أيّام التشريق، والمعلومات: عشر ذي الحجّة، وذكر الله فيها التكبير في أعقاب الصلوات.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: من تعجّل في النفر أو استعجل النفر من منى ﴿فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ بعد يوم النحر إذا فرغ من رمي الجمار.

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ في التعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ حتى رمى في اليوم الثالث ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الصيد، وقيل: لمن اتقى الكبائر(١).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ باجتناب معاصيه ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾

ثم ذكر سبحانه حال المنافقين بعد ذكره أعمال المؤمنين.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ﴾ أي: يروقك ويعظم في قلبك.

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الجار يتعلّق بالقول، أي: يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأنّه [يطلب به حظاً من حظوظ الدنيا.

---

(١) عن الصادق عليه السلام. تفسير القمي ج١: ٧٠.

﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾][1] من محبّتك ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ وهو شديد الجدال والمخاصمة، وإضافة ﴿أَلَدُّ﴾ إلى ﴿ٱلۡخِصَامِ﴾ بمعنى (في) كقولهم: ثبت الغدر.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: ملك الأمر وصار والياً.

[﴿سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا﴾ أي][2] فعل بظلمه وسوء سريرته ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك ﴿ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ﴾. وقيل: يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل[3]، وقيل معناه: وإذا تولى عنك وأعرض بعد إلانة المنطق[4].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ العمل بـ﴿ٱلۡفَسَادَ﴾.

وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ﴾ من قولك: أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إيّاه، أي: حملته العزّة التي فيه على الإثم المنهي عنه وألزمته ارتكابه.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

﴿يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾ أي: يبيعها لابتغاء ﴿مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: يبذل نفسه

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢: ١٨٤.

(٤) الكشاف ج١: ٢٥١.

حتى يقتل. وقيل: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام حين بات على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهرب النبي إلى الغار[١]، وقيل: نزلت في كل مجاهد في سبيل الله[٢].

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [أي: رحيم بهم][٣] حيث كلّفهم الجهاد وعرّضهم لثواب الشهداء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩﴾

قرىء ﴿ٱلسِّلۡمِ﴾ بكسر السين وفتحها، قال أبو عبيدة[٤]: (السِّلم - بالكسر - والإسلام واحد، والسلم: الاستسلام)[٥]. والمعنى: ادخلوا في الإسلام والطاعة، وروى أصحابنا: أنّه الدخول في الولاية[٦].

﴿كَآفَّةً﴾ أي: جميعاً لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته، وهو من الكفّ كأنّهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم.

[﴿فَإِن زَلَلۡتُم﴾ عن الدخول في السلم ﴿مِّنۢ﴾][٧] ﴿بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ﴾

---

(١) شواهد التنزيل ج١: ٩٦.

(٢) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج٢: ١٨٧.

(٣) ساقطة من أ، ج، ط.

(٤) أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي البصري، هو أول من صنّف غريب الحديث، ولد سنة ١١٢ هـ، مات سنة ٢٠٩هـ. ينظر: بغية الوعاة ج٢: ٢٩٤.

(٥) مجاز القرآن ج١: ٧١.

(٦) تفسير العياشي ج١: ١٠٢.

(٧) ساقطة من ط.

الحجج على أنّ ما دعيتم إليه حقّ ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه الانتقام منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لا ينتقم إلا بحقّ.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾

إتيان الله: إتيان أمره وبأسه كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[1]، ﴿جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾[2]، ويجوز أن يكون المأتي به محذوفاً بمعنى: ﴿أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ببأسه للدلالة عليه بقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ يعني: غالب وقهار.

﴿فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ جمع ظلّة وهي ما أظلّك. ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالرفع، وقد قرئ بالجر عطفاً على ﴿ظُلَلٖ﴾ أو ﴿ٱلۡغَمَامِ﴾.

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ وأتمّ أمر إهلاكهم وفرغ منه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ وقرئ: (ترجع) و(يرجع) [على بناء الفاعل والمفعول][3] بالتأنيث والتذكير فيهما.

﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾

﴿سَلۡ﴾ أمر للرسول أو لكل أحد.

---

(١) النحل: ٣٣.

(٢) الأعراف: ٥.

(٣) ساقطة من أ، ب، ط.

﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ [أي: أعطيناهم][(١)] ﴿مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ أي: دلالة معجزة على أيدي أنبيائهم، أو آية في التوراة شاهدة على صحة نبوة محمّدﷺ، فمنهم من آمن، ومنهم من جحد، ومنهم من أقرّ، ومنهم من بدّل.

﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ آيات الله التي هي أجلّ نعمة من الله، لكونها أسباب الهدى والنجاة من النار. وتبديلهم إيّاها: أنّ الله سبحانه أظهرها لتكون أسباب نجاتهم فجعلوها أسباب ضلالهم، أو حرّفوا آيات التوراة الدالة على نعت محمّدﷺ، و﴿كَمْ﴾ يحتمل معنى الاستفهام والخبر معاً.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ معناه: من بعد ما تمكّن من معرفتها، أو من بعد ما عرفها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

الذي زيّن لهم ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ هو الشيطان حسّنها في أعينهم بوساوسه فلا يريدون غيرها، ويجوز أن يجعل ما خلق الله فيها من الأشياء المشتهيات وما ركّبه فيهم من الشهوة لها تزييناً، لأنّ التكليف لا يتم إلا مع الشهوة.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لزهدهم فيها، أو من المؤمنين الذين لا حظّ لهم منها.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لأنّهم في عليين وهم في سجين، أو حالهم عالية لحالهم لأنّهم في كرامة وهم في هوان.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير، فيوسّع الله على من توجب

---

(١) ساقطة من أ، ج، ط.

الحكمة التوسعة عليه، أو يعطي أهل الجنّة مالا يأتي عليه الحساب.

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ متفقين على الفطرة فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾. وحذف (فاختلفوا) لدلالة قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ عليه، وفي قراءة عبد الله: كان الناس أمّة واحدة فاختلفوا فبعث الله. وقيل: إنّ معناه: كان الناس أمّة واحدة كفاراً فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم(١). والأول أوجه [لأنّ الأمم كلهم اختلفوا في أنبيائهم فمنهم من صدّقهم ومنهم من كذّبهم](٢).

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد به الجنس، أو أنزل مع كل واحد منهم كتابه.

﴿لِيَحْكُمَ﴾ الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ في الحقّ والدين الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الخلاف، يعني: إنّهم جعلوا نزول الكتاب الذي أنزل لإزالة الاختلاف سبباً في شدة الاختلاف.

﴿بَغْيًۢا﴾ حسداً وظلماً بينهم لحرصهم على الدنيا.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، (من) للتبيين، أي:

---

(١) عن الحسن وعطاء. معالم التنزيل ج١: ٩٠.

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

فهداهم للحقّ الذي اختلف فيه من اختلف.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعة معناها: بل أحسبتم، والهمزة فيها للتقرير واستبعاد الحسبان.

لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البيّنات تشجيعاً لرسول الله ﷺ والمؤمنين على الصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واليهود وعداوتهم له، قال لهم على طريقة الالتفات: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾.

﴿لَمَّا﴾ للتوقّع وهي في النفي نظير (قد) في الإثبات، والمعنى: إنّ إتيان ذلك متوقع منتظر.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ أي: حالهم التي هي مثل في الشدة.

و﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ بيان للمثل وهو استئناف، كأن قائلاً قال: كيف كان ذلك المثل؟ فقيل: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ من القتل والخروج عن الأهل والمال.

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال.

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى الغاية التي قال الرسول ومن ﴿مَعَهُۥ﴾ فيها: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ طلبوا النصرة وتمنّوه واستطالوا زمان الشدة. وفيه دليل على تناهي الأمر في الشدة، لأنّ الرسل إذا لم يبق لهم صبر حتى ضجّوا كان البلاء في غاية الشدة.

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ على إرادة القول، أي: فقيل لهم ذلك إجابة لهم

إلى طلبتهم من عاجل النصر. وقرئ: ﴿حَتَّىٰ يَقُولُ ٱلرَّسُولُ﴾ بالنصب على إضمار (أن) ومعنى الاستقبال، لأنّ (أن) علم له، وبالرفع على معنى الحال إلا أنّها حال ماضية محكية.

يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥

﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي شيء ينفقون؟.

والسؤال عن الإنفاق يتضمن السؤال عن مصرف النفقة، لأنّ النفقة لا يعتدّ بها إلا إذا وقع موقعها، ولذلك جاء الجواب ببيان مصارف النفقة. ﴿مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ أي: مال ﴿فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾.

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦

﴿وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ من الكراهة بدليل قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ ثم إنّه يجوز أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف كقول الخنساء:

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ[1]

كأنّه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له، ويجوز أن يكون فُعلاً بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز، أي: وهو مكروه لكم، وقد يكون الشيء مكروهاً في طبع الإنسان وإن كان يريده لأنّ الله تعالى أمره بذلك.

---

(١) ديوان الخنساء: ٤٨. وصدره: ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ في العاقبة، كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح، وهو خير لكم لأنّ فيه إحدى الحسنيين: إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنّة.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما يصلحكم وما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش[1] على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين، ليترصد عِيراً لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي، فقتلوه واستاقوا العِير وفيها من تجارة الطائف، وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة، فقالت قريش: قد استحلّ محمّد الشهر الحرام، فنزلت[2].

أي: يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام، و﴿قِتَالٖ فِيهِ﴾ بدل الاشتمال من الشهر الحرام.

---

(١) عبد الله بن جحش بن رياب الأسدي، أمه أميمة بنت عبد المطلب، كان من السابقين إلى الإسلام، شهد بدراً واستشهد بأحد وله نيف وأربعون سنة، دفن هو وحمزة في قبر واحد. ينظر: الإستيعاب ج٢: ٢٧٢.

(٢) أسباب النزول: ٤٨.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: إثم كبير، وجاز الابتداء بالنكرة لأنّه تخصص بقوله: ﴿فِيهِ﴾.

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [أي منع وهو][1] مبتدأ و﴿أَكْبَرُ﴾ خبره، والمعنى: وكبائر قريش: من صدّهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وعن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وكفرهم بالله ﴿وَإِخْرَاجُ﴾ أهل المسجد الحرام ﴿مِنْهُ﴾ وهم رسول الله والمؤمنون ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مما فعلته السريّة من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ الإخراج أو الشرك.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عطف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لا على الضمير المجرور في به][2].

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين، و﴿حَتَّىٰ﴾ معناه: التعليل، أي: ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾.

و﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ استبعاد لاستطاعتهم.

[﴿وَمَن يَرْتَدِدْ﴾ أي:][3] يرجع ﴿عَن دِينِهِۦ﴾ إلى دينهم ﴿فَيَمُتْ﴾ على الردة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ لما يفوتهم فيها من ثمرات الإسلام وفي ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لما يفوتهم من الثواب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

---

(١) ساقطة من أ، ب، ط.

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

(٣) ساقطة من أ، ط.

نزلت في قصة عبد الله بن جحش وأصحابه وقتلهم الحضرمي في رجب بأنّ ظن قوم أنّهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ وهي النصرة والغنيمة في الدنيا، والمثوبة في العقبى، وعن قتادة: (هؤلاء خيار هذه الأمّة، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون، وأنّه من رجا طلب، ومن خاف هرب)[١].

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠﴾

﴿إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ من قرأ بالباء فلأنّهم استعملوا في الذنب إذا كان موبقاً الكبير كقوله: ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾[٢]، و﴿كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[٣]. وقالوا في غير الموبق: صغير وصغيرة، ولم يقولوا: قليل، ومقابل الكثير القليل، ومن قرأ بالثاء فللآية في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ... الآية﴾[٤]، وللخبر: ((لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة...))[٥].

(١) الدر المنثور ج١: ٢٥٢.

(٢) الشورى: ٣٧.

(٣) النساء: ٣١.

(٤) الآية: ٩١.

(٥) الخصال: ٤١٤، سنن ابن ماجة ج٢: ١١٢٢ ح٣٣٨١.

والخمر كل شراب مسكر مغطٍ للعقل والتمييز، وكأنّها سمّيت بالمصدر من خمره خمراً: إذا ستره للمبالغة.

والميسر مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما، واشتقاقه من اليسر، كأنّه أخذ مال بيسر من غير كدّ أو من اليسار لأنّه سلب يساره. وعن النبي ﷺ: ((إياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فإنّهما من ميسر العجم))[١]. وعن علي عليه السلام: ((إنّ النرد والشطرنج من الميسر))[٢].

﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ أي: وعقاب الإثم في تعاطيهما ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما، والتوصل بهما إلى مصادقة الفتيان ومعاشرتهم والنيل من أعطيتهم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي شيء ينفقون؟ والسائل عمرو بن الجموح[٣].

﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ العفو نقيض الجهد، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع، قال:

خُـذِي العَفْـوَ مِنِّـي تَسْـتَدِيمِي مَـوَدَّتِي[٤]

وقرئ بالنصب والرفع.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ يتعلّق بـ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: لعلكم تتفكرون في الدارين وما يتعلّق بهما، فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بيّنت لكم أنّ العفو أصلح

---

(١) مسند أحمد ج١: ٤٤٦.

(٢) الكافي ج٦: ٤٣٥، الكشف والبيان ج٢: ١٥١.

(٣) عمرو بن الجموح بن زيد الأنصاري السلمي، شهد العقبة ثم شهد بدراً، وقتل يوم أُحد شهيداً، دفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد. ينظر: الإستيعاب ج٢: ٥٣.

(٤) البيت لأسماء بن خارجة الفزاري. الأغاني ج٢٠: ٣٦٣.

من الجهد في النفقة. أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع، أو يتعلّق بـ﴿يُبَيِّنُ﴾ على معنى: يبيّن لكم الآيات في أمور الدارين لعلكم تتفكرون.

ولما نزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا... الآية﴾[1] اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والاهتمام بأمورهم، فشقّ ذلك عليهم، فقيل: ﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم.

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ وتعاشروهم فهم إخوانكم في الدين، ومن حقّ الأخ أن يخالط أخاه.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ أي: لا يخفى على الله من داخلهم بإصلاح وإفساد فيجازيه على حسب مداخلته.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لحملكم على العنت وهو المشقة، وضيّق عليكم في أمر اليتامى ومخالطتهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب قادر على ما يشاء ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل ما توجبه الحكمة.

وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

أي: لا تتزوجوا النساء الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾.

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي: مملوكة مؤمنة ﴿خَيْرٌ مِّن﴾ حرة ﴿مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ

(١) النساء: ١٠.

﴿أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ أي: ولو كان الحال أنّ المشركة تعجبكم بجمالها أو مالها وتحبّونها فإنّ المؤمنة خير منها.

﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ النساء المسلمات ﴿حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن﴾ حرّ ﴿مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾ جماله أو ماله أو حاله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المشركين والمشركات.

﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: يدعون إلى الكفر فحقّهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا.

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ أي: إلى فعل ما يوجب الجنّة ﴿وَٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ من الإيمان والطاعة.

﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: بأمره وتوفيقه للعمل الذي يوصل إلى الجنّة.

﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: أوامره ونواهيه ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون.

وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

﴿ٱلۡمَحِيضِ﴾ مصدر حاضت تحيض، نحو: جاء مجيئاً وبات مبيتاً.

﴿قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾ أي: الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه.

﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ فاجتنبوا مجامعة النساء ﴿فِي﴾ وقت ﴿ٱلۡمَحِيضِ﴾، ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ أي: ينقطع الدم عنهن. ومن قرأ: حتى يطّهرن فإنّما هو يتطهرن أي: يغتسلن.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ﴾ أي: اغتسلن، وقيل: توضأن[١]، أو غسلن الفرج بعد انقطاع دم الحيض.

﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: من الجهة التي يحلّ أن يؤتين منها، ولا تقربوهن من حيث لا يحلّ بأن يكنّ محرمات أو معتكفات أو صائمات، ولو أراد الفرج لقال: في حيث.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء.

نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

﴿نِسَآؤُكُمۡ﴾ ذوات ﴿حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ منهن تحرثون الولد واللذّة.

﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ﴾ أي: نساءكم ﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ من أين شئتم وكيف شئتم، كما تأتون أراضيكم التي تحرثونها من أي جهة شئتم.

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة، وقيل: هو التسمية عند الوطء[٢]، وقيل: هو طلب الولد[٣].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تجترئوا على المناهي.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ أي: ملاقو جزائه فتزوّدوا مالا تفتضحون به.

وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ

---

(١) عن مجاهد وغيره. الدر المنثور ج١: ٢٦٠.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج٢: ٣٣٧.

(٣) عن عكرمة. الدر المنثور ج١: ٢٦٧.

﴿وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾

العرضة: فُعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة، وهي اسم ما تعرضه دون الشيء، من عرض العود على الإناء فيعترض دونه ويصير حاجزاً ومانعاً منه، تقول: فلان عرضة دون الخير، والعرضة ـ أيضاً ـ: المعرض للأمر، قال:

فَـلاَ تَجْعَلُـونِي عُرْضَـةً لِلَّوَائِـمِ[1]

ومعنى الآية على الأولى: أنّ الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة الرحم أو غيرها، ثم يقول: أخاف أن أحنث في يميني، فيترك البرّ إرادة أن يبرّ في يمينه، فقيل لهم: ﴿لَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي: حاجزاً لما حلفتم عليه. وسمّي المحلوف عليه يميناً لتلبّسه باليمين كما جاء في الخبر: ((إذا حلفت على يمين))[2] أي: على شيء مما يحلف عليه.

وقوله: ﴿أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟﴾ عطف بيان ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي: للأمور المحلوف عليها التي هي البرّ والتقوى والإصلاح بين الناس.

وتعلّقت اللام في قوله: ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ بالفعل، أي: [ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخاً وحاجزاً، ويجوز أن يتعلّق بـ﴿عُرْضَةً﴾ لأنّ فيها معنى الاعتراض][3] أي: لا تجعلوه شيئاً يعترض البرّ، من اعترضني كذا. ويجوز أن يكون اللام للتعليل، ويتعلّق ﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾ بالفعل أو بالعرضة، أي: ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبرّوا.

---

(١) شرح شواهد الكشاف ج١: ٢٦٧ بدون نسبة، وصدره: دعوني أنح وجداً كنوح الحمائم.

(٢) الكافي ج٧: ٤٤٩، صحيح مسلم ج٥: ٨٦.

(٣) ساقطة من ج.

ومعنى الآية على الأخرى: ولا تجعلوا الله معرضاً لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به، و﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ علة للنهي، أي: إرادة أن تبرّوا وتتقوا، لأنّ الحلاف مجترئ على الله فلا يكون برّاً متقياً، ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في إصلاح ذات بينهم.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥﴾

اللغو: الساقط الذي لا يعتدّ به من كلام وغيره، واللغو من اليمين: الساقط الذي لا يعتدّ به في الأيمان، وهو ما يجري على عادة اللسان من قول: (لا والله) و(بلى والله) من غير عقد على يمين يقتطع بها مال أو يظلم بها أحد.

والمعنى: لا يؤاخذكم بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولا يلزمكم به الكفارة ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ من الأيمان وهو ما عزمتموه كقوله سبحانه: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[١]، لأنّ كسب القلب هو العقد والنية، أي: بما نوت قلوبكم وقصدته من الأيمان.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ حيث لم يؤاخذكم بلغو الأيمان.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢٦ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٧﴾

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ [أي: يحلفون][٢] ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ عدّي (آلى) الذي هو بمعنى حلف بـ﴿مِن﴾ لأنّ هذا الحلف قد ضمّن معنى البعد، فكأنّه قيل: يبعدون من

---

(١) المائدة: ٨٩.

(٢) ساقطة من أ، ط.

نسائهم مؤلين أي حالفين. ويجوز أن يكون المراد: لهم من نسائهم ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ كقولهم: لي منك كذا.

والإيلاء من المرأة أن يقول الرجل: والله إنّي لا أقربك، ثم أقام على يمينه. والحكم في ذلك: أنّ المرأة إذا استعدت عليه إلى الحاكم، أنظره الحاكم بعد الرفع إليه أربعة أشهر، ويقول له بعد مضي الأشهر الأربعة إذا لم يراجع زوجته: فيء أو طلّق.

﴿فَإِن فَآءُو﴾ أي: رجعوا بأن يكفّروا عن اليمين، ويجامعوا عند القدرة عليه، أو يراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يتبعه بعقوبة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ وتلفّظوا به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسمع قوله ويعلم ضميره.

وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ يعني: المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل، لأنّ في الآية بيان عدتهن. واللفظ مطلق في تناول الجنس، صالح لكله وبعضه، فجاء في أحد ما يصلح له كاللفظ المشترك.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ خبر في معنى الأمر، والمراد: وليتربّص المطلقات. وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنّه مما يجب أن يتلقى بالامتثال، فكأنّهن امتثلن الأمر بالتربّص فهو يخبر عنه موجوداً، ونحوه قولهم في الدعاء:

(رحمك الله).

ومعنى ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾: ينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ انقضاء ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ فلا يتزوجن. والمراد بالقروء: الأطهار عندنا[١] وعند الشافعي[٢]، وذهب أبو حنيفة إلى أنّها ثلاث حيض[٣]. وهي جمع (قُرء) أو (قَرء). وانتصب ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ على أنّه مفعول به، أي: يتربّصن مضي ثلاثة قروء، أو على أنّه ظرف أي: مدة ثلاثة قروء.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾ من الولد أو من دم الحيض، وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك طلاقها، أو كتمت حيضها وقالت ـ وهي حائض ـ: قد طهرت استعجالاً للطلاق.

﴿إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ تعظيم لفعلهن، وأنّ من آمن بالله لا يجترئ على مثله من العظائم.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: أزواجهن أولى بمراجعتهن، وهي ردّهن إلى الحالة الأولى في ذلك الأجل الذي قدّر لهن في مدة العدّة.

﴿إِنۡ أَرَادُوٓاْ﴾ بالرجعة ﴿إِصۡلَٰحٗا﴾ لما بينهم وبينهن ولم يريدوا مضارّتهن.

﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ ويجب لهنّ من الحقّ على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن.

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس، فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم.

---

(١) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ١٤ من أبواب العدد.

(٢) كتاب الأم ج٥: ١٩٢.

(٣) المبسوط للسرخسي ج٦: ١٣.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي: زيادة في الحقّ وفضيلة بقيامهم عليهن.

ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾

﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم، أي: التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة، ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[1] أي: كرّة بعد كرّة.

﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ﴾ هذا تخيير لهم بعد أن علّمهم كيف يطلّقون، بين أن يمسكوا النساء مع حسن العشرة والقيام بحقوقهن، وبين أن يسرّحوهن سراحاً جميلاً. وقيل: معناه: الطلاق الرجعي مرتان، لأنّه لا رجعة بعد الثلاث[2] فإمساك برجعة أو تسريح بإحسان بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدّة. وقيل: بأن يطلّقها الثالثة[3]، وروي: أنّ سائلاً سأل رسول الله ﷺ: أين الثالثة؟ فقال ﷺ: ((أو تسريح بإحسان))[4].

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ﴾ خطاب للأزواج.

---

(١) الملك: ٤.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ٢٧٦.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢: ٢٧٧

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ج٤: ١٧٥، ينظر: تهذيب الأحكام ج٨: ٢٦.

﴿أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن﴾ يخاف الزوجان ترك إقامة ﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا﴾ فلا جناح على الرجل فيما أخذ، وعلى المرأة ﴿فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾ أي: فدت به نفسها واختلعت به، من بذل ما أوتيت من المهر، أو الزيادة على المهر إن كان النشوز والبغض منها وحدها، وإن كان منهما فدون المهر. وقرئ: أن يُخافا على البناء للمفعول، وإبدال أن لا يقيما من ألف الضمير في يخافا، وهو من بدل الاشتمال، كقولك: خيف زيد تركه إقامة حدود الله، ونحوه: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[1].

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾، أو فإن طلّقها مرة ثالثة بعد المرتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: من بعد ذلك التطليق ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ حتى تتزوج غيره. والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالتزويج.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالمزاوجة.

﴿إِن ظَنَّآ﴾ إن كان في ظنهما أنّهما يقيمان حقوق الزوجية. ولم يقل: إن علما،

---

(١) الأنبياء: ٣.

لأنّ اليقين مغيّب عنهما لا يعلمه إلا الله. ومن فسّر الظن هنا بالعلم فقد وهم لفظاً ومعنى، لأنّك لا تقول: علمت أن يقوم زيد، ولكن ظننت أنّه يقوم، ولأنّ الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنّما يظن ظناً.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: آخر عدّتهن وقاربن انقضاءها، والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها، يقال لعمر الإنسان: أجل، وللموت الذي ينتهي به: أجل.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي: راجعوهن قبل انقضاء العدّة.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بما يجب لها من القيام بواجبها من غير طلب ضرار بالمراجعة.

﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ أو اتركوهن حتى تنقضي عدّتهن فيكنّ أملك بأنفسهن.

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ لا لرغبة فيهن بل لطلب الإضرار بهن بتطويل العدّة عليهن.

﴿لِّتَعْتَدُواْ﴾ أي: لتظلموهن ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بتعريضها لعذاب الله.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ أي: لا تستخفوا بأوامره ونواهيه.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فيما أباحه لكم من الأزواج والأموال ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ من القرآن والعلوم التي بيّنها لكم.

﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ أي: بما أنزل عليكم لتتعظوا.

وذكر النعمة مقابلتها بالشكر.

وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

﴿فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدّتهن.

﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ أي: لا تمنعوهن ظلماً عن التزوج. وهذا إما أن يكون خطاباً للأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلماً لا يتركونهن يتزوّجن من شئن من الأزواج، وإما أن يكون خطاباً للأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن. والعضل: الحبس والتضييق.

﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ﴾ إذا تراضى الخطّاب والنساء ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي سبق من الأمر والنهي ﴿يُوعَظُ بِهِۦ﴾.

﴿ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ أي: خير لكم وأفضل ﴿وَأَطۡهَرُ﴾ من أدناس الآثام.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما في ذلك من الزكاء والطهر، أو يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع ﴿وَأَنتُمۡ﴾ لا تعلمونه.

وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ

ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

﴿يُرْضِعْنَ﴾ مثل (تربّصن) في أنّه خبر في معنى الأمر المؤكد، أي: ولترضع الأمهات ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ تامين أربعة وعشرين شهراً، وإنّما أكّد لرفع الإبهام لأنّه يتسامح فيه، يقول الرجل: أقمت عند فلان حولين ولم يستكملهما.

وقوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ بيان لمن توجه إليه الحكم، أي: هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع، أي: ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر. وقيل: إنّ اللام يتعلّق بـ﴿يُرْضِعْنَ﴾ كما تقول: أرضعت فلانة لفلان ولده، أي: يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء، لأنّ الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم [لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾[(١)]][(٢)]، وعليه أن يتخذ له ظئراً، إلا إذا تطوّعت الأم بإرضاعه، وهي مندوبة إلى الإرضاع ولا تجبر على ذلك.

والأمر للوالدات بالإرضاع أمر على الندب، وقيل: أراد بالوالدات المطلّقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع[(٣)].

(١) الطلاق: ٦.

(٢) ساقطة من أ، ب، ط.

(٣) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج٢: ٣٠٣.

﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ﴾ أي: وعلى الذي ولد له وهو الوالد ـ و﴿لَهُۥ﴾ في محلّ الرفع على الفاعلية ـ أن يرزقهن ويكسوهن إذا أرضعن ولده.

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ تفسيره ما يتبعه، وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا. وقرئ: لا تضار بالرفع على الإخبار، ويحتمل أن يكون الأصل لا تضارر، ولا تضارر ـ بكسر الراء وفتحها ـ و(لا تضار) بالفتح على النهي.

والمعنى: لا تضار ﴿وَٰلِدَةُۢ﴾ زوجها بسبب ولدها بأن تطلب منه ما ليس بعدل من النفقة والكسوة، وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوۡلُودٞ لَّهُۥ﴾ امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئاً مما وجب عليه، أو يأخذه منها وهي تطلب إرضاعه.

وكذلك إذا كان مبنياً للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج، وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد.

﴿وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ﴾، وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه. والمعنى: وعلى وارث المولود له بعد موته مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة بالمعروف.

﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا﴾ صادراً ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا﴾ في ذلك، زادا على الحولين أو نقصا، وهذه توسعة بعد التحديد.

﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ﴾ خطاب للآباء.

﴿أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ﴾ المراضع ﴿أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ [أي: وإن أردتم أن تتخذوا ظئراً ليرضع أولادكم إذا لم ترضع الأولاد الأمهات لعلة أو مرض أو لقلة اللبن أو للحمل أو لإرادتها زوجاً آخر إذا كانت مطلّقة، أو لأنّكم تريدون أن يكون الولد

عندكم.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا حرج عليكم. وتقديره خطاباً للآباء أن يسترضعوا المراضع أولادكم][1] فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه.

﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلى المراضع ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ ما أردتم إيتاءه. وقرئ: ما أتيتم، من أتى إليه إحساناً إذا فعله. وقيل: إذا سلّمتم إلى الأم أجرة المثل بمقدار ما أرضعت[2].

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

هو على تقدير حذف المضاف، تقديره: وأزواج ﴿ٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ... يَتَرَبَّصْنَ﴾، وقيل: معناه: والذين يتوفون منكم أي: يقبضون ويموتون ويتركون أزواجاً يتربّصن بعدهم، كقولهم: السمن منوان بدرهم أي: منوان منه.

ومعنى ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: يعتددن هذه المدة وهي ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ وعشرة أيام، وقيل: (عشراً) ذهاباً إلى الليالي والأيّام داخلة معها، ولا يستعمل التذكير فيه على إرادة الأيّام، يقال: صمت عشراً.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ فإذا انقضت عدّتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيّها الأولياء والأئمّة ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التعريض للخطّاب.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالوجه الذي لا ينكره الشرع.

---

(١) ساقطة من أ، ج، ط.

(٢) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ٣١٤.

وهذه الآية ناسخة للآية المتأخرة عنها الواردة في عدّة المتوفى عنها زوجها[١] وإن كانت مقدّمة عليها في التلاوة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ
فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ
سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ
فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيّها الرجال ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ المعتدّات، والتعريض هو أن يقول لها: (إنّك لجميلة) أو (صالحة)، أو (إنّي أحبّ امرأة صفتها كذا) ويذكر بعض صفاتها، ونحو ذلك من الكلام الذي يوهم أنّه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه، ولا يصرّح بالنكاح فلا يقول: (إنّي أريد أن أنكحك) أو (أتزوّجك).

﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرّضين ولا مصرّحين.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ لا محالة برغبتكم فيهن خوفاً منكم أن يسبقكم غيركم إليهن فأباح لكم ذلك، فاذكروهن ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ والسرّ كناية عن الوطء، لأنّه مما يسرّ، ثم عبّر به عن النكاح الذي هو العقد، لأنّه سبب فيه كما فعل بالنكاح.

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ وهو أن تعرّضوا ولاتصرّحوا، أي: لا تواعدوهن إلا بالتعريض، أو لا تواعدوهن إلا مواعدة معروفة غير منكرة.

(١) البقرة:٢٤٠.

﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ من عزم الأمر وعزم عليه، وهو مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدّة، لأنّ العزم على الفعل متقدّم، فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى. ومعناه: ولا تعزموا عقد عقدة النكاح في العدّة ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ يعني: ما كتب وفرض من العدّة.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾ ولا تعزموا عليه.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ٢٣٦﴾

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا تبعة عليكم من إيجاب مهر ﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ ما لم تجامعوهن.

ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ هاهنا شرطية بمعنى: إن لم تمسّوهن. ويجوز أن تكون بمعنى المدة، أي: مدة لم تمسّوهنّ فيها فيكون نصباً على الظرف. وقرئ: (تماسوهن)، والمعنى فيهما واحد.

﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [إلا أن تفرضوا لهنّ فريضة][(١)] أو حتى تفرضوا لهنّ فريضة. وفرض الفريضة: تسمية المهر، وذلك أن المطلّقة غير المدخول بها إن سمّي لها مهر فلها نصف المسمّى، وإن لم يسمّ لها مهر فليس لها إلا المتعة.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: أعطوهنّ من مالكم ما يتمتعن به.

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ أي: على الغني الذي هو في سعة لغناه

---

(١) ساقطة من ج.

على قدر حاله، وعلى الفقير الذي هو في ضيق على قدر حاله. ومعنى ﴿قَدَرُهُۥ﴾: مقداره الذي يطيقه، والقَدْر والقَدَر لغتان.

﴿مَتَٰعًا﴾ تأكيد لـ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: تمتيعاً.

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة.

﴿حَقًّا﴾ صفة لـ﴿مَتَٰعًا﴾ أي: واجباً عليهم، أو حقّ ذلك حقّاً.

﴿عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ على الذين يحسنون إلى المطلّقات بالتمتيع، وسمّاهم قبل الفعل محسنين كما قالعليه السلام: ((من قتل قتيلاً فله سلبه))[1].

وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧

هذا يدلّ على أن (الجناح) في الآية المتقدّمة المراد به تبعة المهر، لأنّ قوله: ﴿فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ إثبات للجناح المنفي هناك، وتقديره: فالواجب نصف ما فرضتم.

﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ يعني: المطلّقات، أي: يتركن ما يجب لهن من نصف المهر فلا يطالبن الأزواج بذلك.

﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ وهو الولي الذي يلي عقد نكاحهن.

و﴿أَن﴾ هذه هي الناصبة للفعل، و﴿يَعۡفُونَ﴾فعل النسوة في محلّ النصب.

---

(١) معجم الطبراني الكبير ج٧: ٢٤٥، تحف العقول: ٢٥٤.

﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: التفضّل، معناه: ولا تنسوا أن يتفضّل بعضكم على بعض ولا تستقصوا.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾

داوموا ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ في مواقيتها بأداء أركانها.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بين الصلوات، أو الفضلى من قولهم للأفضل: الأوسط. وإنّما أفردت وعطفت على ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ لانفرادها بالفضل، وروي عنهم عليهم السلام: ((أنّها صلاة الظهر))[١]، وقيل: هي صلاة العصر[٢]، وروي ذلك ـ أيضاً ـ مرفوعاً[٣]، وقيل: صلاة الفجر[٤] يدلّ عليه قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٥].

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ أي: داعين في قيامكم. وعن الصادق عليه السلام قال: ((القنوت: الدعاء في الصلاة في حال القيام))[٦].

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

أي: فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره فصلّوا راجلين، والرجال جمع

---

(١) معاني الأخبار: ٣١٣.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢: ٣٤٢.

(٣) صحيح مسلم ج٢: ١١٢.

(٤) عن جابر بن عبد الله وغيره. تفسير الطبري ج٢: ٣٥٠.

(٥) الإسراء: ٧٨.

(٦) تفسير العياشي: ١٢٨ باختلاف.

راجل كالقيام جمع قائم.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ [على ظهور دوابكم، عنى بذلك صلاة الخوف.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من الخوف][١] ﴿فَاذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾ من صلاة الأمن، أو فاشكروا الله على الأمن واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علّمكم كيف تصلّون في حال الأمن والخوف.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

من قرأ: وَصِيَّةٌ ـ بالرفع ـ فالتقدير: وحكم ﴿ٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾، أو وصية الذين يتوفون وصية لأزواجهم، أو والذين يتوفون أهل وصية فحذف المضاف. ومن قرأ: (وَصِيَّةً) ـ بالنصب ـ فالتقدير: والذين يتوفّون يوصون وصية كقولك: (إنّما أنت سير البريد) بإضمار (تسير).

﴿مَّتَٰعًا﴾ نصب بالوصية أو بـ(يوصون) إذا أضمرته.

و﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ مصدر مؤكد، أو بدل من ﴿مَّتَٰعًا﴾، أو حال من الأزواج أي: غير مخرجات. والمعنى: إنّ حقّ الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يموتوا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً، أي: ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن، وكان ذلك قبل الإسلام، ثم نسخت المدة بقوله: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزيّن والتعرّض للأزواج ﴿مِن

---

(١) ساقطة من ج.

﴿مَّعۡرُوفٖ﴾ ليس بمنكر شرعاً.

﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٤٢﴾

قيل: المراد بالمتاع النفقة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾[1]، وقيل: المراد بالمتاع المتعة فتكون مخصوصة بالآية المتقدّمة، فإنّ المتعة للمطلّقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر، فأما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسمّ لها مهر، وما سمّي لها إن فرض لها مهر، وإن لم يدخل بها فنصف المهر.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تقرير لمن سمع بقصّتهم من أهل الكتاب، وتعجيب من شأنهم. ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع، لأنّ هذا يجري مجرى المثل في معنى التعجب. وهؤلاء قوم وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنّه لا مفر من حكم الله. وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد، فهربوا حذراً من الموت، فأماتهم الله ثم أحياهم[2].

﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ فيه دليل على الألوف الكثيرة.

﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ معناه: فأماتهم الله، وإنّما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنّهم ماتوا ميتة إنسان واحد بمشية الله.

---

(١) البقرة: ٢٤٠.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج٢: ٣٦٦.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث يبصّرهم ما يعتبرون به.

وساق سبحانه هذه القصّة بعثاً على الجهاد بدلالة قوله بعد.

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾

أي: ﴿سَمِيعٌ﴾ يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون ﴿عَلِيمٞ﴾ بما يضمرونه.

مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه، وهو تلطف للدعاء إلى فعله وتأكيد للجزاء عليه، والقرض الحسن: إما المجاهدة نفسها، وإما النفقة في سبيل الله.

﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ لا يعلم كنهها إلا الله، وقيل: هو أنّ الواحد بسبعمائة[1].

﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ يوّسع على عباده ويقتر، فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم لئلا يبدلكم الضيقة بالسعة.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

---

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٢: ٣٧١.

﴿ٱلْمَلَإِ﴾: الجماعة الأشراف من الناس، لأنّ هيبتهم تملأ الصدور.

﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ من بعد وفاته.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ هو يوشع أو شمعون أو إشموئيل وهو الأعرف.

﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ أنهض للقتال معنا أميراً ننتهي إلى أمره ﴿نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ونصدر في تدبير الحرب عن رأيه.

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ أي: لعلكم إن فرض عليكم القتال مع ذلك الملك ألا تقاتلوا وتجبنوا، بمعنى: أتوقّع جبنكم عن القتال، فأدخل ﴿هَلْ﴾ مستفهماً عما هو متوقع عنده ومظنون، وأراد بالاستفهام التقرير وأن يثبت أنّ المتوقع كائن.

﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وأي داع لنا إلى ترك القتال، وأي غرض لنا فيه.

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ وذلك أنّ قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ كان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد والقعود عن القتال.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ
يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ

بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

﴿طَالُوتُ﴾ اسم أعجمي كجالوت وداود، وفيه سببان: التعريف والعجمة.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ كيف يكون؟ ومن أين يكون؟ وهو إنكار لتملّكه عليهم، والمعنى: كيف يتملك علينا والحال أنّه لا يستحقّ التملك لوجود من هو ﴿أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾، وأنّه فقير ولابد للملك من مال يتقوّى به؟ وإنّما قالوا ذلك لأنّ النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهودا، ولم يكن طالوت من أحد السبطين.

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾ أي: اختاره ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وهو أعلم بالمصالح منكم، ثم ذكر سبحانه خصلتين هما أعلى رتبة في الفضل من النسب والمال وهما: العلم المبسوط والجسامة، فقال: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾ أي: سعة وامتداداً ﴿فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل في وقته وأتمهم جسماً وأشجعهم.

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ أي: الملك له فهو يعطيه من يشاء.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الفضل والعطاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصطفيه للرئاسة والملك.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ
فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ
وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿ٱلتَّابُوتُ﴾ صندوق التوراة، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قوماً قدّمه، فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرّون. والسكينة: السكون والطمأنينة،

وقيل: هي صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت، لها جناحان ورأس كرأس الهر وذنب كذنبه، فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه، فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر[١]، وعن علي عليه السلام: ((كانت فيه ريح هفافة من الجنّة ولها وجه كوجه الإنسان))[٢].

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾ هي: عصا موسى ورضاض الألواح وشيء من التوراة، وكان قد رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة ﴿تَحۡمِلُهُ﴾ وهم ينظرون إليه، وكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت.

و﴿ءَالُ مُوسَىٰ﴾ و﴿وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ الأنبياء من بني يعقوب بعدهما، لأنّ عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب، فكان أولاد يعقوب آلهما، ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهارون و﴿ءَالُ﴾ مفخم.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿فَصَلَ﴾ عن موضع كذا: إذا انفصل عنه وجاوزه، وأصله فصل نفسه، ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم اللازم. ومعناه: انفصل عن البلد ﴿بِٱلۡجُنُودِ﴾

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج٢: ٣٨٦.

(٢) تفسير الطبري ج٢: ٣٨٥.

وكانوا ثلاثين ألف مقاتل، وقيل: سبعين ألفاً[١].

﴿قَالَ﴾ طالوت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم﴾ أي: مختبركم ﴿بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ﴾ من النهر بأن كرع في مائه ﴿فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ أي: ليس من جملتي وأشياعي ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ﴾ أي: لم يذقه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ يقال: طعم الشيء: إذا ذاقه.

﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ﴾ استثناء من قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ ومعناه: الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع، يدلّ عليه قوله: ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ﴾ أي: فكرعوا فيه ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾. وقرئ: ﴿غُرۡفَةَۢ﴾ بفتح الغين وضمّها، فالفتح بمعنى المصدر والضم بمعنى المغروف.

وقيل: لم يبق مع طالوت إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً[٢].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ أي: تخطى النهر طالوت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يعني: القليل من أصحابه ورأوا كثرة عدد جنود جالوت ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ قيل: إنّ الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ للكثير الذين شربوا وانخذلوا[٣].

و﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ هم القليل الذين ثبتوا معه وتيقنوا ﴿أَنَّهُم﴾ يلقون الله.

﴿كَم مِّن فِئَةٖ﴾ أي: فرقة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بنصر الله لأنّه إذا أذن في القتال نصر فيه.

وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا
صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ

---

(١) الكشف والبيان ج٢: ٢١٥.

(٢) الكشف والبيان ج٢: ٢١٦.

(٣) تفسير الطبري ج٢: ٣٩٤.

﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ
ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ
ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾

أي ظهروا لمحاربة ﴿جَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾ أي: صبّ علينا ﴿صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي: وفقنا للثبوت عند مداحض الحرب بتقوية القلوب وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء.

وكان ايشا أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه أو عشرة، وكان داود أصغرهم يرعى الغنم، فبعث طالوت إلى ايشا أن احضر وأحضر ولدك، فجاء ومعه ولده، فمر داود في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقال: إنّك تقتل بنا جالوت، فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله، وزوّجه طالوت بنته.

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ في الأرض المقدسة، وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة.

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ من صنعة الدروع وكلام الطير والنمل.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ ولولا أن يدفع الله بعض الناس ﴿بِبَعْضٍ﴾ لغلب المفسدون و﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ وبطلت منافعها. وقيل: ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لعمّ الكفر ونزل العذاب واستؤصل أهل الأرض[١].

---

(١) تفسير الطبري ج٢: ٤٠٣.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى القصص التي اقتصّها من حديث إماتة الألوف من الناس وإحيائهم، وتمليك طالوت، ونزول التابوت، وغلبة الجبابرة على يد صبي.

﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ دلالاته على كمال قدرته نقرأها ﴿عَلَيْكَ﴾.

و﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ [و﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ خبره، و﴿نَتْلُوهَا﴾ حال، ويجوز أن تكون ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ بدلاً من ﴿تِلْكَ﴾](١) و﴿نَتْلُوهَا﴾ الخبر.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنّه في كتبهم كذلك.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة وكتابة.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ إشارة إلى الرسل التي ذكرت قصصها في السورة، أو التي ثبت علمها عند رسول الله ﷺ.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لما أوجب ذلك من تفاضلهم في مراتبهم.

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: فضّله الله بأن كلّمه من غير سفير، وهو موسى عليه السلام.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء، فكان بعد

---

(١) ساقطة من ج.

تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة، وهو محمّد صلوات الله عليه وآله لأنّه المفضّل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من المعجزات الموفية على ألف وأكثر، وبعث إلى الإنس والجن، وخصّ بالمعجزة القائمة إلى يوم القيامة وهي القرآن. وفي هذا الإبهام من تعظيم شأنه وإعلاء مكانه مالا يخفى، لأنّ فيه أنّه العلم الذي لا يشتبه والمشهور الذي لا يخفى.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ تقدّم تفسيره[1].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيئة إلجاء وقسر ﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ﴾ بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضاً.

﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ لالتزامه دين الأنبياء ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ لإعراضه عنه.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرره للتأكيد.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من الخذلان والعصمة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

أنفقوا ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق، لأنّه ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ حتى تبتاعوا ما تنفقونه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتى يسامحكم أخلاؤكم به.

﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ عام يراد به الخاص بلا خلاف، لأنّ الأمّة اجتمعت على

(١) ينظر: تفسير الآية ٨٧.

إثبات الشفاعة يوم القيامة، وإن اختلفوا في كيفيتها.

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لأنّ الكفر هو غاية الظلم.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

﴿ٱلْحَىُّ﴾ الذي يصح أن يكون قادراً عالماً وهو الباقي الذي لا يتطرق إليه الفناء، و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ وهو ما يتقدّم النوم من الفتور الذي يسمّى النعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ وهو تأكيد للقيوم وبيان له، لأنّ من جاز عليه النوم والسنة لا يكون قيوماً.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يملكهما ويملك تدبير ما فيهما.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ بيان لكبريائه وملكوته بأنّ أحداً لا يملك أن يتكلّم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضمير لما في السماوات وما في الأرض لأنّ فيهم العقلاء، أو لما دلّ عليه ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾ من الملائكة والأنبياء، أي: يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم، ويعلم أحوالهم والمرتضى منهم للشفاعة وغير المرتضى.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: معلوماته.

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي: بما علّم وأطلع عليه، والإحاطة بالشيء علماً أن يعلم

كما هو على الحقيقة.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أي: علمه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ روي ذلك عنهم عليهم السلام[1]، وسمّي العلم: كرسياً، تسمية بمكانه الذي هو كرسي [العالم، وقيل: كرسيّه: ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك، وقيل: الكرسي][2] سرير دون العرش دونه السماوات والأرض[3].

ترتبت هذه الجمل من غير حرف عطف، لأنّ كل جملة منها واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه، والبيان متحد بالمبيّن، فالأولى أن لا يتوسط بينهما حرف عطف.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السماوات والأرض.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ الشأن ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الملك.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((سمعت نبيّكم على أعواد المنبر وهو يقول: من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنّة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صدّيق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله))[4].

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

---

(١) معاني الأخبار: ٢٧.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) عن الصادق عليه السلام. التبيان ج٢: ٣٠٩.

(٤) شعب الإيمان ج٢: ٤٥٨.

يعني: إنّ أمور الدين جارية على التمكّن والاختيار لا على القسر والإجبار، ونحوه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ... الآية﴾[١]، أي: لو شاء لأجبرهم على الإيمان لكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار. وقيل: هو بمعنى النهي أي: لا تكرهوا في الدين[٢]، ثم قالوا: هو منسوخ بآية السيف[٣]، وقيل: هو مخصوص بأهل الكتاب إذا أدّوا الجزية[٤].

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ قد تميّز الإيمان من الكفر بالدلائل النيرة.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي: بالشيطان والأصنام ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ بالعصمة الوثيقة ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع لها. وهذا تمثيل لما يعلم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس الذي ينظر إليه عياناً.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ يريدون أن يؤمنوا يلطف بهم حتى ﴿يُخۡرِجُهُم﴾ بلطفه وتوفيقه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، أو يخرجهم من الشبه في الدين إن وقعت لهم بما يوفقهم له من حلّها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: صمموا على الكفر فأمرهم على العكس.

---

(١) يونس: ٩٩، وتتمة الآية: ﴿كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

(٢) تفسير السمرقندي ج١: ١٩٥.

(٣) هي قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ التوبة: ٧٣. والقائل زيد بن أسلم. تفسير الطبري ج٣: ١٢.

(٤) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٣: ١١.

﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ أي: الشياطين يتولون أمورهم.

﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ من نور البيّنات إلى ظلمات الشك والشرك.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب من محاجّة نمرود في الله وكفره به.

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ متعلّق بـ﴿حَآجَّ﴾ أي: لأن آتاه الله الملك، على معنى: إنّ إيتاء الملك أورثه البطر والعتو فحاجّ إبراهيم لذلك، أو وضع المحاجة في ربّه موضع ما وجب عليه من الشكر على إيتاء الملك، نحو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[1]، ويجوز أن يكون المعنى: حاجّ وقت أن آتاه الله الملك. ومعنى (آتاه الملك): إنّه آتاه ما غلب به وتملك من الأموال والخدم والأتباع.

﴿إِذْ قَالَ﴾ نصب بـ﴿حَآجَّ﴾ أو بدل من ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ﴾ إذا جعل بمعنى الوقت.

﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ يريد أُخلّي من وجب عليه القتل وأُميت بالقتل. الصادق عليه السلام قال: ((إنّ إبراهيم عليه السلام قال له: فأحيي من قتلته إن كنت صادقاً))[2].

ثم استظهر عليه بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ انتقل إلى مالا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته.

---

(١) الواقعة: ٨٢.

(٢) التبيان ج٢: ٣١٨.

[﴿فَبُهِتَ﴾ أي: تحيّر وعيي][1]. وهذا دليل على جواز الانتقال من حجّة إلى حجّة.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

﴿أَوْ كَٱلَّذِى﴾ معناه: أو أرأيت مثل الذي مرّ، فحذف لدلالة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه، لأنّ كلتيهما كلمة تعجيب. ويجوز أن يحمل على المعنى كأنّه قيل: أرأيت كالذي حاجّ إبراهيم ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ والمار عزير أو ارمياء، أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة.

﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ هذا اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي. والقرية: بيت المقدس حين خرّبه بخت نصر، وقيل: هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت[2].

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: ساقطة على أبنيتها وسقوفها، كأنّ سقوفها سقطت ثم وقع البنيان عليها، قال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها؟ أطلق لفظ (القرية) وأراد أهلها، وأحبّ أن يريه الله إحياءها مشاهدة.

---

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٣: ٢١.

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ روي: أنّه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس، فقال قبل النظر إلى الشمس: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[1]، وروي: أنّ طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً أو لبناً، فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله[2].

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي: لم تغيره السنون، والهاء أصلية أو هاء سكت، واشتقاقه من (السنة) على الوجهين، لأنّ لامها (هاء) أو (واو)، وذلك أنّ الشيء يتغير بمرور الزمان عليه، وقيل: أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف تفرّقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه. ويجوز أن يكون المراد: وانظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك، يريد إحياءه بعد الموت، وحفظ طعامه وشرابه. وقيل: إنّه أتى قومه راكب حماره وقال: أنا عزير، فكذّبوه، فقال: هاتوا التوراة، فأخذ يهذّها هذّاً عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفاً، فقالوا: هو ابن الله[3]، ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزير، فذلك كونه آية.

﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ وهي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجّب من إحيائهم ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نحييها. وننشرها من نشر الله الموتى بمعنى:

---

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج٣: ٢٥.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج٣: ٢٤.

(٣) الكشف والبيان ج٢: ٢٥٠.

أنشرهم، وننشزها ـ بالزاي ـ أي: نحرّكها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب.

وفاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾ مضمر تقديره: فلما تبيّن له أنّ الله على كل شيء قدير ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، نحو قولهم: ضربني وضربت زيداً. ويجوز أن يكون المعنى: فلما تبيّن له ما أشكل عليه. وقرئ: قال إعلم ـ على لفظ الأمر ـ كأنّه خاطب نفسه، كقول الأعشى:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ[1]

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن
قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ
إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ
سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

﴿رَبِّ أَرِنِى﴾ أي: بصّرني ﴿كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ قال له ذلك سبحانه وقد علم أنّه أثبت الناس إيماناً، ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة للسامعين، وهذا ألف استفهام المراد به التقرير.

﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ هو إيجاب بعد النفي معناه: بلى آمنت.

﴿وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ ليزيد سكوناً وطمأنينة، بأن يضام العلم الضروري علم الاستدلال، وتظاهر الأدلة أزيد للبصيرة واليقين، وأراد بطمأنينة القلب: العلم الذي لا مجال فيه للشك. واللام تعلّقت بمحذوف تقديره: سألت ذلك ليطمئن قلبي.

---

(١) ديوان الأعشى: ٤١، وبقيته: وهل تطيق وداعاً أيّها الرجل.

﴿قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾ طاووساً، وديكاً، وغراباً، وحمامة.

﴿فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾ بضم الصاد وكسرها بمعنى: فأملهن واضممهن إليك.

﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾ أي: فجزّئهنّ وفرّق أجزاءهنّ على الجبال التي بحضرتك وفي أرضك، وكانت أربعة أجبل.

﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ﴾ وقل لهن: تعالين بإذن الله.

﴿يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾ أي: ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن.

وروي: أنّه أُمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطّعها ويفرّق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها، ثم أُمر بأن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعاً من كل طائر، ثم يصيح بها: تعالين بإذن الله، فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً، ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها[1]. وقرئ: (جُزُؤاً) بضمتين، و(جزّاً) بالتشديد، ووجهه: أنّه خفّف بطرح همزته ثم شدّد كما يشدّد في الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف.

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ
فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

لابد من تقدير حذف مضاف، أي: ﴿مَّثَلُ﴾ نفقة ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾، أو مثلهم كمثل باذر حبّة. والمنبت هو الله ولكن الحبّة لما كانت سبباً أسند إليها الإنبات، كما يسند إلى الأرض وإلى الماء. وهذا التمثيل تصوير لمضاعفة الحسنات كأنّها موضوعة بحذاء العين.

---

(١) عن الربيع وغيره. تفسير الطبري ج٣: ٣٩.

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يزيد على سبعمائة.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ المقدرة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقّ الزيادة.

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟
مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ
أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾

المنّ: أن يعتدّ على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنّه أوجب عليه حقّاً له، والأذى: أن يتطاول عليه بسبب ما أسدى إليه.

ومعنى ﴿ثُمَّ﴾: إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى، وأنّ تركهما خير من الإنفاق، كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[1].

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ رد جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول، أو نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل، أو عفو من جهة السائل، لأنّه إذا ردّه رداً جميلاً عذره.

﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ لا حاجة به إلى منفق يمنّ ويؤذي.

﴿حَلِيمٌ﴾ عن المعاجلة بالعقوبة. وفيه ذرو من الوعيد[2].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى
يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ

---

(١) فصلت: ٣٠.

(٢) ذرو من الوعيد: طرف منه. (الصحاح: مادة ذرا)

صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ
عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾ معناه: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ كإبطال المنافق ﴿ٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ لا يريد بإنفاقه رضاء الله وثواب الآخرة.

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي: مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة.

﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أي: حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ أجرد نقياً من التراب الذي كان عليه.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ أي: لا يحصلون مما أنفقوه من ثوابه على شيء كما لا يحصل أحد على شيء من التراب الذي أذهبه المطر من الحجر الصلد.

ويجوز أن يكون الكاف في محلّ النصب على الحال، أي: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾ مماثلين ﴿ٱلَّذِى يُنفِقُ﴾. وأراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق، فلذلك قال بعده: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا
مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا
ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه: وليتثبّتوا من أنفسهم ببذل المال الذي هو أخو الروح، وبذله أشقّ على النفس من أكثر العبادات الشاقة. ويجوز أن يراد

وتصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم، لأنّه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أنّ تصديقه بالثواب من أصل نفسه وإخلاص قلبه.

و﴿مِّنْ﴾ على التفسير الأول للتبعيض مثلها في قولهم: هزّ من عطفه، ومعنى التبعيض: إنّ من بذل ماله فقد ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها. وعلى الآخر لابتداء الغاية كقوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾[(١)].

والمعنى: ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقة هؤلاء ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي: بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بمكان مرتفع، وخصّها لأنّ الشجر فيها أزكى وأحسن ثمراً.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾ ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل.

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها.

أو مثّل حالهم عند الله بالجنّة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل، وكما أنّ كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنّة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة زاكية عند الله.

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الهمزة للإنكار، والواو في قوله: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ للحال لا للعطف، ومعناه: أيودّ أحدكم أن تكون له جنّة وقد أصابه الكبر.

---

(١) البقرة: ١٠٩.

والإعصار: الريح التي تستدير ثم تسطع نحو السماء كالعمود، وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله تعالى، فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة لا ثواب عليها، فيتحسّر عند ذلك حسرة من كانت له جنّة من أبهج الجنان وأبهاها وفيها أنواع الثمار، فبلغه ﴿ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ﴾ أولاد ﴿ضُعَفَآءُ﴾ والجنّة معاشهم فهلكت بالصاعقة. قال الحسن: (هذا مثل قلّ والله من يعقله من الناس: شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما يكون إلى جنّته، وإنّ أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا)[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي: من جياد مكسوباتكم وخيارها، وقيل: من حلالها[2].

﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الغلات والثمار. والمعنى: ومن طيبات ما أخرجنا لكم، إلا أنّه حذف لأنّه ذكر الطيبات قبل.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾ ولا تقصدوا المال الرديء ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ أي: تخصونه بالإنفاق، وهو في محلّ الحال.

﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي: وحالكم أنّكم لا تأخذونه في حقوقكم.

﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ أي: إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه، من قولهم: أغمض فلان عن بعض حقّه: إذا غض بصره، ويقال: أغمض البائع إذا لم

(١) الكشاف ج١: ٣١٤.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٣: ٥٤.

يستقص كأنّه لا يبصر، وعن ابن عباس: (كانوا يتصدّقون بحشف التمر فنهوا عنه)[١].

ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

﴿يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ بالإنفاق في وجوه البر وبإنفاق الجيد من المال، والوعد يستعمل في الخير والشر.

﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ ويغريكم على البخل ومنع الزكوات إغراء الآمر للمأمور، والعرب تسمّي البخيل فاحشاً كما قال طرفة:

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ[٢]

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ في الإنفاق ﴿مَّغۡفِرَةٗ﴾ لذنوبكم وكفارة لها ﴿وَفَضۡلٗا﴾ وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم، وقيل: وثواباً عليه في الآخرة.

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي: يعطي الله الحكمة، أي: العلم ويوفق للعمل به، والحكيم عند الله هو العالم العامل. وقيل: الحكمة: القرآن والفقه[٣]. وقرئ: (وَمَنْ يُؤْتِ) بكسر التاء بمعنى: ومن يؤته الله الحكمة.

و﴿خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ تنكير تعظيم، كأنّه قيل: فقد أوتي أيّ خير كثير.

---

(١) تفسير الطبري ج١١: ٥٧ بالمعنى.

(٢) ديوان طرفة بن العبد: ٣٤.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٣: ٦٠.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: العلماء الحكماء العمال.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ في سبيل الله أو في سبيل الشيطان.

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ في طاعة أو في معصية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ لا يخفى عليه فيجازي عليه بحسبه.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ينفقون أموالهم في المعاصي، أو يمنعون الزكوات، أو لا يوفون بالنذور، أو ينذرون في المعاصي.

﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ ممن ينصرهم من الله ويمنع عنهم عذاب الله.

و(ما) في ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ نكرة، أي: فنعم شيئاً إبداؤها، وقرئ بكسر النون وفتحها.

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ أي: تعطوها إيّاهم مع الإخفاء.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: فالإخفاء خير لكم. والمراد بالصدقات المتطوّع بها، لأنّ الأفضل في الفرائض الإظهار.

(ونكفّر) قرئ بالنون مرفوعاً عطفاً على محلّ ما بعد الفاء، أو على أنّه خبر مبتدأ محذوف أي: ونحن نكفّر، مجزوماً عطفاً على محلّ الفاء، وما بعده لأنّه جواب الشرط، وقرئ: ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء مرفوعاً والفعل لله أو للإخفاء.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

أي: لا يجب ﴿عَلَيْكَ﴾ أن تجعلهم مهتدين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المنّ والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك، وما عليك إلا البلاغ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يلطف بمن يعلم أنّ اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم، فلا تمنّوا به على من تنفقونه عليه ولا تؤذوه.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾ أي: وليست نفقتكم ﴿إِلَّا﴾ لابتغاء ﴿وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ ولطلب ما عنده فما بالكم تمنّون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يتوجه بمثله إلى الله.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً مضاعفة، فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن الإنفاق وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

الجار يتعلّق بمحذوف، والتقدير: اعمدوا ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ أو اجعلوا ما تنفقونه للفقراء. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: صدقاتكم للفقراء.

و﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم الذين أحصرهم الجهاد.

﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ لاشتغالهم به ﴿ضَرۡبًا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ للكسب. قيل: وهم أصحاب الصفّة وهم نحو من أربعمائة رجل، لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر، فكانوا في صفّة المسجد - وهي سقيفته - يتعلّمون القرآن بالليل ويرضخون[1] النوى بالنهار، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى[2].

﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ أي: مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة.

﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ من صفرة الوجه ورثاثة الحال، أو الخضوع الذي هو شعار الصالحين.

﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافًا﴾ أي إلحاحاً، ومعناه: إن سألوا سألوا بتلطّف ولم يلحّوا. وقيل: هو نفي للسؤال والإلحاف جميعاً[3] كقول امرئ القيس:

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ[4]

يريد: نفي المنار والاهتداء به.

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

---

(١) يرضخون: يكسرون. (الصحاح: مادة رضخ)

(٢) تفسير السمرقندي ج١: ٢٠٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٣٥٧.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٦٦، وبقيته: إذا سافه العود النباطي جرجرا.

أي: يعمّون أوقاتهم وأحوالهم بالصدقة لحرصهم على الخير. وعن ابن عباس: (نزلت في علي عليه السلام، كانت معه أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية)[١]. وروي ذلك عن الباقر والصادق عليهما السلام[٢].

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾

﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة بالواو، وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع.

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: المصروع ﴿مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ وهو الجنون، ورجل ممسوس [أي: ممسوس][٣].

وتعلّق ﴿مِنَ﴾ بـ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ أي: لا يقومون من المسّ الذي بهم إلا كما يقوم المصروع، ويجوز أن يتعلّق بـ﴿يَقُومُ﴾ أي: كما يقوم المصروع من جنونه، والمعنى: إنّهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين يعرفون بتلك السيماء عند أهل الموقف.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العقاب بسبب ﴿أَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: البيع الذي لا ربا فيه مثل البيع الذي فيه الربا، وقوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ إنكار

---

(١) شواهد التنزيل ج١: ١٠٩.

(٢) التبيان ج٢: ٣٥٧.

(٣) ساقطة من أ، ب، ط.

لتسويتهم بينهما، ودلالة على بطلان قياسهم الربا على البيع.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ﴾ أي: فمن بلغه وعظ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وزجر بالنهي عن الربا ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ فتبع النهي وامتنع منه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ فلا يؤاخذ بما مضى منه ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يحكم في شأنه يوم القيامة.

﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إلى الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله: من أنّ البيع مثل الربا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لأنّ ذلك القول لا يصدر إلا من كافر مستحلّ للربا، فلهذا توعد بعذاب الأبد.

يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه.

﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: ما يتصدّق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه، وفي الحديث: ((ما نقص مال من صدقة))[١].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ هذا تغليظ في أمر الربا، وإيذان بأنّه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ
ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ
يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ
مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٤: ٢٧٣، معجم الطبراني الصغير ج١: ٥٤.

﴿تُظْلَمُونَ ۝٢٧٩﴾

الفرق بين قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ وقوله في موضع آخر: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾(١) أنّ الفاء فيها دلالة على أنّ الإنفاق به استحقّ الأجر، وطرح الفاء عار عن هذه الدلالة.

﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ روي: أنّها نزلت في ثقيف، وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحلّ بالمال والربا(٢)، وقيل: إنّهم أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها(٣).

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن صحّ إيمانكم.

﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: فاعلموا بها، من أذن بالشيء: إذا علم به. وقرئ: فَآذِنُوا، أي: فأعلموا بها غيركم، وهو من الأذن وهو الاستماع، لأنّه من طرق العلم. والمعنى: ﴿فَأْذَنُوا﴾ بنوع من الحرب عظيم ﴿مِّنَ﴾ عند ﴿اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ من الارتباء ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ المديونين بطلب الزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالنقصان منها.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ
لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٨٠ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨١﴾

أي: ﴿وَإِن﴾ وقع غريم من غرمائكم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ أي: ذو إعسار.

---

(١) البقرة: ٢٧٤.

(٢) أسباب النزول: ٦٥.

(٣) التبيان ج٢: ٣٦٥.

﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أي: فالحكم أو فالأمر نظرة، أي: إنظار.

﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ إلى يسار، أي: وقت يسار، وهو خبر في معنى الأمر. والمراد: فأنظروه إلى وقت يساره، والميسرة بضم السين وفتحها لغتان، وقرئ: (إلى ميسره) بالإضافة إلى الهاء وحذف التاء عند الإضافة، كقوله: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾[١].

﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ أي: تتصدّقوا ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ندب سبحانه إلى أن يتصدّقوا برؤوس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها، كما قال: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٢].

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّه خير لكم.

وقرئ: تَرْجِعُونَ و﴿تُرْجَعُونَ﴾ على البناء للفاعل والمفعول، أي: واخشوا واحذروا ﴿يَوْمًا﴾ تردّون ﴿فِيهِ إِلَى﴾ جزاء ﴿اللَّهِ﴾. وعن ابن عباس: (إنّها آخر آية نزل بها جبرئيل وقال: ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة)[٣].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى
فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن
يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ
وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ
سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ
وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ
فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) معالم التنزيل ج١: ١٣٩.

فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾ أي: تعاملتم وداين بعضكم بعضاً، تقول: داينت الرجل إذا عاملته بدين معطياً أو آخذاً، كما تقول: بايعته إذا بعته أو باعك.

﴿بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: بدين مؤجل ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾، وإنّما ذكّر (**الدَّين**) ليرجع الضمير إليه في قوله تعالى: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾، ولأنّ الدين يتنوع إلى مؤجل وحال، وقيل: ﴿مُّسَمًّى﴾ ليعلم أنّ من حقّ الأجل أن يكون معلوماً موقتاً بالسنين أو الشهور أو الأيّام، وهذا الأمر مندوب إليه، قال ابن عباس: (والمراد به السلم، لما حرم الله الربا أباح السلم)[1].

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: كاتب مأمون على ما يكتب، يكتب بالاحتياط والنصفة لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص، فقوله: ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ صفة لـ﴿كَاتِبٌ﴾. وفي هذا دلالة على أنّ الكاتب يجب أن يكون فقيهاً عالماً بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلاً بالشرع.

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾ أي: ولا يمتنع أحد من الكتّاب ﴿أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ

---

(١) معالم التنزيل ج١: ١٣٩.

﴿ٱللَّهُ﴾ كتابة الوثائق، وقيل: كما نفعه الله بتعليمها فلينفع الناس بكتابته[١]. وهو فرض على الكفاية عند أكثر المفسرين[٢].

ويجوز أن يتعلّق ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ بـ﴿أَن يَكۡتُبَ﴾ فيكون نهياً عن الامتناع عن الكتابة المقيّدة، ثم قيل له: ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ﴾ أي: فليكتب تلك الكتابة ولا يعدل عنها، ويجوز أن يتعلّق بقوله: ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ﴾ فيكون نهياً عن الامتناع عن الكتابة على الإطلاق، ثم أمر بها مقيّدة.

﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: وليكن المملي من وجب عليه الحقّ لأنّه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به، والإملاء والإملال لغتان نطق بهما القرآن: ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾[٣].

﴿وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ﴾ أي: من الحقّ ﴿شَيۡـٔٗا﴾.

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا﴾ السفيه: المحجور عليه لتبذيره أو الجاهل بالإملاء، والضعيف: الصبي أو الشيخ الخرف.

﴿أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ بنفسه لعيّ أو خرس.

﴿فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ﴾ الذي يلي أمره من وصيّ إن كان سفيهاً أو ضعيفاً، أو وكيل إن كان غير مستطيع، أو ترجمان يملّ عنه وهو يصدّقه، ففي قوله: ﴿أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ أنّه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه.

﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ﴾ واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين.

---

(١) تفسير السمرقندي ج١: ٢١٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج٣: ٧٨، الكشف والبيان ج٢: ٢٩٢، التبيان ج٢: ٣٧١.

(٣) الفرقان: ٥.

﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ من رجال المؤمنين.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ فإن لم يكن الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ فليشهد رجل وامرأتان. وشهادة النساء مقبولة عندنا في غير رؤية الهلال والطلاق مع الرجال على تفصيل فيه، وهي مقبولة على الانفراد فيما لا يستطيع الرجال النظر إليه مثل العذرة والأمور الباطنة للنساء(١).

﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ ممن تعرفون عدالته وهو مرضي عندكم.

﴿مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ أن لا تهتدي إحدى المرأتين للشهادة بأن تنساها من قولهم: ضل الطريق: إذا لم يهتد له، وهو في موضع النصب بأنّه مفعول له، أي: إرادة أن تضل. لما كان الضلال سبباً للإذكار كانت إرادة الضلال إرادة للإذكار، فكأنّه قيل: إرادة أن تذكّر إحداهما الأخرى إن ضلت، ومثله قولهم: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فادعمه. وقرئ: (فتذكر)، وهما لغتان، يقال: (أذكره) و(ذكّره)، وقرأ حمزة: (إن تضل إحداهما) على الشرط (فتذكر) بالرفع، كقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ﴾(٢).

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ ليقيموا الشهادة، وقيل: ليستشهدوا، وقيل لهم: شهداء قبل التحمّل، تنزيلاً لما يقارب منزلة الكائن.

﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ ولا تملّوا أن تكتبوا الحقّ ﴿صَغِيرًا﴾ كان الحقّ ﴿أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ لأنّه في معنى المصدر، أي: ذلكم الكَتْب.

---

(١) ينظر: الوسائل ج١٨ باب ٢٤ من أبواب الشهادات.

(٢) المائدة: ٩٥.

﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعدل، من القسط ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ وأعون على إقامة الشهادة ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾ وأقرب من انتفاء الريب في مبلغ الحقّ والأجل.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا﴾ أريد بالتجارة: ما يتجر فيه من الأبدال، والمعنى: إلا أن تتبايعوا بيعاً ناجزاً يداً بيد فلا بأس أن لا تكتبوه، لأنّه لايتوهم فيه ما يتوهم في التداين.

ومعنى ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: تعاطونها يداً بيد. وقرئ ﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ بالنصب على معنى: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة.

﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أمر بالإشهاد مطلقاً لأنّه أحوط.

﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾ يحتمل البناء للفاعل والمفعول، والمعنى: نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما، وعن التحريف والزيادة والنقصان، أو النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم، أو لا يكلف الكاتب الكتبة في حال عذر ولا يتفرغ لذلك، ولا يدعى الشاهد إلى إثبات الشهادة أو إقامتها في وقت لا يتفرغ له.

﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟﴾ وإن تضاروا ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ فإنّ الضرار فسوق، وقيل: وإن تفعلوا شيئاً مما نهيتم عنه فإنّه خروج مما أمر الله سبحانه به[1].

وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

---

(١) معالم التنزيل ج١: ١٤١.

﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين.

﴿فَرِهَٰنٌ﴾ أي: فالذي يستوثق به رهان. وقرئ: (فَرُهُنٌ)، وكلاهما جمع الرهن، وقد يخفف فيقال: (رهن). وليس الغرض تخصيص الارتهان بحال السفر، ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد، أمر المسافر بأن يقيم الارتهان مقام الكتاب والإشهاد على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال، والقبض شرط في صحة الرهن.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ وهو الذي عليه الحقّ، أمر بأن يؤديه إلى صاحب الحقّ وافياً وقت محلّه من غير مطل ولا تسويف. وسمّي الدين أمانة لائتمانه عليه بترك الارتهان منه.

﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ خطاب للشهود.

﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ مع علمه بالمشهود به وتمكّنه من أدائها.

﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ هو خبر (إن)، و﴿قَلْبُهُۥ﴾ مرفوع به على الفاعلية، كأنّه قيل: فإنّه يأثم قلبه، والمعنى فيه: إنّ كتمان الشهادة من آثام القلوب ومن معاظم الذنوب.

لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

أي: ﴿وَإِن﴾ تظهروا ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من السوء ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فإنّ

الله تعالى يعلم ذلك ويجازيكم عليه، ولا يدخل فيها يخفيه الإنسان من الوساوس وحديث النفس، لأنّ ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه، ولكن ما اعتقده وعزم عليه. وعن عبد الله بن عمر: (أنّه تلاها فقال: لئن أخذنا الله بهذا لنهلكن، ثم بكى حتى سمع نشيجه[1]، فذكر لابن عباس فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد، فنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ... الآية﴾[2])[3].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ يجوز أن يكون عطفاً على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾، فيكون الضمير في ﴿كُلٌّ﴾ الذي التنوين نائب عنه راجعاً إلى الرسول والمؤمنين، أي: كلهم ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ ويوقف عليه.

ويجوز أن يكون مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين، أي: كل واحد منهم آمن. وقرئ: (وكتابه)، ويراد به: الجنس أو القرآن، وعن ابن عباس قال: (الكتاب أكثر من الكتب)[4]. وإنّما قال ذلك لأنّه إذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء، وأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع.

---

(١) نشج الباكي: غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. (الصحاح: مادة نشج)

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) تفسير الطبري ج٣: ٩٥.

(٤) تفسير الطبري ج٣: ١٠١.

[﴿لَا نُفَرِّقُ﴾][(١)] يقولون: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾.

وقوله: ﴿سَمِعْنَا﴾ بمعنى: أجبنا.

و﴿غُفْرَانَكَ﴾ منصوب بإضمار فعله، يقال: غفرانك لا كفرانك، أي: نستغفرك ولا نكفرك.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾

الوسع: ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، أي: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا﴾ ما يتيسر عليها ويتسع فيه طوقها، وهذا إخبار عن عدله ورحمته.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من شر، لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب بطاعتها غيرها. وذكر النسيان والخطأ والمراد بهما: ما هما مسببان عنه من التفريط والإغفال. وقيل: إنّ المراد بـ﴿نَّسِينَآ﴾ تركنا، وبـ﴿أَخْطَأْنَا﴾ أذنبنا[(٢)]. وروي عن ابن عباس: (إنّ معناه: لا تعاقبنا إن عصيناك جاهلين أو متعمدين)[(٣)].

والإصر: العبء الذي يأصر حامله، أي: يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٣٧٠.

(٣) مجمع البيان ج١-٢: ٤٠٤.

استعير للتكليف الشاق نحو: قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب، وغير ذلك.

﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ من العقوبات النازلة بمن قبلنا، طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم، ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها.

﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ سيدنا ونحن عبيدك، أو متولي أمورنا وناصرنا.

﴿فَٱنصُرْنَا﴾ فإنّ من حقّ المولى أن ينصر عبده، أو فإنّ ذلك عادتك، أي: فأعنّا ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بالقهر لهم والغلبة بالحجّة عليهم.

وروي عن النبيﷺ أنّه قال: ((أوتيت خواتيم (سورة البقرة) من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي))[1].

---

(١) مسند أحمد ج٥: ١٥١.

سورة آل عمران

مدنية كلها، وهي مائتا آية. عدّ الكوفي ﴿الم﴾آية و﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾الثاني آية، وترك ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾، وعدّ البصري ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ آية.

وفي حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة آل عمران) أُعطي بكل آية منها أماناً على جسر جهنم))[1]. وروى بريدة[2] عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((تعلّموا (سورة البقرة وسورة آل عمران) فإنهما الزهراوان، وإنّهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنّهما غمامتان، أو غيابتان، أو فرقان من طير صواف))[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾

---

(١) الكشف والبيان ج٣: ٥.

(٢) بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي، أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد الحديبية وبايع بيعة الرضوان، تحوّل من المدينة الى البصرة ثم خرج منها غازياً إلى خراسان، مات بمرو في إمرة يزيد بن معاوية. ينظر: الاستيعاب ج١: ١٧٣، معجم رجال الحديث ج٤: ٢٠٢.

(٣) سنن الدارمي ج ٢: ٤٥٠.

من فتح (ميم الله) ألقى عليه حركة الهمزة حين أسقطها للتخفيف.

وقيل: نزّل ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وهو القرآن ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ لأنّ القرآن نزل منجّماً، ونزل الكتابان جملة.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالصدق وبما توجبه الحكمة ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا﴾ قبله من كتاب ورسول.

﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ يعني: القرآن، كرر ذكره بما هو نعت له ومدح من كونه فارقاً بين الحقّ والباطل، بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيماً لشأنه، أو أراد جنس الكتب السماوية، لأنّها كلها فرقان تفرق بين الحقّ والباطل. الصادق عليه السلام: ((الفرقان كل آية محكمة في الكتاب))[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من الكتب المنزلة وغيرها ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ له انتقام شديد، لا يقدر على مثله منتقم.

﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي﴾ العالم فعبّر عنه بالأرض والسماء.

هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦

﴿هُوَ ٱلَّذِي﴾ يخلق صوركم المختلفة المتفاوتة ﴿فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾.

﴿كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ على أي صفة يشاء من قبيح أو صبيح، ذكر أو أنثى.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في جلاله ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أفعاله. وعن سعيد بن

---

(١) معاني الأخبار: ١٨٣ بالمعنى.

جبير(١) قال: (هذا حِجاج على من زعم أنّ عيسى كان ربّاً)(٢)، كأنّه نبّه بكونه مصوّراً في الرحم على أنّه عبد كغيره، وكان يخفى عليه مالا يخفى على الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾

﴿ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ أحكمت عباراتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه.

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: أصل الكتاب، تحمل المتشابهات عليها وتردّ إليها ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ مشتبهات محتملات. ولو كان القرآن كله محكماً لتعلّق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطّلوا الطريق الذي به يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده، ولكان لا يتبين فضل العلماء الذين يتعبون القرائح في استخراج معاني المتشابه وردّ ذلك إلى المحكم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ أي: ميل عن الحقّ.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ فيتعلّقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه أهل البدعة مما لا يطابق المحكم، ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحقّ.

﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ وطلب أن يؤوّلوه التأويل الذي يشتهونه.

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ أي: لا يهتدي إلى تأويله الحقّ

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، كان من سادات التابعين، قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ بواسط. ينظر: وفيات الأعيان ج٢: ١١٢، معجم رجال الحديث ج٨: ١١٥.

(٢) الكشاف ج١: ٣٣٧.

الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله والعلماء الذين رسخوا في العلم، أي: ثبتوا فيه وتمكّنوا.

وبعضهم يقف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويبتدئ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، ويفسّرون المتشابه بأنّه ما استأثر الله بعلمه. والأوّل أوجه، وهو المروي عن الباقر عليه السلام قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الراسخين في العلم))[1].

و﴿يَقُولُونَ﴾ كلام مستأنف موضح لحال الراسخين، والمعنى: هؤلاء الراسخون العالمون بالتأويل ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالمتشابه.

﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي: كل واحد منه ومن المحكم من عنده، أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ مدح للراسخين بحسن التأمل والتفكر والتذكر.

ويجوز أن يكون ﴿يَقُولُونَ﴾ حالاً من الراسخين.

رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

﴿لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾ لا تختبرنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ وأرشدتنا إلى دينك، ونظيره قوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾[2]، فأضافوا ما يقع من زيغ القلوب [إليه سبحانه لما كان عند امتحانه، أو لا تمنعنا لطفك الذي معه تستقيم

---

(١) الكافي ج١: ٢١٣ ضمن حديث طويل وفيه: ((فرسول الله...)).

(٢) البقرة: ٢٤٦.

القلوب][1] فتميل قلوبنا عن الإيمان بعد إذ لطفت بنا.

﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾ من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة.

﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ﴾ تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم، كقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾[2].

و﴿ٱلۡمِيعَادَ﴾: الموعد.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾

(من) في قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مثل الذي في قوله: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[3]. والمعنى: لا تغني ﴿عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ من رحمة ﴿ٱللَّهِ﴾ أو من طاعة الله ﴿شَيۡـٔٗا﴾ أي: بدل رحمة الله وطاعته، ومثله: ((ولا ينفع ذا الجد منك الجد))[4]، أي: لا ينفعه جدّه من الدنيا بدلك، أي: بدل طاعتك وعبادتك وما عندك.

﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ أي: حطب النار تتقد النار بأجسامهم.

والدأب: مصدر (دأب في العمل) إذا كدح فيه، فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله. ومحلّ (الكاف) رفع، وتقديره: دأب هؤلاء الكفرة ﴿كَدَأۡبِ﴾ من قبلهم من ﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ وغيرهم. ويجوز أن يكون منصوب المحلّ بقوله: ﴿لَن تُغۡنِيَ﴾ أو بالوقود. والمعنى: لن تغني عنهم أموالهم مثل ما لم

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) التغابن: ٩.

(٣) النجم: ٢٨.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي ج١: ١٥٩، صحيح البخاري ج١: ١٥٣.

تغن عن آل فرعون، أو توقد بهم النار كما توقد بهم، كما تقول: (إنّك لتظلم الناس كدأب أبيك)، تريد: كظلم أبيك، أي: مثل ما كان يظلمهم، وإنّ فلاناً لمحارف[1] كدأب أبيه، تريد: كما حورف أبوه.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ تفسير لدأبهم بما فعلوا وفعل بهم، كأنّه جواب لمن يسأل عن حالهم.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قيل: هم اليهود جمعهم رسول الله ﷺ بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال: يا معشر اليهود، إحذروا مثل ما نزل بقريش، وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم، فقد عرفتم أنّي نبيّ مرسل. فقالوا: (لا يغرّنّك أنّك لقيت قوماً أغماراً[2] لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، ولئن قاتلتنا لعرفت إنّا نحن الناس) فنزلت الآية[3].

ومن قرأ: (سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ) فهو في مثل قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[4] أي: قل لهم قولي لك: سيغلبون، ومن قرأ بالتاء

---

(١) المحارَف بفتح الراء: المحدود المحروم. (الصحاح: مادة حرف)

(٢) رجل غمر: لم يجرب الأمور. (الصحاح: مادة غمر)

(٣) أسباب النزول: ٦٩.

(٤) الأنفال: ٣٨.

أجرى الجميع على الخطاب، والمعنى: ستصيرون مغلوبين في الدنيا وتحشرون إلى جهنم في الآخرة.

وقيل: إنّ المراد بالذين كفروا: مشركو مكة[١]، أي: ستغلبون يوم بدر، وأيّهما أريد فقد فعل الله ذلك، فإنّ اليهود قد غلبوا بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير، [وفتح خيبر][٢] ووضع الجزية على من بقي منهم، وغلب المشركون أيضاً.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ أي: دلالة معجزة على صدق نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ يوم بدر: فرقة ﴿تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في دينه وطاعته وهم الرسول وأصحابه، وفرقة ﴿أُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركو مكة.

﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ يرى المشركون المسلمين مثلي المشركين في العدد قريباً من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفاً وعشرين، أراهم الله إيّاهم مع قلّتهم أضعافهم ليجبنوا عن قتالهم، وكان ذلك مدداً من الله لهم كما أمدّهم بالملائكة. ويدلّ عليه قراءة من قرأ بالتاء، أي: ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثليهم أنفسهم.

فإن قيل: فكيف قال في سورة الأنفال: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾[٣]؟.

فالجواب: أنّهم قُلّلوا أوّلاً في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم، فلما التحم القتال كُثّروا في أعينهم حتى غلبوا، فكان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين.

﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ يعني رؤية ظاهرة مكشوفة معاينة.

﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ كما أيّد المسلمين يوم بدر.

---

(١) عن مقاتل. معالم التنزيل ج١: ١٤٨.

(٢) ساقطة من أ، ب، ط.

(٣) الآية: ٤٤.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ١٤﴾

﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ أي: المشتهيات، جعل سبحانه الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصاً على الاستمتاع بها.

والمزيّن هو الله سبحانه بما جعل في الطباع من الميل إليها تشديداً للتكليف، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾[(١)]، وعن الحسن: (زيّنها الشيطان لهم لأنّا لا نعلم أحداً أذمّ لها من خالقها)[(٢)].

ثم قدّم سبحانه ذكر ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ لأنّ الفتنة بهن أعظم، ثم ثنّى بالبنين لأنّ حبّهم داع إلى جمع الحرام. والقنطار: المال الكثير، قيل: ملء مسك ثور ذهباً[(٣)]، وقيل: سبعون ألف دينار[(٤)]، وقيل: مائة ألف دينار[(٥)].

و﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ بنيت من لفظ القناطير للتأكيد، كما يقال: ألف مؤلّف، وبدرة مبدّرة.

و﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلّمة أو المرعية من أسام الدابة وسوّمها.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الأزواج الثمانية.

---

(١) الكهف: ٧.

(٢) تفسير الطبري ج٣: ١٣٣.

(٣) عن أبي نضرة. تفسير الطبري ج٣: ١٣٤.

(٤) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٣: ١٣٤.

(٥) عن سعيد بن جبير وغيره. معالم التنزيل ج١: ١٤٩.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾.

قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ
مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ
بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾

تم الكلام عند قوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ﴾ كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير ﴿مِّن ذَٰلِكُمۡ﴾. ويجوز أن يتعلّق اللام بـ﴿خَيۡرٖ﴾، واختص المتقين لأنّهم هم المنتفعون به. وترتفع ﴿جَنَّٰتٞ﴾ على هو جنات.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ يجازيهم بأفعالهم على قدر استحقاقهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في محلّ نصب أو رفع على المدح، أو في موضع جر صفة للمتقين أو للعباد، والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها.

﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ المصلّين وقت السحر، وقيل: الذين تنتهي صلاتهم إلى وقت السحر ثم يستغفرون ويدعون(١).

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

---

(١) عن الحسن. معالم التنزيل ج١: ١٤٩.

﴿ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

شبّه سبحانه دلالته على وحدانيته بالأفعال التي لا يقدر عليها غيره، والآيات الناطقة بتوحيده مثل سورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما، بشهادة الشاهد في البيان والكشف، وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك.

﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ مقيماً للعدل فيما يقسم للعباد من الآجال والأرزاق، وفيما يأمر به عباده من الإنصاف والعمل على السوية فيما بينهم، وانتصابه على أنّه حال مؤكدة من اسم الله، كقوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾(١).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى، والفائدة فيه أنّ قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ توحيد، وقوله: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ تعديل، فإذا تبعه قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ فقد آذن أنّ الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس من الدين. وقرئ: أنّ الدين بالفتح على أنّه بدل من الأوّل، كأنّه قال: شهد الله أنّ الدين عند الله الإسلام.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم اليهود والنصارى. واختلافهم أنّهم تركوا الإسلام ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أنّه الحقّ، فثلّثت النصارى، وقالت اليهود: عزير ابن الله، واختلف الفريقان في نبوة محمّد ﷺ وقد وجدوا نعته في كتبهم، وجاءهم العلم بأنّه رسول الله ونبيّه.

﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: حسداً بينهم وطلباً منهم للرئاسة لا شبهة في الإسلام.

---

(١) البقرة: ٩١.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: بالقرآن، أو بالتوراة والإنجيل وما فيهما من صفة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يفوته شيء من أعمالهم.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَإِنْ﴾ جادلوك في الدين ﴿فَقُلْ﴾: أخلصت نفسي وجملتي ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، لم أجعل فيها لغيره شريكاً بأن أعبده وأعبد إلهاً معه. والمعنى: إنّ ديني التوحيد، وهو الأصل الذي يلزم جميع المكلفين الإقرار به.

﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ عطف على التاء في ﴿أَسْلَمْتُ﴾، ويجوز أن يكون الواو بمعنى (مع) فيكون مفعولاً معه.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب.

﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ يعني: إنّه قد أتاكم من البيّنات ما يوجب الإسلام، فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم؟، ومثله قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1]، لفظه لفظ الاستفهام والمراد الأمر.

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى.

﴿وَّإِن تَوَلَّوْا﴾ لم يضرّوك فإنّك رسول ما عليك إلا البلاغ والتنبيه على

(١) المائدة: ٩١.

طريق الرشد والهدى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ
وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ
فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

هم أهل الكتاب قتلت أوائلهم الأنبياء وأتباعهم من عبّاد بني إسرائيل، وكان هؤلاء راضين بما فعل أولئك، وحاولوا قتل رسول الله ﷺ والمؤمنين لولا عصمة الله.

وقوله: ﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ المراد به: إنّ قتلهم لا يكون إلا بغير حقّ، كقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[1].

﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ إذ لم ينالوا بها الثناء والمدح، ولم تحقن دماؤهم وأموالهم، وفي ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ لأنّهم لم يستحقّوا بها الثواب فصارت كأنّها لم تكن. وهذا هو حقيقة الحبوط، وهو الوقوع على خلاف الوجه المأمور به فلا يستحقّ عليه الثواب والأجر.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ
لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ
كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

---

(١) المؤمنون: ١١٧.

يريد أحبار اليهود، أي: أعطوا حظاً وافراً من التوراة، أو من جنس الكتب المنزلة.

و(من) إما للتبعيض وإما للبيان.

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وهو التوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ وذلك أنّ رسول الله ﷺ دخل مدارسهم فدعاهم، فقال له بعضهم: على أي دين أنت؟ قال: على ملّة إبراهيم. فقالوا: إنّ إبراهيم كان يهودياً، فقال: إنّ بيننا وبينكم التوراة، فأبوا فنزلت[١]. وقيل: نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه[٢].

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتوليهم بعد علمهم أنّ الرجوع إلى كتاب الله واجب ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ الإعراض عادتهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ التولي والإعراض بسبب ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي: قلائل، أربعين يوماً أو سبعة أيّام.

﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي: افتراؤهم وهو قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[٣].

﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: لجزاء يوم ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك فيه لمن نظر في الأدلة.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يرجع إلى ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ على المعنى، لأنّه في معنى كل الناس.

---

(١) أسباب النزول: ٧٠.

(٢) أسباب النزول: ٧٠.

(٣) المائدة: ١٨.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾

﴿ٱللَّهُمَّ﴾ الميم فيه عوض من (يا) ولذلك لا يجتمعان، وهذا من خصائص هذا الاسم، كما اختص بالتاء في القسم، وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف.

﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ أي: تملك جنس الملك فتتصرّف فيه تصرّف الملاك فيما يملكونه.

﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ تعطي من تشاء من الملك النصيب الذي قسمته له.

﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ النصيب الذي أعطيته منه. فالملك الأوّل عام، والآخران خاصان بعضان من الكل.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ من أوليائك في الدنيا والدين ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ من أعدائك.

﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك.

﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ أي: تنقص من الليل وتجعل ذلك النقصان زيادة في النهار، وتنقص من النهار وتجعل ذلك النقصان زيادة في الليل.

﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ أي: من النطفة ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ﴾ أي: النطفة

﴿مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ وقيل: تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن[١].

﴿وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ بغير تقتير.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾

نهى سبحانه المؤمنين أن يوالوا ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها، وقد كرر ذلك في القرآن: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾[٢]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... الآية﴾[٣]. والحبّ في الله والبغض في الله أصل كبير من أصول الإيمان.

﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المعنى: إنّ لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ أي: فليس من ولاية الله في شيء، يعني: إنّه منسلخ عن ولاية الله رأساً، وهذا أمر معقول فإنّ مصادقة الصديق ومصادقة عدوه متنافيان، قال:

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي ... صَدِيقُكَ إِنَّ الرَّأْيَ مِنْكَ لَعَازِبُ[٤]

وقوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ في موضع النصب على الحال، لأنّه في الأصل فليس في شيء ثابت من الله، فلما تقدّم انتصب على الحال، ومثله شعراً:

(١) عن الحسن. تفسير الطبري ج٣: ١٥٠.

(٢) المائدة: ٥١.

(٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) البيت للعتابي. عيون الأخبار ج٣: ٦.

لَيْسُــــوا مِنَ الــــشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا[١]

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه. وقرئ: تَقِيَّةً، وهما جميعاً مصدر اتقى تقاة وتقية وتقوى. وهذه رخصة في موالاتهم عند الخوف، والمراد بهذه الموالاة المخالفة الظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه، وهذا وعيد شديد.

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضي الله.

﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ ولم يخف عليه وهو ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لا يخفى عليه منه شيء، فلا يخفى عليه سرّكم وجهركم.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو قادر على عقوبتكم. وهذا بيان لقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ﴾ وهي ذاته المتميّزة من سائر الذوات القادرة العالمة، فلا تختص بمقدور دون مقدور، ولا بمعلوم دون معلوم، فكان أحقّ بأن يتقى ويحذر.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ﴿تَوَدُّ﴾ أي: يوم القيامة حين ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ خيرها وشرّها حاضرين تتمنى ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾ وبين ذلك اليوم وهوله ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾،

---

(١) البيت لقريط بن انيف العنبري، ديوان الحماسة:٢٩، وصدره: لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب.

فالضمير في ﴿بَيْنَهُۥ﴾ لـ(اليوم).

ويجوز أن ينتصب ﴿يَوْمَ﴾ بمضمر نحو: اذكر، ويرتفع ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ على الابتداء، و﴿تَوَدُّ﴾ خبره. أي: والذي عملته من سوء تودّ هي لو تباعد ما بينها وبينه، وتكون (ما) موصولة ولا يجوز أن تكون شرطية لارتفاع ﴿تَوَدُّ﴾.

ويجوز أن يكون ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ عطفاً على ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾، ويكون ﴿تَوَدُّ﴾ حالاً. أي: يوم تجد عملها محضراً وادّة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء.

وقوله: ﴿مُّحْضَرًا﴾ أي: مكتوباً في صحفهم يقرؤونه، ونحوه: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾[(١)]. والأمد: المسافة، كقوله: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾[(٢)].

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ رحيم بهم، فلا تأمنوا عقابه ولا تيأسوا من رحمته.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

نزلت الآية في قوم من أهل الكتاب قالوا: نحن أحبّاء الله، فجعل الله سبحانه مصداق ذلك اتباع رسولهﷺ فقال: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ صادقين في دعوى محبّة الله ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ فإنّكم إن فعلتم ذلك أحبّكم الله وغفر لكم. ومحبّة الله للعبد هي إرادة ثوابه، ومحبّة العبد لله هي إرادة طاعته، فإنّ المحبّة من جنس الإرادة.

ثم أكّد ذلك بقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: إن كنتم تحبّون الله كما

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) الزخرف: ٣٨.

تدّعون، فأظهروا دلالة صدق المحبّة بطاعة الله وطاعة رسوله.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن طاعة الله ورسوله. ويحتمل أن يكون ماضياً وأن يكون مضارعاً بمعنى: فإن تتولوا، ويدخل في جملة ما يقوله الرسول لهم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: لا يحبّهم ولا يريد ثوابهم من أجل كفرهم، فوضع الظاهر موضع المضمر لهذا المعنى.

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

﴿ءَالِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: إسماعيل وإسحاق وأولادهما.

و﴿ءَالِ عِمْرَٰنَ﴾: موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر. وقيل: عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان[1]، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة.

و﴿ذُرِّيَّةًۢ﴾ بدل من ﴿ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾.

﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ يعني: إنّ الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض، وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام: وَآلَ مُحَمَّدٍ عَلَى العَالَمِينَ، وقيل: إنّ آل إبراهيم هم آل محمّد الذين هم أهل بيته[2].

ومن اصطفاه الله تعالى واختاره من خلقه لا يكون إلا معصوماً مطهّراً عن القبائح، وعلى هذا فيجب أن يكون الاصطفاء مخصوصاً بمن كان معصوماً من آل إبراهيم وآل عمران نبيّاً كان أو إماماً.

---

(١) معالم التنزيل ج١: ١٥٥.

(٢) عن الحسن. التبيان ج٢: ٤٤١.

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ
مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ
أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ
وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾

يجوز أن يكون ﴿إِذۡ﴾ منصوباً بقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، [أي: سميع عليم][1] لقول امرأة عمران ونيّتها، وقيل: هو منصوب بـ(اذكر).

وهي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدّة عيسىعليه السلام واسمها حنة، وكانتا أختين: إحداهما هذه والأخرى عند زكرياعليه السلام واسمها ايشاع واسم أبيهما قاقوذ، فيحيى ومريم ابنا خالة.

﴿مُحَرَّرٗا﴾ أي: معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يدلي عليه ولا أستخدمه. وروي عن الصادقعليه السلام: ((إنّ الله عزّ وجل أوحى إلى عمران أنّي واهب لك ولداً مباركاً يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذني، فحدّث امرأته حنة بذلك، فلما حملت قالت: (ربّ إنّي نذرت لك ما في بطني محرراً)))[2].

﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓ﴾ أي: نذري قبول رضا.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بما أقول ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما أنوي.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا﴾ وكانت ترجو أن يكون غلاماً خجلت واستحيت، و﴿قَالَتۡ﴾ منكّسة رأسها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ وإنّما قالت ذلك تحسّراً، لأنّها كانت ترجو أن تلد ذكراً، ولذلك نذرته محرراً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ

(١) ساقطة من أ، ج.

(٢) تفسير القمي: ١٠٠ باختلاف.

بِمَا وَضَعَتْ﴾ تعظيماً لموضوعها، أي: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وبما علق به من عظائم الأمور وهي لا تعلم ذلك.

وقرئ: (بِمَا وَضَعْتُ) بضم التاء، وروي ذلك عن علي عليه السلام، بمعنى: ولعل لله فيه سراً وحكمة، ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها.

ومريم في لغتهم هي العابدة.

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ فرضي بها بالنذر مكان الذكر ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون القبول اسماً لما يقبل به الشيء كالسعوط والوجور لما يسعط به ويوجر، وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك، أو بأن تسلّمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تصلح للسدانة.

والثاني: أن يكون مصدراً على تقدير حذف المضاف، بمعنى: فتقبلها بذي قبول حسن، أي: بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي: جعل نشوءها نشوءاً حسناً، وربّاها تربية حسنة، وأصلح أمرها في جميع أحوالها.

وقرئ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بالتشديد، ﴿زَكَرِيَّا﴾ بالنصب. والفعل لله تعالى، بمعنى: وضمّها إليه وجعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها. وقرئ: (زكريا) بالقصر

والمد. وقيل: إنّه بنى لها زكريا محراباً في المسجد، أي: غرفة تصعد إليها بسلّم[١]، وقيل: المحراب أشرف المجالس ومقدّمها[٢]، كأنّها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس، وقيل: كانت مساجدهم تسمّى المحاريب[٣].

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ كان رزقها ينزل عليها من الجنّة، فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء.

﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [من أين لك هذا][٤] الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا؟.

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: من الجنّة.

وفي كتاب الكشاف: ((عن النبي ﷺ أنّه جاع في زمن قحط، فأهدت له فاطمة عليها السلام رغيفين وبضعة لحم آثرته بها، فرجع بها إليها وقال: هلمّي يا بنية، فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً، فبهتت وعلمت أنّها نزلت من عند الله، فقال لها: أنّى لك هذا؟ فقالت: هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب. فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل، ثم جمع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة على جيرانها))[٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ من جملة كلام مريم، أو من كلام ربّ العزّة.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير لكثرته، أو تفضلاً بغير محاسبة ومجازاة على

---

(١) عن ابن اسحاق. الكشف والبيان ج٣: ٥٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٤٠٣.

(٣) تهذيب اللغة ج٥: ٢٣.

(٤) ساقطة من ج.

(٥) الكشاف ج١: ٣٥٨، الكشف والبيان ج٣: ٥٧.

عمل.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾

﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك المكان حيث هو قاعد في المسجد عند مريم في المحراب، أو في ذلك الوقت فقد يستعار (هنا) و(ثم) و(حيث) للزمان.

لما رأى حال مريم من كرامتها على الله ومنزلتها، رغب في أن يكون له ولد من ايشاع مثل ولد أختها حنة في الكرامة على الله، وإن كانت عاقراً عجوزاً.

﴿قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً﴾ أي: ولداً مباركاً تقياً نقياً، وإنّما أنّث على لفظ الذرية، والذرية تقع على الواحد والجمع.

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أي: مجيبه.

﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قيل: ناداه جبرئيل عليه السلام[1]. وقرئ: (فناديه) على التذكير والإمالة، وقرئ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بالفتح على تقدير: بأنّ الله، وبالكسر على تقدير إرادة القول، ولأنّ النداء ضرب من القول، وقرئ: يبشرك بفتح الياء والتخفيف من بشره يبشره.

و﴿يَحۡيَىٰ﴾ إن كان أعجمياً فإنّما منع الصرف للتعريف والعجمة، وإن كان عربياً فللتعريف ووزن الفعل.

﴿مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعيسى مؤمناً به. قيل: إنّه أوّل من آمن به،

---

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج٣: ١٦٩.

وإنّما سمّي كلمة لأنّه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهو قوله: كن من غير سبب آخر[١]، وقيل: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مؤمناً بكتاب منه[٢]، وسمّي الكتاب (كلمة) كما قيل: (كلمة الحويدرة)[٣] لقصيدته.

﴿وَسَيِّدًا﴾ يسود قومه ويفوقهم في الشرف والعلم والعبادة.

﴿وَحَصُورًا﴾ لا يقرب النساء حصراً لنفسه ومنعاً من الشهوات.

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: رسولاً شريفاً رفيع المنزلة كائناً من جملة الأنبياء الصالحين.

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾

﴿قَالَ﴾ زكريا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ هذا استبعاد من حيث العادة ﴿وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ كقولهم: أدركته السن العالية، والمعنى: أثّر فيّ الكبر وأضعفني، وكانت له تسع وتسعون سنة، وقيل: مائة وعشرون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة[٤].

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾أي: يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة الخارقة

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الماوردي ج١: ٣٩٠.

(٢) مجاز القرآن ج١: ٩١.

(٣) هو قطبة بن أوس بن محصن من بني ثعلبة بن سعد، شاعر جاهلي مقل، والحويدرة والحادرة لقب غلب عليه. ينظر: ترجمته وأخباره الأغاني ج٣: ١٨٨.

(٤) عن ابن عباس برواية الضحاك. معالم التنزيل ج١: ١٥٨.

للعادة مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر، أو ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر، أي: على نحو هذه الصفة الله، و﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ بيان له.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗ﴾ أي: علامة أعرف بها وقت الحمل، لأتلقّى هذه النعمة إذا جاءت بالشكر.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا﴾ تقدر على تكليم ﴿ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا﴾ إشارة بيد أو برأس أو غيرهما، وأصله التحرك.

وإنّما خص تكليم الناس ليعلمه أنّ حبس لسانه يكون عن القدرة على تكليمهم خاصة، ويكون قادراً على التكليم بذكر الله، ولذلك قال: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ يعني: في أيّام عجزك عن تكليم الناس، وهي من المعجزات الباهرة.

﴿وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ من حين تزول الشمس إلى أن تغيب.

﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ من طلوع الفجر إلى وقت الضحى.

وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

﴿إِذۡ﴾ هذه معطوفة على ﴿إِذۡ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾.

كلّمتها الملائكة شفاهاً و﴿قَالَتِ﴾ لها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ أوّلاً إذ تقبّلك من أمك وربّاك واختصك بأنواع الكرامة.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من الأدناس والأقذار العارضة للنساء مثل الحيض والنفاس.

﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾ آخراً ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بأن وهب لك عيسى من غير

أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء.

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود، لكونهما من هيئات الصلاة وأركانها، ثم قيل لها: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلّين في الجماعة، أو انظمي نفسك في جملة المصلّين وكوني في عدادهم.

ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم.

﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ من الأخبار التي لم تعرفها إلا بالوحي.

﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾ أي: نلقيه إليك معجزة لك، لأنّ علم ما غاب عن الإنسان لا يمكن حصوله إلا بدراسة الكتب أو بالتعلّم أو بالوحي. ومعلوم أنّك لم تشاهد هذه القصص، ولم تقرأها من كتاب ولا تعلمتها، إذ كان نشوؤك بين قوم لم يكونوا أهل كتاب، فوضح أنّك لم تعرف ذلك إلا بالوحي.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾ التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء يقترعون على مريم، فارتزّ[١] قلم زكريا وارتفع فوق الماء، ورسبت أقلام الباقين من الأحبار.

﴿أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ أي: ليعلموا أيّهم يكفلها ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ في شأنها.

---

(١) ارتز: ثبت. (الصحاح: مادة رزز)

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧)﴾

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ بدل من ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾، ويجوز أن يبدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿يُبَشِّرُكِ﴾ يخبرك بما يسرّك.

﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ وأصله مشيحا بالعبرانية، ومعناه: المبارك، كقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾[١]، وكذلك عيسى معرّب من ايشوع، وقيل: إنّما سمّي مسيحاً، لأنّ جبرئيل مسحه بجناحيه وقت ولادته، يعوّذه بذلك من الشيطان[٢]، وقيل: لأنّه كان لا يمسح ذا عاهة بيده إلا برأ[٣].

وإنّما قيل: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وهذه ثلاثة أشياء: الاسم منها عيسى، والمسيح لقب من ألقابه الشريفة، والابن صفة؛ لأنّ الاسم يكون علامة للمسمّى يتميّز بها عن غيره، فكأنّه قيل: إنّ مجموع هذه الثلاثة هو الذي يتميّز بذلك عن غيره.

﴿وَجِيهًا﴾ حال من ﴿كَلِمَةٍ﴾، وكذلك ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، ﴿وَيُكَلِّمُ﴾، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. أي: يبشّرك به موصوفاً بهذه الصفات، وصحّ الحال من النكرة لكونها موصوفة.

---

(١) مريم: ٣١.

(٢) الكشف والبيان ج٣: ٦٨.

(٣) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج١: ١٥٩.

والوجاهة ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ هي النبوة والرئاسة على الناس، وفي ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الشفاعة وعلو الرتبة، وكونه ﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ رفعه إلى السماء.

وقوله: ﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ في موضع النصب على الحال من ﴿وَيُكَلِّمُ﴾، و﴿كَهۡلٗا﴾ عطف عليه. والمعنى: يكلّم الناس طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت بين الحالتين.

وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا
إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم
مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ
وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم
بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن
كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن
رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطف على ﴿يُبَشِّرُكِ﴾، أو على ﴿يَخۡلُقُ﴾، أو على ﴿وَجِيهٗا﴾، أو هو كلام مستأنف. وقرئ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالياء والنون.

وقوله: ﴿وَرَسُولًا﴾ و﴿وَمُصَدِّقٗا﴾ فيهما وجهان:

أحدهما: إنّ التقدير: ويقول: أرسلت رسولاً بأنّي قد جئتكم ومصدّقاً لما بين يدي.

والثاني: إنّ الرسول والمصدّق فيهما معنى النطق، فكأنّه قيل: وناطقاً بأنّي قد جئتكم، وناطقاً بأنّي أصدّق ما بين يدي.

و﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ﴾ في موضع نصب بدل من ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم﴾، أو في موضع

جر بدل من ﴿ءَايَةٍ﴾، أو في موضع رفع على هي أنّي أخلق لكم. وقرئ: إنّي أخلق ـ بالكسر ـ على الاستئناف. والمعنى: إنّي أقدّر لكم شيئاً مثل صورة الطير.

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ أي: في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير.

﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا﴾ كسائر الطيور حياً.

﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بقدرته وأمره.

﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ﴾ أي: الذي يولد أعمى ﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ الذي به وضح.

وإنّما كرر ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ دفعاً لوهم من توهّم فيه الإلهية.

﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ بما تأكلونه وما تدخرونه ﴿فِي بُيُوتِكُمۡ﴾. كان يقول: يا فلان أكلت كذا، ويا فلان خبئ لك كذا.

وقوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ محمول على قوله: ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ أي: جئتكم بآية من ربّكم ولأحلّ لكم، ويجوز أن يكون ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ محمولاً عليه أيضاً، أي: جئتكم بآية وجئتكم مصدّقاً.

والذي أحلّ لهم عيسى عليه السلام وقد كان محرّماً عليهم في شريعة موسى هو: لحم الإبل، والشحم، والثرب(١)، ولحم بعض الحيتان.

﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: حجّة شاهدة على صحة نبوتي.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مخالفتي وتكذيبي وأطيعون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾

---

(١) الثرب: شحم قد غشي الكرش والأمعاء رقيق. (الصحاح: مادة ثرب)

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ مالكي ومالككم، إنّما قال ذلك ليكون حجّة على النصارى في قولهم: المسيح ابن الله، والمعنى: لا تنسبوني إليه فإنّما أنا عبد له كما أنّكم عبيد له.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ أي: علم ﴿عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ علماً لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس.

﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني؟ فيكون ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ من صلة ﴿أَنصَارِيٓ﴾. ويجوز أن يكون متعلّقاً بمحذوف حالاً من الياء، أي: من أنصاري ذاهباً إلى الله.

﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: أنصار دينه ورسوله، وحواريّ الرجل صفوته وخاصته، ويقال لنساء الحضر: الحواريات، لنظافتهن وخلوص ألوانهن. والحواريون كانوا اثنى عشر رجلاً، قيل: سمّوا بذلك لأنّهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة[1]، أو لنقاء قلوبهم كما ينقى الثوب بالتحوير، وقيل: كانوا قصّارين يبيّضون الثياب[2]. وإنّما طلبوا شهادته لأنّ الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم.

---

(١) عن عبد الله بن المبارك. معالم التنزيل ج١: ١٦١.

(٢) عن أبي أرطأة. تفسير الطبري ج٣: ٢٠٠.

وقوله: ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم، وقيل: مع أمّة محمّد ﷺ لأنّهم شهداء على الناس[(١)].

﴿وَمَكَرُواْ﴾ الواو لكفار بني إسرائيل، ومكرهم أنّهم وكّلوا به من يقتله غيلة.

﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بأن رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب.

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ ظرف لـ﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أو لـ﴿مَكَرَ ٱللَّهُ﴾.

﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: مستوفي أجلك، ومعناه: إنّي عاصمك من أن يقتلك الكفار، ومؤخرك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم.

﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ أي: إلى سمائي ومقر ملائكتي.

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من سوء جوارهم وخبث صحبته.

وقيل: متوفيك: قابضك من الأرض، من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته[(٢)]،

---

(١) عن ابن عباس. معجم الطبراني الكبير ج١١: ٢٢٣.

(٢) عن مطر الوراق وغيره. تفسير الطبري ج٣: ٢٠٣.

وقيل: متوفيك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن[١]، وقيل: متوفيك: متوفي نفسك بالنوم من قوله: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[٢] ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف، وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرّب[٣].

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعلونهم بالحجّة، وفي أكثر الأحوال بالحجّة والسيف، ومتّبعوه هم المسلمون دون الذين كذّبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى.

﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ تفسير الحكم فيما بعد وهو قوله: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾، ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ
وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ
نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى عليه السلام وغيره، وهو مبتدأ خبره ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾، و﴿مِنَ ٱلْآيَـٰتِ﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف. ويجوز أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى (الذي)، و﴿نَتْلُوهُ﴾ صلته، و﴿مِنَ ٱلْآيَـٰتِ﴾ الخبر.

و﴿ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ القرآن، لأنّه بما فيه من الحكمة كأنّه ينطق بالحكمة، كما تسمّى الدلالة دليلاً وإن كان الدليل هو الدال.

---

(١) معاني القرآن للفراء ج١: ٢١٩.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) عن الربيع. تفسير الطبري ج٣: ٢٠٢.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ٦١﴾

﴿إِنَّ﴾ شأن عِيسَىٰ عليه السلام وحاله العجيبة كشأن ﴿ءَادَمَ﴾.

وقوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ جملة مفسّرة لما له شبّه عيسى بآدم، أي: خلق آدم من تراب ولا أب هنا ولا أم، فكذلك حال عيسى. والوجود من غير أب وأم أغرب وأدخل في باب خرق العادة من الوجود من غير أب. والمعنى: قدّره جسداً من طين ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ أي: أنشأه بشراً كما قال: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾[1]. وقوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضية.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هو الحقّ، كقول أهل خيبر: (محمّد والخميس)[2] أي: الجيش.

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ من باب التهييج لزيادة الطمأنينة واليقين.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ من النصارى ﴿فِيهِ﴾ أي: في عيسى.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: من البيّنات الموجبة للعلم.

﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ﴾ هلمّوا، والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول: تعال نفكّر في هذه المسألة.

---

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) سيرة ابن هشام ج٣: ٣٤٣.

﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ أي: يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ومن نفسه كنفسه إلى المباهلة.

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي: نتباهل بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منا ومنكم. والبهلة ـ بالفتح والضم ـ: اللعنة، وبهله الله: لعنه وأبعده من رحمته، من قولك: أبهله إذا أهمله، وناقة باهل: لا صرار[1] عليه. هذا أصل الابتهال، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً.

نزلت الآيات في وفد نجران[2]: العاقب والسيّد ومن معهما، ولما دعاهم النبيﷺ إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما خلا بعضهم إلى بعض قالوا للعاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ: يا عبد المسيح ما ترى؟ قال: والله لقد عرفتم أنّ محمّداً نبيّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيّاً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

وذلك بعد أن غدا النبيﷺ آخذاً بيد علي بن أبي طالب والحسن والحسين بين يديه وفاطمة خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم أبو حارثة، فقال الأسقف: إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم إنّا لا نباهلك ولكن نصالحك.

فصالحهم رسول اللهﷺ على أن يؤدّوا إليه كل عام ألفي حلّة: ألف في صفر

---

(١) الصرار: خيط يشد فوق الخلف والتودية لئلا يرضعها ولدها. (الصحاح: مادة صرر)

(٢) نجران بالفتح ثم السكون: موضع يقع في مخاليف مكة من ناحية مكة، سمي بنجران بن زيدان بن سبأ، لأنه كان أول من عمّرها، وكان أهلها على النصرانية. معجم البلدان ج٥: ٢٦٦.

وألف في رجب، وعلى عارية ثلاثين درعاً وعارية ثلاثين فرساً وثلاثين رمحاً إن وقع كيد باليمن، وقال: والذي نفسي بيده إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا[1].

وفي هذه الآية أوضح دلالة على فضل أصحاب الكساء، وعلوّ درجتهم، وبلوغ مرتبتهم في الكمال إلى حد لا يدانيهم أحد من الخلق.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي قصّ عليك من نبأ عيسى وغيره ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ والحديث الصدق.

[و(من) في قوله][2]: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بمنزلة البناء على الفتح في (لا إله إلا الله) في إفادة معنى الاستغراق، وهو ردّ على النصارى في قولهم بالتثليث.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وعيد لهم.

ولما تمّ الحجاج على القوم دعاهم سبحانه إلى التوحيد فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾ أي: مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل، وتفسير الكلمة قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ

(١) ينظر: الكشف والبيان ج٣: ٨٥.

(٢) ساقطة من أ، ج.

﴿شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: هلمّوا إليها حتى لا نقول: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله، لأنّ كل واحد منهما بعضنا وبشر مثلنا، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل، كقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ... الآية﴾[1]. وقال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال: ((أليس كانوا يحلّون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم؟!))، قال: نعم. [قال: هو ذاك[2]][3].

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن التوحيد.

﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ أي: لزمتكم الحجّة فوجب عليكم أن تعترفوا بأنّا مسلمون دونكم. ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: اشهدوا بأنّكم كافرون حيث توليتم عن الحقّ بعد ظهوره.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ
وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ
حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ
وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا
وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾

اجتمعت أحبار اليهود والنصارى عند رسول الله ﷺ وزعم كل فريق منهم أنّ ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ كان منهم، فقيل لهم: إنّ اليهودية حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبينه وبين

(١) التوبة: ٣١.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) معجم الطبراني الكبير ج ١٧: ٨٦ باختلاف في اللفظ.

عيسى ألفان، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة كثيرة؟!.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال؟!.

(ها) للتنبيه و﴿أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾ جملة مستأنفة مبيّنة للجملة الأولى. يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الجهّال، بيان جهلكم وقلة عقلكم أنّكم جادلتم ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ مما نطق به التوراة والإنجيل.

﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا﴾ لا ذكر له في كتابيكم من دين إبراهيم؟!.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ شأن إبراهيم ودينه ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فلا تتكلّموا فيه.

ثم أعلمهم بأنّ إبراهيم بريء من دينهم وما كان إلا ﴿حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيراً والمسيح.

إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ
وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾

﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ﴾ أخص الناس ﴿بِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ وأقربهم منه، من الولي وهو القرب ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه وبعده ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ خصوصاً ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من أمّته ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يتولى نصرتهم.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ﴾ أي: تمنّت جماعة ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ﴾ هم اليهود

دعوا حذيفة[١] وعماراً[٢] ومعاذاً[٣] إلى اليهودية.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم، لأنّ العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم، أو ما يقدرون على إضلال المسلمين وإنّما يضلّون أمثالهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وما يعلمون أنّ وبال ذلك يعود عليهم.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٧١﴾

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بالتوراة والإنجيل. وكفرهم بها: أنّهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة محمّد ﷺ ونعته.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعترفون بأنّها آيات الله، أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين.

﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الباطل: ما حرّفوه من التوراة، والحقّ: ما تركوه على حاله.

---

(١) حذيفة بن اليمان العبسي، يكنى أبا عبد الله، حليف لبني عبد الأشهل من الأنصار، من كبار الصحابة، مات سنة ٣٦ هـ بعد مقتل عثمان وبيعة الإمام علي عليه السلام. ينظر: الاستيعاب ج١: ٢٧٧، معجم رجال الحديث ج٤: ٢٥١.

(٢) عمار بن ياسر بن مالك العنسي حليف بني مخزوم، الصحابي المشهور كان من السابقين الأولين، شهد المشاهد كلها، قتل بصفين مع الإمام علي عليه السلام. ينظر: الإصابة ج٢: ٥١٢، معجم رجال الحديث ج١٢: ٢٨٨.

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، كانت وفاته بالطاعون بالشام سنة ١٧هـ أو ١٨هـ. ينظر: الإصابة ج٣: ٤٢٦، معجم رجال الحديث ج١٨: ٢١٢.

﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ وهو نبوة محمّد ﷺ.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾

تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمّد أوّل النهار من غير اعتقاد ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ﴾ به آخر النهار، وقولوا: إنّا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمّداً ليس بذلك المنعوت، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه؛ فإذا فعلتم ذلك شكّ أصحابه في دينهم ويقولون: ما رجعوا - وهم أهل الكتاب - إلا لأمر قد تبيّن لهم.

و﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله، وقوله: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ﴾ [وما بينهما اعتراض، أي: ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد][(١)] ﴿مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ إلا لأهل دينكم دون غيرهم. والمراد: وأسرّوا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم، ولا تفشوه إلا عند أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم تصديقكم بذلك ثباتاً، ودون المشركين لئلا يدعوهم ذلك إلى الإسلام.

﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ عطف على ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾ والضمير في ﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ لـ(أحد) لأنّه في معنى الجمع، يعني: ولا تؤمنوا لغير من تبع دينكم، إنّ المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحقّ، ويغالبونكم عند الله بالحجّة.

---

(١) ساقطة من ط.

ومعنى الاعتراض بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أنّ المراد بذلك: قل يا محمّد لهم: إنّ من شاء الله أن يوفقه حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك، ولم تنفع حيلتكم ومكركم، وكذلك قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ المراد به: الهداية والتوفيق.

وفي الآية وجه آخر: وهو أن يتم الكلام عند قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ على معنى: لا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم، لأنّ رجوعهم كان أرجى عندهم، ولأنّ الإسلام منهم كان أغيظ لهم.

وقوله: ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ﴾ معناه: لأن يؤتى أحد ﴿مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ دبرتم ذلك وفعلتموه لا لشيء آخر، يعني: إنّ ما بكم من الحسد لمن أوتي مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب، دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم، والدليل عليه قراءة ابن كثير[١]: (أأن يؤتى أحد) بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى: ألِأن يؤتى أحد. ومعنى ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ﴾ على هذا إنّكم دبّرتم ما دبّرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربّكم.

ووجه آخر: وهو أن يكون ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ بدلاً من ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾، و﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. والمعنى: قل: إنّ هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربّكم فيقرعوا باطلكم بحقّهم ويدحضوا حجّتكم.

ووجه آخر: وهو أن يتعلّق الكلامان بـ﴿قُلۡ﴾. والمعنى: قل لهم هذين القولين أي: أكِّد عليهم أنّ الهدى هدى الله، وهو ما فعله من إيتاء الكتاب غيركم، وأنكر عليهم أن يكيدوا بما كادوا به، كأنّه قيل: قل: ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾، وقل:

---

(١) عبد الله بن كثير الداري قارئ أهل مكة، أحد التابعين، ولد سنة ٤٥هـ وتوفي سنة ١٢٠هـ. ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ج١: ٤٤٣.

أَلِأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ما قلتم وكدتم ما كدتم؟.

وفي هذه الآيات معجزة باهرة لنبيّناﷺ حيث أخبرهم عن سرائرهم.

وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾

﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ معناه: إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحقّ قائماً على رأسه تطالبه بالعنف.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ترك الأداء الذي دلّ عليه ﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ ومعناه: إنّ تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ أي: ليس علينا عقاب ولا ذم في شأن الأميين الذين ليسوا على ديننا، وكانوا يستحلّون ظلم من خالفهم ويقولون: لم تجعل لهم في كتابنا حرمة.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بادعائهم أنّ ذلك في كتابهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم كاذبون.

﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما نفوه، أي: بلى عليهم سبيل في الأميين، وقوله: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ جملة مستأنفة، أي: كل من أوفى بما عاهد عليه ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله في ترك الخيانة والغدر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ يحبّه، وضع الظاهر موضع المضمر.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون بما عاهدوا الله عليه من الإيمان بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: بما حلفوا به من قولهم: والله لنؤمنن به ولننصرنه.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ متاع الدنيا من الرئاسة وأخذ الرشوة ونحو ذلك.

وقيل: نزلت في حيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف وأضرابهما من اليهود، كتموا ما في التوراة وحرّفوه[١].

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ مجاز عن الاستهانة بهم، يقال: فلان لا ينظر إلى فلان، يراد سخطه عليه وترك اعتداده به.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يثني عليهم.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم﴾ يقلبونها بقراءة ﴿الْكِتَٰبِ﴾ عن الصحيح إلى المحرّف.

﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ الضمير يرجع إلى ما دلّ عليه ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ﴾ وهو المحرّف، أي: لتظنّوا أيّها المسلمون ذلك المحرّف من كتاب الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ﴾ المنزل على موسى ولكنهم يخترعون.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ هو تأكيد لقوله: ﴿هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ﴾ وزيادة تشنيع عليهم. وقيل: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف وكتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بما كان عندهم

---

(١) أسباب النزول: ٨٠.

من الكتاب(١).

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قيل: إنّ أبا رافع القرظي ورئيس وفد نجران قالا: (يا محمّد أتريد أن نعبدك ونتخذك إلهاً؟ فقال: معاذ الله أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني)، فنزلت(٢).

﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: والحكمة وهي السنّة.

أي: ﴿مَا﴾ ينبغي ﴿لِبَشَرٍ﴾ ولا يحلّ له، وليس من صفة الأنبياء الذين خصّهم الله بالحكمة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ أن يدعو الناس إلى عبادتهم. وهذا تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى.

﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ أي: ولكن يقول: كونوا ربّانيين، والربّاني منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون كما يقال: لحياني، وهو شديد التمسّك بدين الله. وقيل: الربّانيون: العلماء الفقهاء(٣)، أي: كونوا علماء فقهاء. وقيل: كونوا معلّمين الناس من علمكم(٤)، كما يقال: أنفق بمالك. أي: من مالك.

---

(١) أسباب النزول:٨٠.

(٢) أسباب النزول:٨٠.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٣: ٢٣٣.

(٤) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج٣: ١٠٢.

﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ أي: بسبب كونكم عالمين، وبسبب كونكم دارسين للعلم.
وقرئ: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ من التعليم.

وقرئ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالنصب عطفاً على ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أن يجعل (لا) مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله: ﴿مَا كَانَ﴾ أي: ما كان ﴿لِبَشَرٍ﴾ أن يستنبئه الله ويجعله داعياً إلى الله وإلى إخلاص العبادة له وترك الأنداد، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾.

والثاني: أن يجعل (لا) غير مزيدة، والمعنى: إن رسول الله ﷺ كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة، وينهى اليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح، فلما قالوا له: أنتخذك ربّاً؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يستنبئه الله، ثم يأمر الناس بعبادته وينهاهم عن عبادة الملائكة والأنبياء.

والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر، وينصرها قراءة عبد الله بن مسعود: ولن يأمركم. والضمير في ﴿لَا يَأْمُرَكُمْ﴾ و﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ للبشر، وقيل: لله[1].

والهمزة في ﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ للإنكار، والمعنى: إنّ الله تعالى إنّما يبعث النبي ليدعو الناس إلى الإيمان، فكيف يدعو النبي المسلمين إلى الكفر؟!.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٤٣٦.

﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٨٢﴾

المعنى: ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ الميثاق على ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بذلك، وعن الصادق عليه السلام أنّ المعنى: ((وإذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين كل أمّة بتصديق نبيّها والعمل بما جاءهم به، فما وفوا به وتركوا كثيراً من شرائعهم))[١].

واللام في ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾ لتوطئة القسم، وفي ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾ لجواب القسم، لأنّ أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف. [ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ شرطية و﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾ قد سدّ مسدّ جواب القسم وجواب الشرط معاً][٢]، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به. [وقرئ: لما آتيناكم][٣]، وقرئ: لِمَا آتيتكم، بكسر اللام ومعناه: لأجل إيتائي إيّاكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به، فتكون ﴿مَا﴾ على هذا مصدرية، والفعلان معها وهما ﴿ءَاتَيۡتُكُم﴾ و﴿جَآءَكُمۡ﴾ في معنى المصدرين، واللام داخلة للتعليل، أي: أخذ الله ميثاقكم لتؤمننّ بالرسول ولتنصرنه لأجل أنّي آتيتكم الحكمة، وأنّ الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف.

ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ موصولة، وإن عطف بقوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ على قوله: ﴿ءَاتَيۡتُكُم﴾، لأنّ ﴿مَا مَعَكُمۡ﴾ في معنى ﴿مَا ءَاتَيۡتُكُم﴾ فكأنّه قيل: للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له.

﴿قَالَ﴾ أي: قال الله للنبيين ﴿ءَأَقۡرَرۡتُمۡ﴾ به وصدّقتموه.

﴿وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِي﴾ أي: عهدي على أممكم، وسمّي العهد إصراً

---

(١) التبيان ج٢: ٥١٤.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ساقطة من ج.

لأنّه مما يؤصر أي: يشدّ ويعقد.

قال الأنبياء: ﴿أَقْرَرْنَا﴾ بما أمرتنا بالإقرار به.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَاشْهَدُوا﴾ بذلك على أممكم ﴿وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ((لم يبعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمّداً وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه، وأمره أن يأخذ العهد بذلك على أمّته))(١).

﴿فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق والتوكيد.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: المتمردون من الكفار.

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾

دخلت همزة الإنكار على فاء العطف التي عطفت جملة على جملة. والمعنى: فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت همزة الإنكار بينهما. ويجوز أن يكون عطفاً على محذوف، والتقدير: أيتولون فغير دين الله يبغون. وقرأ أبو عمرو: ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء، وإليه ترجعون بالتاء مضموماً،لأنّ الباغين هم المتولون، والراجعون جميع الناس. وقرئا بالياء معاً وبالتاء معاً.

وأنتّصب ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ على الحال أي: طائعين ومكرهين. وقيل:

(١) تفسير الطبري ج٣: ٢٣٦ باختصار.

طوعاً لأهل السماوات خاصة، وأما أهل الأرض فمنهم من أسلم طوعاً بالنظر في الأدلة، ومنهم من أسلم كرهاً بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل فوق بني إسرائيل أو عند رؤية البأس بالإشفاء على الموت(١) ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾(٢).

ثم أمر النبيﷺ بأن يخبر عن نفسه وعمّن معه بالإيمان، فلذلك وحّد الضمير في ﴿قُلْ﴾ وجمع في ﴿ءَامَنَّا﴾. ويجوز أن يؤمر بأن يتكلّم عن نفسه كما يتكلّم الملوك إجلالاً من الله لقدر نبيه.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ أي: موحّدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكاً في العبادة.

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

أي: ﴿وَمَن﴾ يطلب ﴿غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ وهو التوحيد وإسلام الوجه لله ﴿دِينًا﴾ يدين به ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ بل يعاقب عليه.

﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ من الذين وقعوا في الخسران مطلقاً من غير تقييد.

كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

---

(١) عن الحسن. معالم التنزيل ج ١: ١٧٠.

(٢) غافر: ٨٤.

﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾

﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ عطف على ما في ﴿إِيمَٰنِهِمۡ﴾ من معنى الفعل، لأنّ معناه بعد أن آمنوا وشهدوا، ويجوز أن يكون الواو للحال بإضمار (قد) أي: كفروا وقد شهدوا ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ﴾.

ومعنى الآية: كيف يهديهم الله إلى طريق الإيمان وقد تركوه؟! أي: لا طريق يهديهم به إلى الإيمان وقد تركوا الوجه الذي هداهم به ولا طريق غيره. وقيل: معناه: كيف يلطف بهم الله وليسوا من أهل اللطف لما علم سبحانه من تصميمهم على الكفر، ودلّ على تصميمهم بأنّهم كفروا بعد ما شهدوا أنّ الرسول حقّ، وبعد ما جاءتهم المعجزات التي تثبت بها النبوة، وهم اليهود كفروا بالنبي ﷺ بعد أن كانوا مؤمنين به[١]. وقيل: نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة[٢].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والارتداد ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١﴾

---

(١) عن الحسن. التبيان ج٢: ٥٢١.

(٢) عن الكلبي. الكشف والبيان ج٣: ١٠٩.

يعني: اليهود ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بعيسى ﴿بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ بكفرهم بمحمّد ﷺ، أو كفروا برسول الله بعد أن كانوا به مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم على ذلك، وعداوتهم له، ونقضهم عهده، وصدّهم عن الإيمان به.

﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ لأنّها لا تقع على وجه الإخلاص، ويدلّ عليه قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ أي: عن الحقّ والصواب. وقيل: لن تقبل توبتهم عند رؤية البأس(١)، والمعنى: إنّهم لا يتوبون إلا عند معاينة الموت.

﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾ أي: على كفرهم ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم﴾ فدية ولو افتدى بـ﴿مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا﴾، ويجوز أن يكون المراد: ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ﴾ بمثله، والمثل يحذف كثيراً في كلامهم قالوا: ضربته ضرب زيد، أي: مثل ضربه، وقضية ولا أبا حسن لها، أي: ولا مثل أبي حسن، كما أنّه يراد مثل في نحو قولهم: مثلك لا يفعل كذا أي: أنت لا تفعل.

لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾

أي: ﴿لَن﴾ تبلغوا حقيقة ﴿ٱلۡبِرَّ﴾، ولن تكونوا أبراراً، وقيل: لن تنالوا بر الله وهو الثواب(٢).

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: حتى تنفقوا من أموالكم التي تحبّونها كقوله: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا

---

(١) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج٣: ٢٤٣.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٣: ٢٤٦.

﴿الْخَبِيثَ... الآية﴾[١]. وقرأ عبد الله: حتى تنفقوا بعض ما تحبّون. وهو دلالة على أنّ (من) هنا للتبعيض نحو: أخذت من المال.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ﴾ (من) هنا للتبيين، أي: من أيّ شيء كان طيّب تحبّونه أو خبيث تكرهونه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥﴾

أي: ﴿كُلُّ﴾ أنواع ﴿ٱلطَّعَامِ﴾ أو كل المطعومات.

﴿كَانَ حِلًّا﴾ الحلّ مصدر حلّ الشيء حلاً كقولك: عزّ الشيء عزّاً، وذلّت الدابة ذلاً، ولذلك استوى المذكر والمؤنث والواحد والجمع في الوصف به، قال سبحانه: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمۡ﴾[٢].

والذي ﴿حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾ وهو يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ لحوم الإبل وألبانها، وقيل: العروق ولحم الإبل، كان به عرق النساء، فأشارت عليه الأطباء باجتنابه، ففعل ذلك بإذن من الله[٣] فكان كتحريم الله ابتداء.

والمعنى: إنّ المطاعم كلها لم تزل حلالاً لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة،

---

(١) البقرة: ٢٦٧.

(٢) الممتحنة: ١٠.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج٤: ٥.

وتحريم ما حرّم عليهم منها لظلمهم وبغيهم، لم يحرّم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الذي حرّمه إسرائيل على نفسه. وهذا رد على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم في قوله: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾[١]، وقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ... الآية﴾[٢]، فقالوا: لسنا بأوّل من حرّمت عليه، وقد كانت محرّمة على نوح وإبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل إلى أن انتهى التحريم إلينا.

فكذّبهم الله تعالى ثم قال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ حتى يتبيّن أنّه تحريم حادث بسبب ظلمكم وبغيكم، لا تحريم قديم كما زعمتم [فلم يجسروا على إخراج التوراة وبهتوا.

﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بزعمه][٣] أنّ ذلك كان محرّماً على الأنبياء، وعلى بني إسرائيل قبل إنزال التوراة ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ تعريض بكذبهم، أي: ثبت أنّ الله صادق فيما أنزله وأنتم الكاذبون.

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهي ملة الإسلام التي عليها محمّد ومن آمن معه، ثم برّأ سبحانه إبراهيم مما كان ينسبه اليهود والمشركون إليه من كونه على دينهم فقال: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

---

(١) الأنعام: ١٤٦.

(٢) النساء: ١٦٠.

(٣) ساقطة من ج.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ صفة لـ﴿بَيْتٍ﴾ والمعنى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ جعل متعبّداً ﴿لِلنَّاسِ﴾ للبيت الذي ﴿بِبَكَّةَ﴾ وهي الكعبة. وبكة: علم للبلد الحرام. ومكة وبكة لغتان فيه، وقيل: مكة: البلد، وبكة: موضع المسجد لأنّها مزدحم الناس للطواف[1].

﴿مُبَارَكًا﴾ كثير الخير والبركة لثبوت العبادة فيه دائماً، وانتصابه على الحال من الضمير في الظرف.

﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنّه قبلتهم ومتعبدهم. وقيل: دلالة لهم على الله عزّ اسمه بإهلاكه كل من قصده من الجبابرة كأصحاب الفيل وغيرهم.

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ يجوز أن يكون ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وحده عطف بيان لـ﴿ءَايَٰتٌۢ﴾ بمعنى: إنّها بمنزلة آيات كثيرة لقوة دلالته على قدرة الله من تأثير قدمه في حجر صلد وغوصه فيها إلى الكعبين. ويجوز أن يكون المراد فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم، وأمن من دخله، لأنّ الاثنين نوع من الجمع. ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى غيرهما دلالة على تكاثر الآيات أي: وآيات كثيرة سواهما كقول جرير:

---

(١) عن الباقر عليه السلام. تفسير العياشي ج١: ١٨٧. وعن عطية العوفي وغيره. تفسير الطبري ج٤: ٨.

كَانَتْ حَنِيفَةُ أَثْلاثاً فَثُلْثُهُمُ   مِنَ العَبِيدِ وَثُلْثٌ مِنْ مَوَالِيهَا[(١)]

وطوى الثلث الآخر.

وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب. وقيل: إنّه خبر معناه الأمر، فمن وجب عليه حدّ فلاذ بالحرم، لا يبايع ولا يعامل حتى يخرج، فيقام عليه الحد ولا يتعرّض له فيه، وهو المروي عن أئمتنا‌عليهم‌السلام[(٢)]، وروي أيضاً: إنّ من دخله عارفاً بما أوجبه الله عليه كان آمناً في الآخرة من النار[(٣)].

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ وقرئ بكسر الحاء.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فيه أنواع من التوكيد والتشديد في الحج، فإنّ قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ يدلّ على أنّه حقّ واجب في رقاب الناس لا يخرجون عن عهدته، ثم أبدل عنه ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ إيضاحاً بعد الإبهام وتفصيلاً بعد الإجمال، ثم قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مكان قوله: ومن لم يحج، تغليظاً على تارك الحج كما جاء في الحديث: ((من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر))[(٤)].

ثم قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ولم يقل (عنه)، ليكون بدلالته على الاستغناء الكامل أدلّ على عظم سخط الله الذي وقع الاستغناء عبارة عنه، وفي الأثر: (لو ترك الناس الحج عاماً واحداً ما نوظروا)[(٥)] أي: ما أمهلوا.

---

(١) ديوان جرير: ٤٩٨، وفيه: صارت....

(٢) ينظر: الوسائل ج٩: باب ١٤ من أبواب مقدمات الطواف.

(٣) عن يحيى بن جعدة. تفسير الطبري ج٤: ١٠.

(٤) معجم الطبراني الأوسط ج٣: ٣٤٣، الكافي ج٢: ٢٧٩ بالمعنى.

(٥) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٢: ٥٦ بالمعنى.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا
تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ
ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

الواو في قوله: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ للحال، والمعنى ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ بالآيات التي دلّتكم على صدق محمّد والحال أنّ الله يشاهد أعمالكم فيجازيكم عليها؟! فكيف تجسرون على الكفر بآياته؟!.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ التي أمر بسلوكها هو دين الإسلام، وكانوا يحتالون لصدّ المؤمنين عنه بجهدهم، ويغرون بين الأوس والخزرج يذكّرونهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية ليعودوا لمثلها.

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تطلبون لها اعوجاجاً وميلاً عن الاستقامة ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ بأنّها سبيل الله الذي ارتضاه وتجدون ذلك في كتابكم، أو أنتم شهداء بين أهل دينكم يثقون بأقوالكم وهم الأحبار.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

خاطب سبحانه الأوس والخزرج فقال: ﴿إِن تُطِيعُوا۟﴾ هؤلاء اليهود في إحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية ﴿يَرُدُّوكُم﴾ كفاراً ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

ثم عظّم الشأن عليهم بأن قال: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ أي: ومن أين يتطرّق

إليكم الكفر والحال أنّ آيات الله ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ على لسان رسوله وهو بين أظهركم يعظكم وينبّهكم، ومن يتمسّك بدين الله فقد حصل له الهدى لا محالة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أي: واجب تقواه وهو القيام بالواجبات واجتناب المحرّمات، وعن الصادقعليه السلام: ((هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر))[١]، ونحوه قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٢] أي: بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ أي: لا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت، كما تقول لمن تستعين به على القتال: لا تأتني إلا وأنت على فرس، فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي ذكرتها في وقت الإتيان.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: واجتمعوا على التمسّك بعهد الله على عباده وهو الإيمان والطاعة، أو بالقرآن، قال الصادقعليه السلام: ((نحن حبل الله))[٣].

﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ أي: لا تتفرقوا عن الحقّ بالاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى، وكانوا في الجاهلية متعادين قد تطاولت الحروب بين الأوس والخزرج

---

(١) تفسير العياشي ج١: ١٩٤.

(٢) التغابن: ١٦.

(٣) تفسير فرات: ٩١، الكشف والبيان ج٣: ١٦٣.

مائة وعشرين سنة إلى أن ألّف الله بين قلوبهم بالنبي ﷺ.

﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ متواصلين متحابين.

﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ﴾ على جرف حفرة من نار جهنم قد أشفيتم على أن تقعوا فيها لما كنتم عليه من الكفر ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾ بالإسلام.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ إرادة أن تزدادوا هدى.

وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾

قيل: إنّ (من) هنا للتبعيض، لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، ولا يصلح لذلك إلا من يعلم المعروف معروفاً والمنكر منكراً فيعلم كيف يباشر ذلك ويرتبه، فإنّ الجاهل ربّما نهى عن معروف أو أمر بمنكر. وقيل: إنّ (من) للتبيين بمعنى: وكونوا أمّة تأمرون بالمعروف كقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[1].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الأحقّاء بالفلاح دون غيرهم، وذكر سبحانه الدعاء إلى الخير أوّلاً، لأنّه عام في التكاليف من الأفعال والتروك، ثم ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثانياً، لأنّ ذلك خاص.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ﴾ وهم اليهود والنصارى.

---

(١) آل عمران: ١١٠.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ الموجبة للاتفاق والائتلاف والاجتماع على كلمة الحقّ.

﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾

﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ﴾ نصب بقوله: ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾. البياض من النور، والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحقّ وسم ببياض اللون، وأشرق وجهه، وابيضت صحيفته، وسعى نوره بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون، وكسف وجهه، واسودّت صحيفته، وأحاطت به الظلمة من كل جانب، نعوذ بالله وفضله من ظلمة الباطل وأهله.

﴿أَكَفَرۡتُم﴾ فيقال لهم: ﴿أَكَفَرۡتُم﴾ والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم، وقيل: هم أهل البدع والأهواء والآراء الباطلة[(١)]، وقيل: هم المرتدّون[(٢)]، وقيل: هم الخوارج[(٣)].

﴿فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: نعمته وهو الثواب الدائم.

وقوله: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [استئناف كأنّه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقيل: هم فيها خالدون][(٤)] لا يظعنون عنها ولا يموتون.

---

(١) عن أبي سعيد الخدري وغيره. الدر المنثور ج٢: ٦٣.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج٤: ٢٧.

(٣) عن أبي أمامة. تفسير الطبري ج٤: ٢٧.

(٤) ساقطة من ج.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ الواردة في الوعد والوعيد.

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ ملتبسة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ والعدل.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ فيأخذ أحداً بغير جرم، أو يزيد في عقاب مجرم، أو ينقص من ثواب محسن فيكون ظلماً.

وقال: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

بيّن سبحانه وجه استغنائه عن الظلم بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وإليه ترجع أمورهم، وقع المظهر موقع المضمر ليكون أفخم في الذكر.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ معناه: وجدتم خير أمة، لأنّ (كان) عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض، ولا دليل فيه على العدم السابق، ولا على الانقطاع الطارئ، وقيل: كنتم في علم الله خير أمة، أو كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنّكم خير أمّة موصوفين به[١].

﴿أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ﴾.

وقوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ كلام مستأنف بيّن به كونهم خير أمة، كما يقال: زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويحسن إليهم.

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بالنبيّ وبما جاء به ﴿لَكَانَ﴾ ذلك الإيمان

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٤٥٦.

﴿خَيۡرٗا لَّهُم﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود، والنجاشي وأصحابه من النصارى.

﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ المتمردون في الكفر.

لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾

هذا تثبيت لمن أسلم من اليهود ووعد لهم بأنّهم منصورون، فإنّهم كانوا يؤذونهم بالتوبيخ والتهديد وغير ذلك، فقال سبحانه: إنّهم ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ﴾ ضراراً مقصوراً على ﴿أَذٗى﴾ بقول من طعن في الدين، أو وعيد، أو نحو ذلك.

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ منهزمين.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: لا يعاونون ولا ينصرهم أحد. وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبيّنا محمّدﷺ لوقوع مخبره على وفق الخبر، فإنّ اليهود لم يثبتوا قط للمسلمين ولم يضرّوهم بقتل وأسر.

وإنّما لم يجزم قوله: ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ لأنّه عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء، فكأنّه قيل: ثم أخبركم أنّهم لا ينصرون.

وقوله: ﴿بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في موضع النصب على الحال على تقدير: إلا معتصمين بحبل الله وحبل الناس. والمعنى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ كما يضرب

البيت على أهله ﴿أَيْنَ مَا﴾ وجدوا وظفر بهم في عامة الأحوال، إلا في حال اعتصامهم بذمة الله وذمة المسلمين، أي: لا عزّ لهم قط إلا هذه الواحدة، وهي التجاؤهم إلى الذمة لقبولهم الجزية.

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استوجبوه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة واستيجاب غضب الله، أي: ذلك كائن بسبب كفرهم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وقتلهم ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم.

لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾

الضمير في ﴿لَيْسُواْ﴾ لأهل الكتاب.

﴿سَوَآءً﴾ أي: مستوين.

وقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ كلام مستأنف لبيان قوله: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾، كما أنّ قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ بيان لقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

وقوله: ﴿قَآئِمَةٌ﴾ معناه: مستقيمة عادلة، وهم الذين أسلموا منهم. وعبّر عن تهجدهم وصلاتهم بالليل بتلاوة آيات الله في ساعات الليل مع السجود، لأنّه بيان لفعلهم.

﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يبادرون إلى فعل الطاعات.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين صلحت أحوالهم عند الله.

وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

لما وصف سبحانه نفسه بالشكر في قوله: ﴿وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[1] بمعنى: توفية الثواب، نفى هنا نقيض ذلك بقوله: ﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُ﴾ وعدّاه إلى مفعولين، لأنّه ضمّنه معنى الحرمان، كأنّه قال: فلن يحرموه، أي: لن يحرموا جزاءه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: بأحوالهم فيجازيهم بجزيل الثواب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ
فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ
ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ
يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾

الصر: الريح الباردة، ومثله الصرصر.

شبّه سبحانه ما كانوا ينفقونه من أموالهم في المآثر وكسب الثناء بين الناس لا يبتغون بذلك وجه الله، بالزرع الذي أهلكه البرد فذهب حطاماً. وقيل: هو ما أنفقوه في عداوة الرسول فضاع عنهم إذ لم يبلغوا بإنفاقه مقاصدهم[2].

وشبّه بـ﴿حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم، لأنّ الإهلاك عن السخط أشدّ.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بأن لم يقبل نفقاتهم.

---

(١) التغابن: ١٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٤٦١.

﴿وَلَـٰكِنْ﴾ ظلموا ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ حيث لم يأتوا بها على الوجه الذي يستحقّ به الثواب.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

بطانة الرجل ووليجته: خاصّته وصفيّه الذي يستبطن أمره، مأخوذة من بطانة الثوب. ومثله قولهم: فلان شعار فلان، وعن النبي ﷺ: ((الأنصار شعار والناس دثار))[١].

﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون، ويجوز تعلّقه بـ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ أو بـ ﴿بِطَانَةً﴾ على الوصف أي: ﴿بِطَانَةً﴾ كائنة ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾.

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ من قولهم: ألا في الأمر يألو: إذا قصّر فيه، ثم استعمل متعدّياً إلى مفعولين في قولهم: لا آلوك نصحاً، والمعنى: لا أمنعك نصحاً. والخبال: الفساد.

﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ودّوا عنتكم، و(ما) مصدرية، والعنت: شدة الضرر والمشقة، أي: تمنّوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشدّ الضرر.

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ لأنّهم لا يضبطون أنفسهم وينفلت من

---

(١) صحيح مسلم ج٣: ١٠٩.

ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ﴾ الدالة على وجوب الإخلاص في موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما بيّن لكم فعملتم به.

والأحسن أن تكون هذه الجمل كلها مستأنفات على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة.

﴿ها﴾ للتنبيه و﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ و﴿أُوْلَآءِ﴾ خبره، أي: أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب. وقيل: ﴿أُوْلَآءِ﴾ موصول و﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ صلته، والواو في ﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾ للحال من قوله: ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾، والحال أنّكم تؤمنون بكتابهم وهم مع ذلك لا يحبّونكم، فما بالكم تحبّونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم!. وفيه توبيخ بأنّهم في باطلهم أصلب منكم في حقّكم.

ويوصف النادم والمغتاظ بعضّ الأنامل والبنان.

﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم بزيادة ما يغيظهم من عزّ الإسلام وأهله حتى يهلكوا به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بمضمرات الصدور، وهو يعلم ما في صدور المنافقين من البغضاء. ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ أمراً لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والإبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام وإذلالهم به فلا يكون هناك قول.

﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾

أي: إن تصبكم أيّها المؤمنون نصرة وغنيمة ونعمة من الله تعالى ﴿تَسُؤۡهُمۡ﴾ تحزنهم ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ أي: محنة بإصابة العدو منكم ﴿يَفۡرَحُواْ بِهَا﴾.

﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ على عداوتهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ ما نهيتم عنه من موالاتهم، أو ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ على مشاق الدين وتكاليفه ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الله في اجتناب محارمه، كنتم في كنف الله وحفظه فـ﴿لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾. وقرئ: لا يَضِرْكم من ضاره يضيره، ويَضُركم على أنّ ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد، وقرئ: لا يضرَّكم بفتح الراء.

علّم الله المسلمين أن يستعينوا على كيد العدو بالصبر والتقوى.

﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢﴾

واذكر ﴿إِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ بالمدينة إلى أُحد.

خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعد الجمعة، وأصبح بالشعب من أُحد يوم السبت للنصف من شوال، وصفّ أصحابه للقتال وأمّر عبد الله بن جبير[١] على الرماة وقال لهم: ((انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا)).

---

(١) عبد الله بن جبير بن النعمان الانصاري، شهد العقبة وبدراً واستشهد بأُحد وكان أمير الرماة يومئذ. الإصابة ج٢: ٢٨٦.

﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تنزلهم وتهيئ لهم.

﴿مَقَٰعِدَ﴾ أي: مواطن ومواقف ﴿لِلْقِتَالِ﴾. وقد استعمل المقعد والمقام في معنى المكان، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[١]، وقوله: ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾[٢] أي: من مجلسك وموضع حكمك.

﴿إِذْ هَمَّت﴾ بدل من ﴿إِذْغَدَوْتَ﴾ أو تعلّق بقوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿طَّآئِفَتَانِ﴾ أي: حيّان من الأنصار: بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان.

خرج رسول الله ﷺ في ألف، والمشركون في ثلاثة آلاف، ووعدهم الفتح إن صبروا، فانخزل[٣] عبد الله بن أُبيّ بثلث الناس، وقال: يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟! فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري[٤] فقال: أنشدكم الله في نبيّكم وأنفسكم، فقال عبد الله: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، فهمّ الحيّان باتباع عبد الله، فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﷺ[٥].

والظاهر أنّها كانت همّة وحديث نفس، ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية، والله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: ناصرهما ومتولي أمرهما. والفشل: الجبن والخور.

---

(١) القمر: ٥٥.

(٢) النمل: ٣٩.

(٣) انخزل: انقطع. (الصحاح: مادة خزل)

(٤) عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري الخزرجي النجاري، يكنى أبا الضحاك وأول مشاهده الخندق واستعمله النبي ﷺ على أهل نجران، توفي بعد سنة ٥٠ هـ. ينظر: أسد الغابة ج٤: ٩٩، معجم رجال الحديث ج١٣: ٩٦.

(٥) تاريخ الطبري ج٣: ١٢، وفيه: عبد الله بن حرام بدل عمرو بن حزم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أمرهم سبحانه بأن لا يتوكلوا إلا عليه، ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه.

وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾
إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ
مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن
فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ
إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ﴾ بما أمدّكم به من الملائكة، وبتقوية قلوبكم، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائكم.

﴿وَأَنتُمۡ﴾ في حال قلة وذلة. والأذلة: جمع القلة للذليل، والذلال: جمع الكثرة. وإنّما جيء بلفظ القلة ليدلّ على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً، وذلتهم: ضعف حالهم وقلة سلاحهم ومالهم. وذلك أنّهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرسان: فرس للمقداد بن عمرو[١] وفرس لمرثد بن أبي مرثد[٢]، وقلّتهم أنّهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً: سبعة وسبعون من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار، وكان صاحب راية رسول الله ﷺ والمهاجرين علي بن أبي طالب عليه السلام وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة[٣]، وكان

(١) المقداد بن عمرو الكندي، أسلم قديماً، هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها، توفي سنة ٣٣ هـ. ينظر: الإصابة ج٣: ٤٥٤، معجم رجال الحديث ج١٨: ٣٥٩.

(٢) مرثد بن أبي مرثد الغنوي، شهد بدراً وأُحداً، قتل يوم الرجيع شهيداً. ينظر: الاستيعاب ج٣:٤٢٩.

(٣) سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري سيّد الخزرج، كان أحد النقباء في بيعة العقبة، تخلف عن بيعة أبي بكر وقصته مشهورة، مات بحوران. ينظر: الاستيعاب ج٢: ٣٥، معجم رجال الحديث ج٨: ٧٣.

معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية أسياف ومن الإبل سبعون بعيراً، وكان عدد المشركين نحواً من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس(١).

وبدر: اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمّى بدراً فسمّي به.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الثبات مع رسوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما أنعم به عليكم من نصرته.

﴿إِذْ تَقُولُ﴾ ظرف لـ﴿نَصَرَكُمُ﴾ على أن يكون قال لهم ذلك يوم بدر، والخطاب للنبي ﷺ؛ أو بدل ثان من ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾ على أن يكون قال لهم ذلك يوم أُحد، مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم، فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا، حيث خالفوا أمر رسول الله ﷺ فلم تنزل الملائكة.

ومعنى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ إنكار أن لا يكفيهم الإمداد ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾.

و﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما بعد ﴿لَن﴾ يعني: بل يكفيكم الإمداد بهم، ثم قال: إن تصبروا وتتقوا ﴿يُمْدِدْكُمْ﴾ بأكثر من ذلك العدد ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ للقتال.

﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ يعني: المشركين، من قولك: قفل فلان من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى، ومنه قولنا في أصول الفقه: الأمر على الفور دون التراخي. وهو مصدر من فارت القدر: إذا غلت، فاستعير للسرعة. والمعنى: إن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾ بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم، يريد إنّ الله يعجل نصرتكم إن صبرت، وقرئ: منزلين ومنزّلين مخففاً ومشدداً، ومسوَّمين ومسوِّمين بمعنى: معلَّمين ومعلمين أنفسهم

---

(١) ينظر: مغازي الواقدي ج١: ٢٣ وما بعدها.

أو خيلهم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ الهاء لـ﴿أَن يُمِدَّكُمْ﴾ أي: وما جعل الله إمدادكم بالملائكة ﴿إِلَّا﴾ بشارة ﴿لَكُمْ﴾ بأنّكم تنصرون.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ به ﴿قُلُوبُكُم﴾ كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم.

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ﴾ بإمداد الملائكة ﴿إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب في حكمه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ الذي يعطي النصر ويمنعه بحسب ما يراه من المصلحة.

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

المعنى: ليهلك طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالقتل والأسر، وهو ما كان يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون، وأكثرهم رؤساء قريش وصناديدهم.

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أو يخزيهم بالخيبة مما أمّلوا من الظفر بكم، ويغيظهم بالهزيمة ﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ غير ظافرين، ونحوه: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾[1]. ويقال: كبته، بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة. واللام متعلّقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ﴾ أو بقوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ﴾.

وقوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على ما قبله، و﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ اعتراض. والمعنى: إنّ الله مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم أو يهزمهم، أو يتوب عليهم

---

(١) الأحزاب: ٢٥.

إن أسلموا ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ إن أصرّوا على الكفر، وليس لك من أمرهم شيء وإنّما أنت نبيّ مبعوث لإنذارهم.

وقيل: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ نصب بإضمار (أن) و(أن يتوب) في حكم اسم معطوف بـ(أو) على الأمر أو على (شيء). أي: ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم. [أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم][1]. وقيل: ﴿أَوْ﴾ بمعنى (إلا أن) على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم، فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ إنّما أبهم الأمر في التعذيب والمغفرة ليقف المكلف بين الخوف والرجاء، فلا يأمن من عذاب الله ولا ييأس من روح الله ورحمته.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢

هذا نهي عن أكل ﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ مع توبيخ لهم بما كانوا عليه من تضعيفه، كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محلّه زاد في الأجل، فربما يستغرق بالشيء اليسير مال المديون.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ﴾ أي: هيئت واتخذت ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ﴾. والوجه في تخصيص الكافرين بإعداد النار لهم أنّهم معظم أهل النار، كان أبو حنيفة يقول: (هي أخوف آية في القرآن، أوعد الله المؤمنين بالنار المعدّة للكافرين إن لم يتقوه

---

(١) ساقطة من ج.

في اجتناب محارمه)[١]. وقد أمدّ ذلك بما أتبعه من تعليق الرجاء منهم لرحمته بأن يتوفروا على طاعته وطاعة رسوله.

وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

قرأ أهل المدينة والشام: سارعوا ـ بغير واو ـ.

ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنّة: الإقبال على ما يستحقّ به الثواب من فعل الطاعات وأداء الفرائض.

و﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: عرضها كعرض السماوات والأرض، والمراد وصفها بالسعة فشبّهت بأوسع ما علمه الناس من خلق الله، وخصّ العرض لأنّه في العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾[٢].

وفي قوله: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ دلالة على أنّ الجنّة مخلوقة اليوم، لأنّها لا تكون معدّة إلا وهي مخلوقة.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ صفة للمتقين، ومعناه: إنّهم ينفقون في حال الرخاء واليسر، وفي حال الضيق والعسر ما قدروا عليه من قليل أو كثير، لا يمنعهم حال نعمة ولا حال محنة من المعروف.

وكظم الغيظ: أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهره، من كظم القربة: إذا ملأها وشدّ فاها، وكظم البعير: إذا لم يجتر، وفي الحديث: ((من كظم

(١) الكشاف ج١: ٤١٤.

(٢) الرحمن: ٥٤.

غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً))[١].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ إشارة إلى الفريقين. ويجوز أن يكون ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿أُولَٰئِكَ﴾.

﴿فَاحِشَةً﴾ فعلة متزايدة القبح ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بمقارفة الذنب.

﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: ذكروا نهي الله ووعيده أو عقابه فانزجروا عن المعصية.

﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بأن قالوا: اللهم اغفر لنا ذنوبنا.

﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وصف لذاته بسعة الرحمة. وهي جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه، منبّهة على لطيف فضله وجليل عفوه وكرمه، باعثة على التوبة وطلب المغفرة.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ أي: على أفعالهم القبيحة، وفي الحديث: ((ما أصرّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة))[٢].

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال من فعل الإصرار. والمعنى: وليسوا ممن يصرّون على الذنوب وهم عالمون بالنهي عنها والوعيد عليها. وفي هذا بيان أنّ المؤمنين

---

(١) سنن أبي داود ج٤: ٢٤٩ ح ٤٧٧٨، وينظر: من لا يحضره الفقيه ج٤: ٢٥٤.

(٢) سنن أبي داود ج٢: ٨٦ ح ١٥١٤، الكافي ج٢: ٢٨٨ بالمعنى.

ثلاث طبقات: (متّقون، وتائبون، ومصرّون)، وأنّ للمتقين والتائبين منهم الجنّة والمغفرة.

﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ المخصوص بالمدح محذوف، تقديره: ونعم أجر العاملين ذلك، أي: المغفرة والجنات.

قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

﴿قَدۡ﴾ مضت ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾ يريد ما سنّه الله تعالى في الأمم الخالية المكذّبة رسلها من الاستئصال بالعذاب، وتبقية الآثار في الديار للاتعاظ والانزجار والاعتبار.

﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فتعرفوا أخبار المكذّبين، وانظروا إلى ما نزل بهم لتنتهوا عن مثل ما فعلوه.

﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ أي: إيضاح لسوء ﴿عَٰقِبَةُ﴾ من كذّب، وحثّ على النظر في آثار هلاكهم.

﴿وَهُدٗى﴾ زيادة تثبيت ﴿وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ للذين اتقوا من المؤمنين.

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ تسلية من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أُحد. والمعنى: ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم، ولا تبالوا بذلك، ولا تحزنوا على من قتل منكم.

﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ أي: وحالكم أنّكم أعلى منهم وأغلب، لأنّكم أصبتم

منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أُحد. أو يكون هذا بشارة لهم بالعلو والغلبة في العاقبة كقوله: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: ولا تهنوا إن صحّ إيمانكم، لأنّ صحة الإيمان توجب الثقة بالله وقلة المبالاة بأعداء الله، ويجوز أن يريد: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم﴾ مصدّقين بما يعدكم الله من الغلبة.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

قرئ: ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القاف وضمها وهما لغتان، وقيل: هي - بالفتح -: الجراحات، وبالضم: ألمها.

يعني: إن تصبكم جراحة وألم يوم أُحد فلقد أصاب القوم ذلك يوم بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبّطهم عن معاودتكم بالقتال، وقيل: معناه: إن نالوا منكم يوم أُحد فقد نلتم منهم في هذا اليوم قبل أن تخالفوا أمر رسول الله ﷺ[٢].

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلْأَيَّامُ﴾ صفته، و﴿نُدَاوِلُهَا﴾ خبره، ويجوز أن يكون ﴿تِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ مبتدأ وخبراً. والمراد بالأيّام: أوقات الظفر والغلبة.

﴿نُدَاوِلُهَا﴾ أي: نصرّفها ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء،

---

(١) الصافات: ١٧٣.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٤: ٦٨.

كما قيل في المثل: (الحرب سجال)[١].

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يجوز أن يكون المعلل محذوفاً، والمعنى: وليتميز الثابتون منكم على الإيمان من غيرهم فعلنا ذلك، وهو من باب التمثيل، أي: فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم ومن غير الثابت، وإلا فإنّه سبحانه لم يزل عالماً بما يكون قبل كونه. وقيل: معناه: وليعلمهم علماً يتعلّق به الجزاء، وهو أن يعلمهم موجوداً منهم الثبات.

ويجوز أن تكون العلة محذوفة، وهذا عطف عليه بمعنى: وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله، وإنّما حذف ليؤذن بأنّ المصلحة فيما فعل ليست بواحدة.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ﴾ أي: وليكرم ناساً منكم بالشهادة، يريد بذلك شهداء أُحد، أو يتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة من قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٢].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ اعتراض بين بعض التعليل وبعض، أي: والله لا يحبّ من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب. والتمحيص: التطهير.

﴿وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: يهلكهم، يعني: [إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والتمحيص وغير ذلك مما هو صلاح لهم][٣]، وإن كانت الدولة على الكافرين فلمحقهم أي: إهلاكهم ومحو آثارهم.

---

(١) مجمع الأمثال ج١: ٣٨٠.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) ساقطة من ج.

أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

﴿أَمۡ﴾ منقطعة، والتقدير: بل أحسبتم ومعنى الهمزة فيها الإنكار ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾ بمعنى: ولما تجاهدوا، لأنّ العلم يتعلّق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلّقه لأنّه ينتفي بانتفائه، تقول: (ما علم الله في فلان خيراً)، تريد ما فيه خير حتى يعلمه.

و﴿لَمَّا﴾ بمعنى: (لم) إلا أنّ فيه ضرباً من التوقّع، فدلّ على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقّعه فيما يستقبل.

﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ منصوب بإضمار (أن) والواو بمعنى الجمع كقولك: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن). والمعنى: أظننتم أنّكم تدخلون الجنّة ولما يقع العلم بجهاد المجاهدين منكم والعلم بصبر الصابرين.

﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ خطاب للذين لم يشهدوا بدراً، وكانوا يتمنّون أن يشهدوا غزاة مع رسول الله ليفوزوا بالشهادة، وهم الذين ألحّوا على رسول الله في الخروج إلى المشركين وكان رأيهﷺ في الإقامة بالمدينة. أي: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ قبل أن تعرفوا شدّته وتشاهدوه.

﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ مشاهدين له حين قتل منكم من قتل وشارفتم أن تقتلوا، ويجوز تمنّي الشهادة، لأنّ المراد منه نيل كرامة الشهداء لا غير.

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ

ﭐللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥

رمى عبد الله بن قمئة عليه اللعنة يوم أُحد رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته وشجّ وجهه وأقبل يريد قتله، فذبّ عنه مصعب بن عمير[١] وهو صاحب الراية، فقتله ابن قمئة وهو يرى أنّه رسول الله ﷺ فقال: قد قتلت محمّداً، وفشا في القوم: أنّ محمّداً قد قُتل فانهزموا، وجعل رسول الله يقول: ((إليّ عباد الله))، حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على الفرار، فقالوا: يا رسول الله أتانا الخبر بأنّك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين، فنزلت[٢].

وروي أنّه قال بعضهم: ليت عبد الله بن أُبيّ يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وقال أنس بن النضر[٣] ـ عم أنس بن مالك[٤] ـ: إن كان محمّد قُتل فإنّ ربّ محمّد حيّ لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟! فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللهم إنّي أعتذر إليك مما يقول هؤلاء

---

(١) مصعب بن عمير بن هاشم العبدري، أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة، شهد بدراً ثم شهد أُحداً فاستشهد. ينظر: الإصابة ج١: ٤٢١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ج٣: ١٧٥.

(٣) أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي، غاب عن قتال بدر، وقتل يوم أُحد شهيداً. ينظر: الإصابة ج١: ٧٤.

(٤) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري خادم النبي، أمه أم سليم الأنصارية،كان مقدم النبي المدينة ابن عشر سنين، توفي سنة ٩٣ هـ على قول. ينظر: الاستيعاب ج١: ٧١، معجم رجال الحديث ج٣:٢٥٩.

ـ يعني المسلمين ـ [وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المنافقين ـ][1] ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل[2].

والمعنى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ بعثوا فأدوا الرسالة وماتوا وقتل بعضهم، وأنّه سيمضي كما مضوا، وأتباع كل رسول بقوا متمسّكين بدينه بعد مضيّه.

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ محمّد ﴿أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾. المعنى: أفإن أماته الله أو قتله الكفار ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم؟ فالفاء لتعليق الجملة الشرطية بالجملة قبلها، والهمزة للإنكار.

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ ومن يرتدد عن دينه.

﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ ولم يضر إلا نفسه.

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ الذين لم ينقلبوا [كأنس بن النضر وأضرابه، وسمّاهم شاكرين][3] لأنّهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يعني: إنّ موت النفوس محال أن يكون إلا بمشية الله، فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الله له فيه تمثيلاً. وفيه تحريض على الجهاد، وإخبار بأنّه لا يقدّم أجلاً لم يحضر، وتركه لا يؤخر أجلاً قد حضر.

﴿كِتَـٰبًا﴾ مصدر مؤكد، لأنّ المعنى: كتب الموت كتاباً.

﴿مُّؤَجَّلًا﴾ موقتاً له أجل معلوم لا يتقدّم ولا يتأخر.

---

(١) ساقطة من أ، ب، ج.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج٤: ٧٣.

(٣) ساقطة من أ، ب، ج.

﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ بجهاده ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعني: الغنيمة.

﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ من ثوابها ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ من ثوابها.

﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد.

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

قرئ: قتل وقاتل والفاعل ﴿رِبِّيُّونَ﴾ أو الضمير المستكن فيه العائد إلى ﴿نَّبِيّٖ﴾، و﴿مَعَهُۥ [رِبِّيُّونَ﴾ حال منه، بمعنى: قتل كائناً معه ربّيون، والربّيون: الربّانيون.

﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ عند قتل النبي][1] ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ عن الجهاد بعده ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾ للعدو. هذا تعريض بالوهن الذي أصابهم عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ وبضعفهم عند ذلك واستكانتهم للمشركين حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أُبيّ في طلب الأمان من أبي سفيان.

﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ﴾ هذا القول، وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربّانيين كسراً لنفوسهم واستقصاراً لها، والدعاء بالاستغفار منها قبل طلبهم بتثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو، ليكون طلبهم أقرب إلى الإجابة.

---

(١) ساقطة من أ.

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ من النصرة والغنيمة والعزّة، وخصّ ﴿ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ بالحسن دلالة على فضيلته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((نزلت في قول المنافقين للمسلمين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم))(١).

والمعنى: ﴿إِنْ تُطِيعُوا﴾ الكافرين وأصغيتم إلى قولهم: لو كان محمّد نبياً لما غلب، أو استأمنتم أبا سفيان وأصحابه فاستكنتم لهم.

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: يرجعوكم كفاراً في دينهم كما كنتم فترجعوا ﴿خَاسِرِينَ﴾ قد تبدّلتم الكفر بالإيمان والنار بالجنّة.

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: ناصركم وهو أولى بأن تطيعوه، ولا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ

---

(١) الكشف والبيان ج٣: ١٨٣.

﴿صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥٢﴾

قذف الله ﴿فِي قُلُوبِ﴾ المشركين الخوف يوم أُحد، فانهزموا إلى مكة بعد أن كان لهم القوة والغلبة، ولما كانوا ببعض الطريق تلاوموا وقالوا: [بئس ما فعلنا][(١)] لا محمّداً قتلنا ولا الكواعب أردفنا، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم. فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ فأمسكوا.

﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ﴾ أي: بسبب إشراكهم، والمعنى: كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشراكهم ﴿بِٱللَّهِ﴾ آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجّة، وما عنى الله سبحانه أنّ هناك حجّة لم تنزل عليهم، وإنّما أراد نفي الحجّة ونزولها جميعاً، كقول الشاعر:

وَلَا تَــرَى الضَّـــبَّ بِهَـــا يَنْجَحِـــرُ[(٢)]

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ هو أنه سبحانه وعدهم النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله: ﴿بَلَىٰٓ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾[(٣)]، وقد وفى لهم بما وعدهم، وذلك أنّ رسول الله أقام الرماة عند الجبل ـ جبل أُحد ـ حين جعل الجبل خلف ظهره واستقبل المدينة، وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم، فلما أقبل المشركون

---

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) شعر عمرو بن أحمر الباهلي: ٦٧، وصدره: لاتفزع الأرنب أهوالها.

(٣) آل عمران: ١٢٥.

جعل الرماة يرشقون خيلهم، وغيرهم يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: تقتلونهم قتلاً ذريعاً.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ والفشل: الجبن وضعف الرأي.

﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ وذلك قولهم: قد انهزم المشركون فما وقوفنا هنا؟ وقال بعضهم: لا نخالف أمر رسول الله، فثبت مكانه عبد الله بن جبير ـ وهو أمير الرماة ـ في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ ونفر الباقون ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا، فكرّ المشركون على الرماة وقتلوا [عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا][1] من قتلوا، وهو قوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي: ليمتحن صبركم وثباتكم على الشدائد.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ بعد أن خالفتم أمر الرسول ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يتفضّل عليهم بالعفو.

ومتعلّق قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ محذوف تقديره: حتى إذا فشلتم منعكم نصره.

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ

---

(١) ساقطة من أ.

يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ
ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٍۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا
يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل
لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ
وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

الإصعاد: الذهاب في الأرض والإبعاد فيه، تقول: صعد في الجبل وأصعد في الأرض، والمعنى: ولقد عفا عنكم وقت إصعادكم أي: ذهابكم في وادي أُحد للانهزام.

﴿وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ﴾ أي: لا تلتفتون إلى من خلفكم في الحرب، لا يقف أحد منكم على أحد.

﴿وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ﴾ يقول: ((إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكرّ فله الجنّة))[(١)].

﴿فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾ أي: في ساقتكم وجماعتكم الأخرى أي: المتأخرة، تقول: جئت في آخر الناس وأُخراهم، كما تقول: في أوّلهم وأُولاهم بتأويل مقدّمتهم وجماعتهم الأُولى.

﴿فَأَثَٰبَكُمۡ﴾ عطف على ﴿صَرَفَكُمۡ﴾ أي: فجازاكم الله ﴿غَمَّۢا﴾ حين صرفكم عنه وابتلاكم بسبب غم أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم إيّاه، أو ﴿غَمَّۢا﴾ متصلاً ﴿بِغَمّٖ﴾ بما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ، وبالجرح،

(١) الكشف والبيان ج٣: ١٨٦.

والقتل، وظفر المشركين، وفوت الغنيمة.

﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا﴾ تحزنوا أيضاً على ﴿مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من الشدائد في سبيل الله.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بأعمالكم.

ثم ذكر سبحانه ما أنعم عليهم بعد ذلك فقال: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ هم أهل الصدق واليقين، وذلك أنّه تعالى أنزل الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم، وروي عن أبي طلحة[١] أنّه قال: (غشينا النعاس ونحن في مصافنا، فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه، وما أحد إلا ويميل تحت جحفته)[٢].

وقوله تعالى: ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل من ﴿أَمَنَةً﴾، ويجوز أن يكون هو المفعول و ﴿أَمَنَةً﴾ حال منه مقدّمة عليه كما تقول: رأيت راكباً رجلاً. وقرئ: ﴿يَغْشَىٰ﴾ بالياء والتاء رداً على النعاس أو الأمنة.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ وهم المنافقون مالهم إلا همّ أنفسهم لا همّ الدين ولا همّ رسول الله والمسلمين.

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ﴾ الظن ﴿ٱلْحَقِّ﴾ الذي يجب أن يظن به، فقوله: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ في حكم المصدر و ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدل منه. ويجوز أن يكون المعنى: يظنون بالله ظن الجاهلية، و ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ تأكيد لـ ﴿يَظُنُّونَ﴾ كما تقول: هذا القول غير

---

(١) أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري النجاري الخزرجي، شهد العقبة ثم شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، اختلف في وقت وفاته فقيل سنة ٣١ هـ وقيل غير ذلك. ينظر: الاستيعاب ج٤: ١١٣، معجم رجال الحديث ج٧: ٣٤٣.

(٢) الكشف والبيان ج٣: ١٨٧.

ما تقول.

﴿يَقُولُونَ﴾ لرسول الله يسألونه ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ معناه: هل لنا من أمر الله نصيب قط؟ يعنون: النصر والظفر.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ ولأوليائه المؤمنين وهو النصرة والغلبة.

﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ معناه: يخفون الشك والنفاق وما لا يستطيعون إظهاره لك.

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: من الظفر الذي وعدنا به ﴿شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا﴾ أي: ما قتل أصحابنا ﴿هَٰهُنَا﴾ في هذه المعركة.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ أي: من علم الله منه أنّه يقتل ويصرع في هذا المصرع، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ لم يكن بدّ من وجوده، فلو قعدتم في بيوتكم ﴿لَبَرَزَ﴾ من بينكم ﴿ٱلَّذِينَ﴾ علم الله أنّهم يقتلون ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ وهي مصارعهم ليكون ما علم الله أنّه يكون.

﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ من الإخلاص ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ من وساوس الشيطان فعل ذلك، أو فعل ذلك لمصالح كثيرة وللابتلاء والتمحيص. [واللام في ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ﴾ متعلّقة بـ(فعل ذلك) دلّ عليه الكلام تقديره: وليبتلي الله ما في صدوركم فرض عليكم القتال ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ عطف على ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ﴾][(١)].

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ

---

(١) ساقطة من أ، ب، ج.

حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾

﴿ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: طلب زلّتهم ودعاهم إلى الزلل ﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ من ذنوبهم، والمعنى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ انهزموا ﴿يَوۡمَ﴾ أُحد كان السبب في انهزامهم أنّهم كانوا أطاعوا ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فاقترفوا ذنوباً، فلذلك منعتهم التأييد والتوفيق في تقوية القلوب حتى تولوا، وقال الحسن: (استزلهم بقبول ما زيّن لهم من الهزيمة)[1].

وقوله: ﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ مثل قوله: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[2].

وذكر البلخي[3]: (إنّه لم يبق يوم أُحد مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر نفساً: خمسة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، وقد اختلف في الخمسة إلا في علي عليه السلام وطلحة)[4]. قال الصادق عليه السلام: ((نظر رسول الله ﷺ إلى جبرئيل بين السماء والأرض على كرسي من ذهب وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ))[5]. ويروى: أنّ علياً عليه السلام كان يقاتلهم ذلك اليوم حتى أصابه في وجهه ورأسه ويديه وبطنه ورجليه

(١) معالم التنزيل ج١: ١٩٣.

(٢) المائدة: ١٥.

(٣) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعتزلي، صاحب التصانيف في علم الكلام، من متكلمي المعتزلة البغداديين، أقام ببغداد مدة طويلة ثم عاد إلى بلخ وتوفي بها سنة ٣١٩ هـ. ينظر: طبقات المفسرين ج١: ٢٢٢.

(٤) التبيان ج٣: ٢٥.

(٥) الكافي ج٨: ٩٥.

سبعون جراحة، فقال جبرئيل: إنّ هذه لهي المواساة يا محمّد، فقال رسول الله ﷺ: ((وما يمنعه من هذا فإنّه مني وأنا منه))، قال جبرئيل: وأنا منكما[١].

﴿وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ أي: لأجل إخوانهم.

﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها ﴿أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى﴾ جمع غازٍ. وقوله: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ﴾ حكاية حال ماضية، ومعناه: حين يضربون في الأرض.

وقوله: ﴿لِيَجۡعَلَ﴾ متعلّق بـ﴿قَالُواْ﴾ أي: قالوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ واعتقدوه ليكون ﴿حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾، وتكون اللام للعاقبة كما في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾[٢]. ويجوز أن يكون المعنى: لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده، ليجعله الله ﴿حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ خاصة ويصون منها قلوبكم. وإنّما أسند الفعل إلى الله تعالى، لأنّه سبحانه عند ذلك الاعتقاد الفاسد يضع الحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم، وهو كقوله: ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾[٣].

﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ﴾ ردّ لقولهم، أي: الأمر بيده فقد يحيي المسافر والغازي، ويميت القاعد والمقيم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فلا تكونوا مثلهم.

وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ
مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾
فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ
مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ

(١) تفسير القمي ج١: ١١٦ باختلاف.

(٢) القصص: ٨.

(٣) الأنعام: ١٢٥.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ جواب لقسم وقد سدّ مسدّ جواب الشرط، وكذا قوله: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾.

كذّب سبحانه فيما قال الكفار في زعمهم أن من ضرب في الأرض أو غزا لو كان عندهم في المصر لم يمت، ونهى المسلمين عن ذلك الاعتقاد لأنّه سبب التخلف عن الجهاد، ثم قال: ولو كان الأمر كما تزعمون، وتمّ عليكم ما تخافون من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله، فإنّ ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله ﴿خَيْرٌ مِّمَّا﴾ تجمعونه من منافع الدنيا لو لم تموتوا، أو مما يجمعه الكفار فيمن قرأ بالياء، ثم قال: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ الرحيم ﴿تُحْشَرُونَ﴾. وقرئ: ﴿مُتُّمْ﴾ بضم الميم وكسرها من مات يموت، ومات يمات.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: (ما) مزيدة للتوكيد والدلالة على أنّ لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أي: جافياً سيئ الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ قاسيه.

﴿لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرّقوا عنك، لا يبقى حولك أحد منهم.

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ ما بينك وبينهم.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما بينهم وبيني إتماماً للشفقة عليهم.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ يعني: [في][1] أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك

---

(١) ساقطة من أ، ب، ج.

وحي فيه، لتطيب نفوسهم أو لتستظهر برأيهم، قال الحسن: (أراد أن يستنّ به من بعده فقد علم الله أنّه لم يكن يحتاج إليهم)[١]. وفي الحديث: ((ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم))[٢].

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح، فإنّ ذلك لا يعلمه إلا الله. وروي عن جعفر الصادق عليه السلام: فإذا عزمتُ ـ بالضم ـ بمعنى: فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه، فتوكل عليّ ولا تشاور بعد ذلك أحداً.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم.

﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ ويمنعكم معونته، ويخلّ بينكم وبين أعدائكم بمعصيتكم إيّاه ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد خذلانه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا تنبيه على وجوب التوكل على الله سبحانه.

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾

غلّ شيئاً من المغنم غلولاً وأغلّ: [إذا أخذه في خفية، وفي الحديث: ((لا

---

(١) شعب الايمان ج٦: ٧٥ بالمعنى، وينظر: تحف العقول: ٢٣٣.

(٢) الكشاف ج١: ٤٣٢

إغلال ولا إسلال))[١]، ويقال: أغلّه أي][٢]: وجده غالاً. والمعنى: ﴿مَا﴾ صح ﴿لِنَبِيٍّ [أَن يَغُلَّ﴾ فإنّ النبوة تنافي الغلول، ومن قرأ: يُغَل فالمعنى: ماصح لنبي][٣] أن يوجد غالاً، ولا يوجد غالاً إلا إذا كان غالاً.

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يأتي بالشيء الذي غلّه بعينه يحمله، كما جاء في الحديث: ((جاء يوم القيامة يحمله على عنقه))[٤]، ويجوز أن يراد: يأتي بما يحتمل من إثمه وتبعته.

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ جيء بالعام ليدخل تحته كل كاسب من غال وغيره.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: يعدل بينهم في الجزاء، وكل جزاؤه على قدر كسبه.

ثم بيّن سبحانه أنّ من اتبع رضاء الله في ترك الغلول ليس ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في فعل الغلول، ثم قال: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: ذوو درجات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾، والمراد: تفاوت مراتب أهل الثواب، ومراتب أهل العقاب، أو تفاوت ما بين الثواب والعقاب.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها.

لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

---

(١) سنن الدارمي ج٢: ٢٣١، المجازات النبوية: ١٣٦.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) سنن الدارمي ج١: ٣٩٤.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾

منّ الله على من آمن مع رسول الله من قومه، وخصّ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ منهم لأنّهم هم المنتفعون بمبعثه.

﴿إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: من جنسهم عربياً مثلهم، وقيل: من ولد إسماعيل كما أنّهم كانوا من ولده.

ووجه المنة عليهم في ذلك أنّه إذا كان منهم كان اللسان واحداً فيسهل عليهم أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه، وفي كونه من أنفسهم شرف لهم كقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[١]. وروي: أنّ قراءة فاطمة عليها السلام من أَنْفَسِهِم، ومعناه: من أشرفهم.

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ بعد أن كانوا أهل جاهلية لم يسمعوا شيئاً من الوحي.

﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ أي: ويطهّرهم من الدنس وأوضار[٢] الكفر.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ القرآن والسنة بعد ما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ﴾ بعثة الرسول ﴿لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾. (إن) هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، وتقديره: وإنّ الشأن والحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين، أي: ظاهر.

---

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) الوَضَر: الدرن. (الصحاح مادة: وضر).

و﴿لَمَّا﴾ نصب بـ﴿قُلْتُمْ﴾، و﴿أَصَـٰبَتْكُم﴾ في محلّ الجر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليه، وتقديره: أقلتم حين أصابتكم مصيبة يوم أُحد من قتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين: ﴿أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾ أي: من أين أصابنا هذا وفينا رسول الله ﷺ ونحن مسلمون وهم مشركون؟!. و﴿أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾ في موضع نصب لأنّه مقول، والهمزة للتقرير والتقريع.

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة، أو لتخليتكم المركز، وعن علي عليه السلام: ((لأخذكم الفداء من أُسارى بدر قبل أن يؤذن لكم))(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو قادر على أن ينصركم فيما بعد.

وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ﴾ يوم أُحد ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمعكم وجمع المشركين فهو كائن ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بتخليته.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وليتميّز المؤمنون والمنافقون، ويظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء. وإنّما استعار لفظ الإذن لتخلية الكفار، وأنّه لم يمنعهم ليبتليهم، لأنّ الآذن مخلٍّ بين المأذون ومراده.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطف على ﴿نَافَقُوا۟﴾، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ، وهم

(١) التبيان ج٣: ٤٠، الكشف والبيان ج٣: ١٩٩ بالمعنى.

عبد الله بن أُبيّ وأصحابه انخزلوا يوم أُحد وقالوا: علام نقتل أنفسنا؟، وكانوا ثلاثمائة، فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري: تعالوا قاتلوا، أو ادفعوا عن حريمكم إن لم تقاتلوا، ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ﴾ فقال لهم: أبعدكم الله، الله يغني عنكم.

وقوله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ أي: تباعدوا بهذا الفعل والقول عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر، وقيل: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، لأنّ تقليلهم سواد المسلمين تقوية للمشركين.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ من كلمة الإيمان وما يقرب إلى الرسول ﴿مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ فإنّ في قلوبهم الكفر. والمعنى: إنّ الإيمان موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ١٦٨﴾

محلّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يجوز أن يكون نصباً على الذم، أو على البدل من ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، أو رفعاً على هم الذين قالوا، أو جراً بدلاً من الضمير في ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾.

﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي: لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أُحد، أو إخوانهم في النسب.

﴿وَقَعَدُواْ﴾ أي: وقد قعدوا، وهي جملة في موضع الحال.

﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ﴿مَا قُتِلُواْ﴾ كما لم نقتل.

﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ﴾ أي: فادفعوا عن أنفسكم الموت ﴿إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴾ في هذه المقالة، لأنّكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت، لم تقدروا على دفع سائر أسبابه. وروي: أنّه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً(١).

وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾

الخطاب لرسول الله ﷺ، أو لكل أحد. وقرئ: ﴿تَحۡسَبَنَّ ﴾ بفتح السين، و(قتّلوا) بالتشديد.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في الجهاد ونصرة دين الله.

﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ ﴾ أي: بل هم أحياء ﴿يُرۡزَقُونَ ﴾ [مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون.

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ](٢) مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ وهو التوفيق في الشهادة وما ساقه إليهم من الكرامة ومواد السعادة.

﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ بإخوانهم المجاهدين ﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم ﴾ أي: لم يقتلوا بعد فيلحقوا بهم.

[﴿مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم، وقيل: لم يلحقوا

---

(١) تفسير السمرقندي ج١: ٢٨٩.

(٢) ساقطة من ج.

بهم][1]، أي: لم يدركوا فضلهم ومراتبهم ومنزلتهم[2].

﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والمعنى: ويستبشرون بما تبيّن لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين، وهو أنّهم يبعثون آمنين يوم القيامة، بشّرهم الله بذلك فهم مستبشرون به.

وكرر ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ليتعلّق به ما هو بيان لقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من ذكر نعمة الله وفضله. وقرئ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ بالفتح عطفاً على النعمة والفضل، وبالكسر على الابتداء وعلى أنّ الجملة اعتراض، وهي قراءة الكسائي. وفيه دلالة على أنّ الثواب مستحقّ وأنّ الله لا يبطله، ولذلك أضاف نفي الإضاعة إلى نفسه.

ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ إلى آخره؛ أو جر صفة للمؤمنين؛ أو نصب على المدح.

لما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أُحد فبلغوا الروحاء[3] ندموا وهمّوا

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٤٨٩.

(٣) الروحاء: قرية على ليلتين من المدينة بينهما أحد وأربعون ميلاً. الروض المعطار: ٢٧٧.

بالرجوع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يريهم من نفسه وأصحابه قوة، فندب أصحابه للخروج وقال: ((لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس)) فخرج مع جماعة حتى بلغ حمراء الأسد ـ وهي على ثمانية أميال من المدينة ـ فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت[١].

وأما قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ فحديثه: إنّ أبا سفيان لما انصرف من أُحد نادى: يا محمّد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت، فقال ﷺ: ((إن شاء الله))، فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران[٢]، فألقى الله سبحانه الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً، فقال: يا نعيم إنّي واعدت محمّداً أن نلتقي بموسم بدر، وأنّ هذا عام جدب وقد بدا لي، فالحق بالمدينة وثبّطهم ولك عندي عشر من الإبل، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون، فقال لهم: ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريداً، فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت منكم أحد، فقال النبي ﷺ: ((والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد))، فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدراً، وأقاموا بها ثماني ليال، وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين. ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمّى أهل مكة جيشه جيش السويق، قالوا: إنّما خرجتم لتشربوا السويق[٣].

و﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأوّل: نعيم بن مسعود، لأنّه من جنس الناس، ولأنّه ربّما لم

---

(١) تفسير الطبري ج٤: ١١٧.

(٢) مر الظهران: موضع بينه وبين البيت ستة عشر ميلاً. الروض المعطار: ٥٣١.

(٣) الكشف والبيان ج٣: ٢٠٩.

يخل من ناس وصلوا جناح كلامه، و﴿ٱلنَّاسَ﴾ الثاني: أبو سفيان وأصحابه.

والضمير المستكن في ﴿فَزَادَهُمۡ﴾ يرجع إلى المقول الذي هو: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾، أو إلى مصدر ﴿قَالُواْ﴾، أو إلى نعيم.

ومعنى ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾: محسبنا الله، أي: كافينا، يقال: أحسبه الشيء إذا كفاه.

﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ أي: نعم الموكول إليه هو.

﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ أي: فرجعوا من بدر ﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهو السلامة ﴿وَفَضۡلٖ﴾ وهو الربح في التجارة.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ المثبط هو ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ بيان لشيطنته، أي: يخوّفكم بأوليائه الذين هم أبو سفيان وأصحابه، وقيل: يخوّف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله ﷺ.

وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾

خاطب سبحانه الرسول فقال: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ﴾ يقعون ﴿فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ سريعاً، يعني: المنافقين الذين تخلّفوا ﴿إِنَّهُمۡ﴾ لا يضرّون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم، ولا يعود وبال الكفر إلا عليهم، ثم بيّن كيف يعود وبال الكفر عليهم بقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: نصيباً من الثواب.

﴿وَلَهُمۡ﴾ بدل الثواب ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وفائدة إرادة الله هنا إنّها إشعار بأنّ الداعي إلى تعذيبهم خالص حين سارعوا في الكفر، حتى أنّ أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ هذا إما أن يكون تكريراً لذكرهم، وإما أن يكون عاماً للكفار، والأوّل خاصاً في من نافق من المتخلفين وارتد عن الإسلام.

و﴿شَيْـًٔا﴾ نصب على المصدر، لأنّ المعنى: شيئاً من الضرر وبعض الضرر.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾

من قرأ: تحسبن - بالتاء - فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ نصب، و﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ بدل منه، أي: ولا تحسبن أنّ إملاءنا للذين كفروا خير لهم، و(أنّ) مع ما في حيّزه ينوب عن المفعولين. ويجوز أن يقدر مضاف محذوف تقديره: ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب الإملاء خير لأنفسهم، [أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أنّ الإملاء خير لأنفسهم][1].

ومن قرأ بالياء فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ رفع، والإملاء لهم أن يتركهم وشأنهم، وقيل: هو إمهالهم وإطالة عمرهم.

﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ (ما) هذه كافة، والأولى مصدرية. وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها وسبب لها، وإنّما كان ازدياد الإثم علة للإملاء، لما كان في علم الله أنّهم يزدادون إثماً، فكأنّ الإملاء وقع بسببه ومن أجله على طريق المجاز.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يهينهم في نار جهنم.

---

(١) ساقطة من أ.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٩﴾

اللام في ﴿لِيَذَرَ﴾ لتأكيد النفي، والمعنى: لا يدع الله ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المؤمن المخلص بالمنافق ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ المنافق ويعزله عن المخلص، من مزته فانماز. وقرئ: يميّز من ميّزته فتميّز. وإنّما يميّز بين الفريقين بالوحي إلى نبيّه وإخباره بأحوالكم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ فلا تظنوا إذا أخبركم النبي بنفاق الرجل أنّه يطلع على ما في القلوب بنفسه، ولكن الله يوحي إليه بأنّ في الغيب كذا، وأنّ هذا منافق وهذا مخلص، فيعلم ذلك من جهة إطلاع الله تعالى إيّاه. ويجوز أن يكون المراد بالتمييز أنّه يكلف التكاليف الشاقة كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله، ونحو ذلك مما يظهر به أحوالهم، فيعلم بعضكم ما في قلب بعض عن طريق الاستدلال، وما كان الله ليطلع أحداً منكم على الغيب ومضمرات القلوب.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيخبره ببعض المغيبات.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن تقدّروه حقّ قدره، وتعلموا رسله عباداً مصطفين للرسالة لا يعلمون إلا ما علّمهم الله، ولا يخبرون من الغيوب إلا بما أخبرهم الله به. وقيل: إنّ المشركين قالوا: إن كان محمّد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر، فنزلت[١].

---

(١) أسباب النزول: ٩٣.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٨٠﴾

من قرأ بالتاء قدّر مضافاً محذوفاً، أي: ﴿وَلَا﴾ تحسبن بخل الذين يبخلون ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾، وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ ضمير رسول الله أو ضمير أحد، ومن جعل فاعله ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ كان المفعول الأوّل عنده محذوفاً تقديره: ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ وإنّما حذف لدلالة ﴿يَبْخَلُونَ﴾ عليه، و﴿هُوَ﴾ فصل.

﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ تفسير لقوله: ﴿هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أي: سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق، وفي أمثالهم: (تقلّدها طوق الحمامة)[1]: إذا فعل فعلة يذم بها، وروي: أنّها نزلت في مانعي الزكاة[2].

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره، فما لهم يبخلون عليه بملكه. وقرئ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ في الوعيد، وبالياء على الظاهر.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ١٨٢ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ

(١) مجمع الأمثال ج١: ٢٥٦.

(٢) تفسير العياشي ج١: ٢٠٧، صحيح البخاري ج٣: ١١٤.

﴿جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1]، وإنّ ما قالوه إما اعتقاداً وإما استهزاء وعناداً، وأيّهما كان فهذه الكلمة لا تصدر إلا عن كفر صراح.

ومعنى ﴿سَمِعَ ٱللَّهُ﴾: إنّه لم يخف عليه، وأعدّ له كفاءه من العقاب.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ في صحف الحفظة، أو نثبته في علمنا لا ننساه ولا يفوتنا إثباته.

﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ عطف على ﴿مَا قَالُوا۟﴾، وفيه إعلام أنّهما في العظم أخوان، وأنّ هذا ليس بأوّل ما ركبوه من العظائم، وأنّ من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول.

﴿وَنَقُولُ﴾ لهم ﴿ذُوقُوا۟﴾ أي: وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من عقابهم.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ بما كنتم عملتموه، وذكر الأيدي لأنّ أكثر الأعمال تعمل بها، فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب. وعطف قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ على ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ لأنّ معناه: إنّه عادل عليهم فيعاقبهم على حسب استحقاقهم.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ أي: أمرنا في التوراة وأوصانا بأن

---

(١) البقرة: ٢٤٥.

﴿لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا﴾ بهذه الآية الخاصة، وهي أن يرينا قرباناً فتنزل نار من السماء فتأكله.

﴿قُلْ﴾ يا محمّد لهم: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ﴾ أي: جاء أسلافكم.

﴿رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالحجج والدلالات الكثيرة، وجاؤوهم أيضاً بهذه التي اقترحتموها.

﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أراد بذلك زكريا ويحيى وجميع من قتله اليهود من الأنبياء.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

هذا تسلية للنبي ﷺ في تكذيب الكفار إيّاه، أي: لست بأوّل مكذَّب، بل ﴿كُذِّبَ﴾ قبلك ﴿رُسُلٌ﴾ أتوا بالمعجزات الباهرة.

﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ جمع زبور وهو كل كتاب فيه حكمة.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ هو التوراة والإنجيل.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ينزل بها الموت لا محالة فكأنّها ذاقته.

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا توفون أجوركم عقيب موتكم، وإنّما توفونها يوم قيامكم عن القبور. والمراد: إنّ تكميل الأجور وتوفيتها يكون ذلك اليوم.

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أي: نُحّي عنها وأُبعد ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

﴿فَقَدۡ فَازَ﴾ أي: فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به، ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الربّ وعذاب النيران ونيل رضاء الله ونعيم الجنان.

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ ولذاتها وشهواتها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ والخداع الذي لا حقيقة له، وهو المتاع الرديء الذي يدلس به على طالبه حتى يشتريه ثم يتبين له رداءته. والشيطان هو المدلس الغرور.

لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

هذا خطاب للمؤمنين خوطبوا بذلك ليوطّنوا نفوسهم على احتمال ما سيلقونه من الأذى والشدائد والصبر عليها ويستعدوا لها.

والبلاء في الأموال: الإنفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات، والبلاء في الأنفس: القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع البليات، وما يسمعونه من أذى أهل الكتاب: هو المطاعن في دين الإسلام وتخطئة من آمن.

﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتقوى ﴿مِنۡ﴾ معزومات ﴿ٱلۡأُمُورِ﴾ أي: مما يجب العزم عليه من الأمور، أو ذلك البلاء من محكم الأمور الذي عزم الله أن يكون، فلابد لكم أن ﴿تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾.

وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

الضمير في قوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ للكتاب، أكّد الله سبحانه عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه، كما يؤكد على الرجل إذا أخذ عليه العهد ويقال له: والله لتفعلن.

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: نبذوا الميثاق وتأكيده عليهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا إليه، وقوله: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثل في ترك اعتدادهم به، كما يقال في ضدّه: جعله نصب عينه. وفيه دلالة على أنّه واجب على العلماء أن يبيّنوا الحقّ للناس، ولا يكتموا شيئاً منه لغرض فاسد من جر منفعة، أو لبخل بالعلم، أو تطييب لنفس ظالم، أو غير ذلك. وفي الحديث: ((من كتم علماً عن أهله ألجم بلجام من نار))[١]، وعن علي عليه السلام: ((ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا))[٢]. وقرئ: (ليبيننه) و(لا يكتمونه) - بالياء - لأنّهم غيّب، وبالتاء على حكاية مخاطبتهم.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨٨﴾

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله، و﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ أوّل المفعولين و﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المفعول الثاني، وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تأكيد، تقديره: لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين. وقرئ: (لا يحسبَن) - بالياء وفتح الباء -، (فلا تحسبُنهم) - بضم الباء - وبالتاء والياء معاً، فالتاء على خطاب المؤمنين على أنّ الفعل للذين يفرحون، والمفعول الأوّل محذوف، أي: لا يحسبن هم الذين يفرحون بمفازة فلا تحسبنهم أيّها المؤمنون.

---

(١) بصائر الدرجات: ١٠، جامع بيان العلم وفضله ج١: ٤.

(٢) نهج البلاغة: ٦٦٢ ح٤٧٨، الكشف والبيان ج٣: ٢٢٨.

﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: بمنجاة منه، والباء على التوكيد، وقوله: ﴿بِمَآ أَتَوا﴾ معناه: بما فعلوا، وقيل: معناه: لا يحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ﷺ.

﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ من اتّباع دين إبراهيم. ويجوز أن يكون ذلك عاماً لكل من أتى بحسنة فأعجب بها، وأحبّ أن يحمده الناس عليها ويثنوا عليه بما ليس فيه من الزهد والعبادة وغير ذلك.

وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

أي: لله ملك السماوات والأرض وهو يملك أمرهم وهو يقدر على عقابهم.

إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ
لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ
جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ
هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ
ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا
سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا
فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾
رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا
تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

قوله: ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ معناه: لأدلة واضحة على توحيد الله وعظيم قدرته وباهر حكمته.

﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ لذوي العقول.

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ينظرون إليها نظر استدلال، فيجدونها مضمّنة بأعراض حادثة لا تنفك عنها، وما لا ينفك عن الحادث حادث، وإذا كانت حادثة فلابد لها من محدث موجد، لأنّ حدوثها يدلّ على أنّ لها محدثاً قادراً، ودلّ ما فيها من البدائع والأمور الجارية على غاية الانتظام على كون محدثها عالماً قديماً، لأنّه لو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث آخر فيؤدي إلى التسلسل.

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا﴾ أي: قائمين وقاعدين.

﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ أي: مضطجعين.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في إبداع صنعتهما وما دبر فيهما مما تكلّ الأفهام عن إدراك بعض بدائعه، وفي الحديث: ((لا عبادة كالتفكر))[1].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا ﴾ على إرادة القول، أي: يقولون ذلك، وهو في محلّ الحال، أي: يتفكرون قائلين، والمعنى: ما خلقته خلقاً باطلاً من غير حكمة، بل خلقته لداعي حكمة عظيمة، وهو أن تجعلها مساكن لخلقك، وأدلة للمكلفين على معرفتك.

﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهاً لك عما لا يجوز عليك ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بلطفك وتوفيقك.

وقوله: ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الخلق [بمعنى المخلوق][2]، كأنّه قال: ويتفكرون في مخلوق السماوات والأرض أي: فيما خلق فيهما، ويجوز أن يكون إشارة إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ لأنّهما في معنى المخلوق، فكأن المراد: ما خلقت ﴿هَٰذَا﴾ المخلوق العجيب ﴿بَٰطِلٗا ﴾. ويجوز أن يكون ﴿بَٰطِلٗا ﴾ حالاً

(١) المحاسن ج١: ١٧، معجم الطبراني الكبير ج٣: ٦٩ .

(٢) ساقطة من ج.

من ﴿هَٰذَا﴾، و﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيه من أن يخلق شيئاً عبثاً وبغير حكمة.

﴿مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ أي: أبلغت في إخزائه، وهو نظير قوله: ﴿فَقَدۡ فَازَ﴾[1] وهو منقول من الخزي الذي هو الهوان، وقيل: هو منقول من الخزاية الذي هو الاستحياء، أي: أحللته محلاً يستحيى منه.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ اللام إشارة إلى ﴿مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ﴾ أي: ليس لهم ﴿أَنصَارٍ﴾ يدفعون عنهم عذاب الله.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا﴾ أوقع الفعل على مناد لأنّه موصوف بما يسمع وهو قوله: ﴿يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ أي: إلى الإيمان، أي: داعياً يدعو إلى الإيمان، يقال: ناداه لكذا وإلى كذا، ودعاه له وإليه، ونحوه: هداه للطريق وإليه، والمنادي رسول الله ﷺ.

﴿أَنۡ ءَامِنُواْ﴾ أي: آمنوا، أو بأن آمنوا ﴿بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا﴾ أي: فصدّقناه فيما دعا إليه وأجبناه.

﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ جمع بين سؤال المغفرة والتكفير، لأنّ تكفير السيئات يكون بالتوبة، والمغفرة قد تكون ابتداء من غير توبة.

﴿مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ في موضع الحال، أي: مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم، والأبرار جمع بر أو بار.

﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ ﴿عَلَىٰ﴾ هذه صلة للوعد، أي: ما وعدتنا على تصديق رسلك، وقيل: معناه: على ألسنة رسلك[2]، ويجوز أنّ يكون متعلّقاً

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٤٩٩.

بمحذوف أي: وعدتنا منزلاً على رسلك، والموعود هو الثواب أو النصرة على الأعداء. وعن النبي ﷺ أنّه لما نزلت هذه الآيات قال: ((ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها))[١]. وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ((من حزبه[٢] أمر فقال خمس مرات: (ربّنا...) أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد، وقرأ الآيات))[٣].

فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

يقال: استجابه واستجاب له.

﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ﴾ أي: بأنّي لا أبطل ﴿عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾، وقوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ بيان لـ﴿عَٰمِلٖ﴾، ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ أي: يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد، وكل واحد منكم من الآخر أي: من أصله [أو كأنّه منه][٤] لفرط اتحادكم واتصالكم، وقيل: هو وصلة الإسلام. وروي: إنّ أم سلمة[٥] قالت: يا

(١) صحيح ابن حبّان ج٢: ٣٨٧ باختلاف يسير.

(٢) حَزَبَهُ أمر: أصابه. (الصحاح مادة: حزب)

(٣) الكشف والبيان ج٣: ٢٣٤.

(٤) ساقطة من ج، ط.

(٥) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، أم المؤمنين، اسمها هند كانت ممن أسلم قديماً وهاجرت إلى الحبشة، تزوجها النبي ﷺ بعد وفاة زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، توفيت في إمارة يزيد بن معاوية، وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً. ينظر: الإصابةج٤: ٤٥٨، معجم رجال الحديث ج٢٤: ٢٠٣.

رسول الله إنّي أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء، فنزلت الآية[١].

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من أوطانهم وفرّوا إلى الله بدينهم من دار الفتنة.

﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ التي ولدوا فيها ونشأوا.

﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ يريد سبيل الدين.

﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ وغزوا المشركين واستشهدوا. وقرئ: وقتلوا وقاتلوا، لأنّ المعطوف بالواو يجوز أن يكون أوّلاً في المعنى، وإن تأخر في اللفظ، ويجوز أن يكون المراد أنّهم لما قتل منهم قاتلوا ولم يهنوا.

﴿ثَوَابًا﴾ في موضع المصدر المؤكد، بمعنى: إثابة من عند الله، لأنّ قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ﴾ في معنى لأثيبنهم.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ﴾ مثل أن يختص به وبقدرته وفضله ﴿حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه إلا هو، كما يقول الرجل: عندي ما تريد، يريد اختصاصه به وبملكه وإن لم يكن بحضرته.

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾

الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد، أي: لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق، ودرك المنى، وإصابة حظوظ الدنيا، والتصرّف في البلاد يتجرون. وجعل النهي في اللفظ للتقلّب وهو في المعنى للمخاطب، نزّل السبب منزلة المسبب لأنّ

(١) أسباب النزول: ٩٨.

التقلّب لو غرّه لاغتر به، فمنع السبب ليمتنع المسبب.

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: تقلّبهم متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة، أو في جنب ما أعدّ الله للمؤمنين من الثواب، أو هو قليل في نفسه لزواله وانقضائه.

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ ما مهّدوه لأنفسهم.

والنزل: ما يهيأ للضيف من الكرامة والبر، وانتصابه على الحال من ﴿جَنَّٰتٞ﴾ لتخصصها بالوصف. ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنّه قيل: رزقاً أو عطاء من عند الله.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب والنعيم ﴿خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ مما يتقلب فيه الفجار.

وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ نزلت في عبد الله بن سلام ومن آمن معه، وقيل: نزلت في أربعين من أهل نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا(١)، وقيل: في أصحمة النجاشي نعاه جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله فخرج إلى البقيع وكشف له عن أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلّى عليه، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلّي على علج نصراني لم يره

---

(١) عن عطاء. معالم التنزيل ج١: ٢٠٦.

قط وليس على دينه، فنزلت[(١)].

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ هو القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ التوراة والإنجيل.

﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حال من فاعل ﴿يُؤۡمِنُ﴾ لأنّ ﴿مَن﴾ في معنى الجمع.

﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ أي: ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعدوه في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾[(٢)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ لنفوذ علمه في كل شيء فيعلم ما يستوجبه كل عامل.

﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على طاعة الله وعن معاصيه.

﴿وَصَابِرُواْ﴾ أعداء الله في الجهاد، أي: غالبوهم في الصبر على مضض الحرب، لا تكونوا أقل صبراً منهم.

﴿وَرَابِطُواْ﴾ وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مستعدين للغزو.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: واتقوا مخالفة الله.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [أي: تفوزون ببقاء الأبد، وأصل الفلاح البقاء، أي تفلحون][(٣)] بنعيم الأبد.

---

(١) أسباب النزول: ٩٨.

(٢) القصص: ٥٤.

(٣) ساقطة من أ، ب.

سورة النساء

مدنية، وهي مائة وخمس وسبعون آية بصري، وست كوفي، عدّ الكوفي ﴿أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ آية.

أُبيّ عن النبي ﷺ: ((من قرأها فكأنّما تصدّق على كل من ورث ميراثاً، وأُعطي من الأجر كمن اشترى محرراً، وبرئ من الشرك، وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم))[١]، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((من قرأها في كل جمعة أُومن من ضغطة القبر إذا أدخل في قبره))[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

خطاب للمكلفين من بني آدم.

﴿ٱتَّقُواْ﴾ مخالفة ربكم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي: فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم.

---

(١) الكشف والبيان ج٣: ٢٤١.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٥.

﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ عطف على محذوف تقديره: أنشأها من تراب، وخلق حواء من ضلع من أضلاعها.

﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا﴾ نوعي الإنس، وهما الذكور والإناث، فوصفهما بصفة هي بيان لكيفية خلقهم منها.

ويجوز أن يكون الخطاب في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ للذين بعث إليهم النبي ﷺ، فيكون قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ عطفاً على ﴿خَلَقَكُم﴾. والمعنى: خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ غيركم من الأمم الكثيرة.

﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ تتساءلون به فأدغمت (التاء) في (السين)، وقرئ: ﴿تَسَآءَلُونَ﴾ بطرح التاء الثانية، أي: يسأل بعضكم بعضاً بالله وبالرحم، فيقول: (بالله وبالرحم افعل كذا) على سبيل الاستعطاف، أو تسألون غيركم بالله وبالرحم، فوضع (تفاعلون) موضع (تفعلون) للجمع.

﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ نصب على واتقوا الله والأرحام، أو أن يعطف على محلّ الجار والمجرور كما تقول: مررت بزيد وعمراً، وأما جرّه فعلى عطف الظاهر على المضمر، وقد جاء ذلك في الشعر نحو قوله:

فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ[١]

ولا يستحسنون ذلك في حال الاختيار. والمعنى: إنّهم كانوا يقرّون بأنّ لهم خالقاً وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم، فقيل لهم: اتقوا الله الذي خلقكم، واتقوا الله الذي تتناشدون به، واتقوا الأرحام فلا تقطعوها؛ أو واتقوا الله الذي

---

(١) الكتاب ج٢: ٣٨٣ بدون نسبة، وصدره: فاليوم قرّبت تهجونا وتشتمنا.

تتعاطفون بإذكاره وإذكار الرحم.

وفي هذا أنّ صلة الرحم من الله بمكان، كما جاء في الحديث: ((للرحم حجنة عند العرش))(١)، وعن ابن عباس: (الرحم معلّقة فإذا أتاها الواصل بشّت به وكلّمته، وإذا أتاها القاطع احتجبت عنه)(٢).

والرقيب: الحافظ، وقيل: العالم.

وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢

﴿ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ﴾ الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم. واليتم: الانفراد، ومنه الدرّة اليتيمة.

هذا خطاب لأوصياء اليتامى، أي: أعطوهم ﴿أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ بالإنفاق عليهم في حالة الصغر، والتسليم إليهم عند البلوغ وإيناس الرشد.

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ أي: لا تستبدلوا ما حرّم الله عليكم من أموال اليتامى بما أحلّه لكم من أموالكم فتأكلوه مكانه، أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها. والتفعل بمعنى الاستفعال كالتعجل والتأخر.

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ ولا تنفقوها معها ولا تضمّوها إليها في الإنفاق حتى لا تفرّقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بالحرام، وتسوية بينه وبين الحلال.

---

(١) ينظر: المجازات النبوية:٣٣٢، شعب الإيمان ج٦: ٢١٥، والحجنة: الموضع الذي أصابه اعوجاج من العصا. (لسان العرب: مادة حجن).

(٢) تخريج الأحاديث والآثار ج١: ٢٧٣ عن نوادر الأصول.

والحوب: الذنب العظيم.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾﴾

لما نزلت الآية في أكل أموال اليتامى، خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى وتحرّجوا من ولايتهم، وكان الرجل منهم ربّما كانت تحته العشر من الأزواج أو أقل فلا يقوم بحقوقهن، فقيل لهم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ترك العدل ﴿فِي﴾ أموال ﴿الْيَتَامَىٰ﴾ فتحرّجتم منها، فخافوا أيضاً ترك العدل والتسوية بين النساء، لأنّ من تاب من ذنب وهو مرتكب مثله فهو غير تائب، وقيل: معناه إن خفتم الجور في حقّ اليتامى فخافوا الزنا أيضاً[١].

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ أي: حلّ ﴿مِّنَ النِّسَاءِ﴾ ولا تحوموا حول المحرّمات.

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ محلّهن النصب على الحال، تقديره: فانكحوا الطيبات لكم من النساء معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً.

وإنّما وجب التكرير لأنّ الخطاب للجميع، ليصيب كل ناكح يريد الجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع ما أراد من العدد الذي أطلق له، وهذا كما تقول للجماعة: اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم بينكم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة، ولو أفردت لم يكن له معنى. ولو جعلت مكان الواو (أو) فقلت: أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة، أعلمت أنّه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة، وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة التي دلّت عليها الواو.

---

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٤: ١٥٧.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بين هذه الأعداد كما خفتم فيما فوقها ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: فاختاروا واحدة وذروا الجمع. وقرئ: فواحدةٌ ـ بالرفع ـ أي: فحسبكم واحدة، أو المقنع واحدة.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سوّى بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت عدد.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى اختيار الواحدة أو التسرّي.

﴿أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ أقرب من أن لا تميلوا أو لا تجوروا، من عال الميزان: [إذا مال][1]، وعال في حكمه: إذا جار.

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ أي: وأعطوهن مهورهن.

﴿نِحْلَةً﴾ أي: عن طيبة أنفسكم، من نحله كذا: إذا أعطاه إيّاه عن طيبة من نفسه نحلة ونحلاً. وانتصابها على المصدر، لأنّ النحلة بمعنى الإعطاء، أو يكون حالاً من المخاطبين، أي: آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء، أو من الصدقات أي: منحولة معطاة عن طيبة الأنفس. وقيل: نحلة من الله، أي: عطية من عنده لهن، والخطاب للأزواج، وقيل: للأولياء، لأنّهم كانوا يأخذون مهور بناتهم[2].

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ﴾ خطاب للأزواج ﴿مِنْهُ﴾ أي: من الصداق.

﴿نَفْسًا﴾ تمييز، وتوحيدها لأنّ الغرض بيأنّ الجنس والواحد يدلّ عليه، والمعنى: فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق، وطابت عنه نفوسهن من غير إكراه ولا خديعة.

---

(١) ساقطة من ب، ط.

(٢) عن أبي صالح. تفسير الطبري ج٤: ١٦٤.

﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ أي: أكلاً هنيئاً مريئاً، وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ: إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه، وقيل: الهنيء: ما يلذه الآكل، والمريء: ما يحمد عاقبته وينساغ في مجراه. ويجوز أن يكون كلاهما حالاً من الضمير، أي: كلوه وهو هنيء مريء. وقد يوقف على ﴿فَكُلُوهُ﴾، ويبتدأ ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ على الدعاء، وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة.

وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ
فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا
بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا
تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ
وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ
فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

ولا تعطوا ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾ وهم الذين ينفقون الأموال فيما لا ينبغي من النساء والصبيان والمبذّرين.

﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ تقومون بها وتنتعشون فكأنّها قيامكم وانتعاشكم، وقوام الشيء وقيامه وقيّمه: ما يقيمه، وقرئ: قيّماً.

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ واجعلوا أموالكم مكاناً لرزقهم وكسوتهم إن كانوا ممن يلزمكم نفقته، وهذا أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى سفيه يعلم أنّه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده، رجلاً كان أو امرأة، قريباً كان أو أجنبياً.

﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: تلطّفوا لهم في القول، وكل ما أحبّته النفوس لحسنه عقلاً أو شرعاً من قول أو عمل فهو معروف، وما أنكرته لقبحه فهو منكر.

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ واختبروا عقولهم قبل البلوغ حتى إذا تبيّنتم منهم رشداً

دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ، وبلوغ ﴿ٱلنِّكَاحَ﴾ هو أن يحتلم، لأنّه يصلح للنكاح عنده، أو يبلغ خمس عشرة سنة، أو ينبت.

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ أي: أبصرتم منهم تهدياً إلى وجوه التصرّف وصلاحاً في الدين وإصلاحاً للمال ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾.

و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هذه هي التي تقع بعدها الجمل، والجملة بعدها جملة شرطية لأنّ ﴿إِذَا﴾ متضمنة معنى الشرط.

وقوله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ جملة من شرط وجزاء وقعت جواباً للشرط الأوّل، فكأنّه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم، فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم.

و﴿إِسْرَافًا﴾ مصدر في موضع الحال أي: مسرفين ومبادرين كبرهم، أو مفعول له أي: لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في إنفاقها.

﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا﴾ من الأولياء ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ بماله عن أكل مال اليتيم، ويقتنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقاً على اليتيم وإبقاء على ماله.

﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قوتاً مقدّراً محتاطاً في تقديره على وجه الأجرة، وقيل: يأخذ من ماله قدر الحاجة على وجه الاستقراض[١].

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ بأنّهم تسلّموها وقبضوها، لأنّ ذلك أبعد من التهمة.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: شاهداً على الدفع والقبض فعليكم بالتصادق.

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٤: ١٧١.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٧﴾

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل ﴿مِّمَّا تَرَكَ﴾ بتكرير العامل. وكانت العرب في الجاهلية يورّثون الذكور دون الإناث، فقال سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ﴾ حظ وسهم من تركة الوالدين والأقربين ﴿وَلِلنِّسَآءِ﴾ حظ وسهم منها، من قليلها وكثيرها.

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ نصب على الاختصاص، أي: أعني نصيباً مفروضاً مقطوعاً واجباً لابد أن يحوزوه، أو هو مصدر مؤكد بمعنى قسمة مفروضة.

وفي هذه الآية دلالة على بطلان القول بالعصبة، لأنّ الله سبحانه فرض الميراث للرجال والنساء.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ٨ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠﴾

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ أي: قسمة التركة ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ممن لا يرث ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أي: مما ترك الوالدان والأقربون، وهو أمر على الندب. وقيل: هو على الوجوب[1]، والآية منسوخة بآية الميراث[2]، وقال سعيد بن جبير: (إنّ ناساً يقولون: نسخت، والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس)[3].

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٤: ١٧٧.

(٢) النساء: ١١.

(٣) تفسير الطبري ج٤: ١٧٧.

والقول المعروف: أن يلطفوا لهم القول ويعتذروا إليهم، ويستقلّوا ما يعطونهم، ولا يمنّوا بذلك عليهم.

و﴿لَوۡ﴾ مع ما في حيّزه صلة لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والمراد بهم الأوصياء أمروا أن يخافوا الله على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم، كما يخافون على ذريتهم لو تركوهم ﴿ضِعَٰفًا﴾ [ويشفقون عليهم وأن يصوروا ذلك في نفوسهم حتى لا يجسروا.

والمعنى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ﴾ حالهم أنّهم لو قاربوا أن يتركوا خلفهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ وذلك إذا حان يومهم ﴿خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ الضياع بعدهم لذهاب كافلهم ﴿فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في يتامى غيرهم أن يجفوهم ويظلموهم ﴿وَلۡيَقُولُواْ﴾ لهم ﴿قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ موافقاً للشرع، أو يخاطبوهم بخطاب جميل.

ثم أوعد سبحانه آكلي مال اليتيم ﴿ظُلۡمًا﴾ أي: ظالمين، أو على وجه الظلم من أولياء السوء أو القضاة.

﴿فِي بُطُونِهِمۡ﴾ ملء بطونهم، ومعنى يأكلون ناراً: يأكلون ما يجرّ إلى النار فكأنّه نار في الحقيقة. وقرئ: وسيُصلون، يقال: صلّى النار يصلاها صلياً وأصلاه الله النار.

﴿سَعِيرٗا﴾ أي: ناراً مستعرة.

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ

إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يأمركم به ويفرض عليكم، لأنّ الوصية منه سبحانه أمر وفرض.

﴿فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ أي: في شأن ميراثهم، وهذا إجمال تفصيله ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾. والمعنى: للذكر منهم أي: من أولادكم فحذف العائد لأنّه مفهوم، أي: للابن مثل نصيب البنتين. هذا في حال الاجتماع، فأما في حال الانفراد، فالابن يأخذ المال كله، والبنتان تأخذان الثلثين، ويدلّ عليه قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي: فإن كانت البنات أو المولودات نساء ليس معهن رجل، يعني: بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين أي: زائدات على اثنتين ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾.

والضمير في ﴿تَرَكَ﴾ للميت وإن لم يجر له ذكر، لأنّ الآية لما كانت في الميراث علم أنّ التارك هو الميت.

وفي قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ دلالة على أنّ حكم البنتين حكم الابن، وذلك أنّ الابن كما يحوز الثلثين مع البنت الواحدة فكذلك البنتان تحوزان الثلثين، فلما ذكر ما دلّ على حكم البنتين أتبعه بقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ على معنى: فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للبنتين لا يتجاوزنه.

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ أي: نصف ما ترك الميت ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي: ولأبوي الميت ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ بدل من ﴿لِأَبَوَيْهِ﴾ بتكرير

العامل ﴿ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ الولد يقع على الذكر والأنثى. يعني: فللأب السدس مع الولد ذكراً كان أو أنثى واحداً كان أو أكثر، وللأم السدس مع الولد كذلك.

﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ﴾ أي للميت ﴿وَلَدٌ﴾: ابن ولا بنت ولا أولادهما، لأنّ اسم الولد يعم الجميع.

﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ وهذا الظاهر يدلّ على أنّ الباقي للأب.

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ وإنّما يكون لها السدس مع وجود أخوين، أو أخ وأختين، أو أربع أخوات إذا كان هناك أب عند أئمّة الهدى عليهم السلام(١) بدلالة أنّ هذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ فيكون التقدير: فإن كان له أخوة وورثه أبواه فلأمه السدس. وقرئ: فلإمه ـ بكسر الهمزة ـ أتبعت الهمزة الكسرة التي قبلها.

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ﴾ الميت، وقرئ: يوصى بها على البناء للمجهول.

﴿أَوۡ دَيۡنٍ﴾ أي: تقسّم التركة على ما ذكرنا بعد قضاء الديون وإفراز الوصية، ولا خلاف في أنّ الدَّين مقدّم على الوصية والميراث، وإن قدّمت الوصية على الدين في الآية، فكأنّه قيل: من بعد أحد هذين، فإنّ لفظة ﴿أَوۡ﴾ لا توجب الترتيب وإنّما هي لأحد الشيئين أو الأشياء.

﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ أي: لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون: أمن أوصى منهم أم من لم يوص، يعني: إنّ من أوصى ببعض ماله فعرّضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته، فهو أقرب لكم

---

(١) ينظر: الوسائل ج١٧ باب ١١ من أبواب ميراث الأبوين والأولاد.

نفعاً ممن ترك الوصية فوفّر عليكم متاع الدنيا.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ نصبت نصب المصدر المؤكد، أي: فرض الله فريضة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بمصالح خلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما فرض من المواريث وغيرها.

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ
فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ
إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ
ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ
وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ
فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ
غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿وَلَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿نِصْفُ مَا﴾ تركت زوجاتكم ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ ذكر ولا أنثى ولا ولد ولد.

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم [أو من غيركم][١] ﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ﴾ جعلت المرأة على النصف من الرجل بحقّ الزواج كما جعلت كذلك في النسب، والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾ يعني: الميت ﴿يُورَثُ﴾ أي: يورث منه من وَرِث، أو يورث من أورث، فيكون الرجل وارثاً لا موروثاً منه. وهو صفة لـ﴿رَجُلٌ﴾،

(١) ساقطة من ج.

و﴿كَلَٰلَةً﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، أي: وإن كان رجل موروث منه أو وارث كلالة، ويجوز أن يكون ﴿يُورَثُ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿كَلَٰلَةً﴾ حالاً من الضمير في ﴿يُورَثُ﴾.

واختلف في معنى الكلالة، والمروي عن أئمتنا عليهم السلام أنّها تطلق على الأخوة والأخوات[١]، والمذكور في هذه الآية من كان من قبل الأم منهم، والمذكور في آخر السورة[٢] من كان منهم من قبل الأب والأم، أو من قبل الأب.

فعلى هذا تكون الكلالة أن يترك الإنسان من أحاط بأصل النسب الذي هو الوالد والولد، وتكلله كالإكليل الذي يحيط بالرأس ويشتمل عليه، لأنّ الكلالة في الأصل مصدر فتطلق على من ليس بولد ولا والد، وعلى من لم يخلّف ولداً ولا والداً وخلّف ما عداهما من الأخوة والأخوات، وتكون صفة للموروث أو الوارث بمعنى ذي كلالة، كما تقول: فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي.

﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ تورث كذلك ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ يعني: من الأم ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ جعل الذكر والأنثى هاهنا سواء.

﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ لورثته، وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث، أو يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة.

﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد كقوله: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾[٣].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن جار في وصيته ﴿حَلِيمٌ﴾ عنه لا يعاجله بالعقوبة، وهذا

---

(١) ينظر: الوسائل ج١٧ باب٨ من أبواب ميراث الأخوة والأجداد.

(٢) الآية ١٧٦.

(٣) النساء: ١١.

وعيد.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الأحكام المذكورة في اليتامى والمواريث، وسمّاها حدوداً لأنّ الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها.

قال: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ و﴿خَٰلِدِينَ﴾ حملاً على لفظ ﴿مَن﴾ ومعناه.

وفي قوله: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ دلالة على أنّ المراد بقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الكافر، لأنّ من تعدّى جميع حدود الله التي هي فرائضه وأوامره ونواهيه لا يكون إلا كافراً.

﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: يفعلنها، والفاحشة: الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح.

﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ الحرائر ﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ أي: من المسلمين.

﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ أي: فخلّدوهن محبوسات في بيوتكم، وكان ذلك عقوبتهن في أوّل الإسلام، ثم نسخ بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي... الآية﴾[1].

﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح، وقيل: السبيل هو الحد[2]، إذ لم يكن مشروعاً في ذلك الوقت. فقد روي: أنّه لما نزل قوله: ﴿الزانية والزاني... الآية﴾ قال عليه السلام: ((خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيّب بالثيّب جلد مائة والرجم))[3]. وعندنا: إنّ هذا الحكم مختص بالشيخ والشيخة إذا زنيا[4].

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ يريد الزاني والزانية ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ فذمّوهما وعيّروهما.

﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ وغيّرا الحال ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ واقطعوا الذم والتعيير وكفوا عن أذاهما. وقرئ: (واللذانّ) بتشديد النون.

إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ
مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا
حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ
وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

---

(١) النور: ٢.

(٢) عن الباقر عليه السلام. تفسير العياشي ج١: ٢٢٧، وعن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٤: ١٩٨.

(٣) مسند أحمد ج٥: ٣١٣، التبيان ج٣: ١٤٣.

(٤) ينظر: الوسائل ج١٨ باب١ من أبواب حد الزنا.

﴿ٱلتَّوۡبَةُ﴾ من تاب الله عليه: إذا قبل توبته، أي: إنّما القبول للتوبة واجب على الله لهؤلاء، أوجبه سبحانه في كرمه وفضله.

﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ في موضع الحال، أي: ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ جاهلين سفهاء، لأنّ ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة، ولا يدعو إليه العقل والحكمة.

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ من زمان قريب. والزمان القريب: ما قبل حضور الموت، قال ابن عباس: (قبل أن ينزل به سلطان الموت)(١).

﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾ عطف على ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، سوّى سبحانه بين مسوف التوبة إلى وقت حضور الموت وبين من يموت كافراً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩

كانوا يظلمون نساءهم بأنواع من الظلم فنهوا عن ذلك، كان الرجل إذا مات له قريب عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال: أنا أحقّ بها من غيري، فقيل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾ أي: تأخذوهن على سبيل الإرث وهن كارهات لذلك أو مكرهات، وقد قرئ بفتح الكاف وضمها.

وقيل: كانوا يمسكونهن حتى يمتن(٢)، فقيل: لا يحلّ لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بذلك. وكان الرجل يمسك زوجته إضراراً بها حتى تفتدي ببعض مالها، فقيل: ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾

(١) تفسير الطبري ج٤: ٢٠٤.

(٢) عن الزهري. تفسير الطبري ج٤: ٢٠٩.

والعضل: الحبس والتضييق. والأولى أن يكون ﴿تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ نصباً عطفاً على ﴿أَن تَرِثُواْ﴾، و﴿لَا﴾ لتأكيد النفي، أي: لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن.

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ وهي النشوز، والبذاء، والمعصية، وإيذاء الزوج وأهله، يعني: إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فتصيروا معذورين في طلب الخلع. والتقدير: ولا تعضلوهن إلا أن يأتين بفاحشة، أو وقت أن يأتين بفاحشة. الصادق عليه السلام قال: ((إذا قالت للزوج لا أغتسل لك من جنابة ولا أبرّ لك قسماً ولأوطئن فراشك، حلّ له أن يخلعها))[١].

وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وهو النصفة في النفقة والإجمال في القول والفعل.

﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ أي: إن كرهتم صحبتهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها، فربّما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد، وأحبّت ما هو نقيض ذلك.

وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ
قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا
مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ
وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٢١﴾

كان الرجل إذا أراد استطراف امرأة رمى زوجته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها، فقال سبحانه: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ﴾ أي: إقامة امرأة مقام امرأة، وأعطيتم التي أردتم الاستبدال بها غيرها ﴿قِنطَارٗا﴾ أي: مالاً كثيراً ﴿فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ﴾ أي: من المؤتى والمعطى ﴿شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا

(١) ينظر: الوسائل ج١٥ باب ١ من كتاب الخلع والمباراة.

﴿وَإِثۡمًا مُّبِينًا﴾ أي: باهتين وآثمين.

انتصب ﴿بُهۡتَٰنًا﴾ و﴿إِثۡمًا﴾ على الحال، ويجوز أن يكون مفعولاً له وإن لم يكن غرضاً، كما يقال: قعد عن القتال جبناً.

والميثاق الغليظ: حقّ الصحبة والمضاجعة، كأنّه قيل: ﴿وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ بإفضاء بعضكم إلى بعض. وقيل: إنّ الميثاق الغليظ هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان[١]. وعن النبي ﷺ: ((استوصوا بالنساء خيراً، فإنّهن عوان في أيديكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله))[٢].

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقۡتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢﴾

كانوا ينكحون روابّهم[٣]، وكان ناس من ذوي مروءاتهم يمقتونه ويسمونه نكاح المقت، ويقولون لمن ولد عليه: المقتي، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمَقۡتًا﴾، أي: ولا تتزوّجوا ما تزوّجه ﴿ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ثم استثنى ﴿مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ كما استثنى (غير أنّ سيوفهم) من قوله:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ[٤]

يعني: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه ولا يحلّ لكم غيره، ولكنه غير ممكن، والغرض المبالغة في تحريمه.

(١) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج٤: ٢١٥.

(٢) ينظر: مسند أحمد ج٥: ٧٣، تحف العقول: ٢٤.

(٣) روابّهم: جمع رابّة وهي امرأة الأب. (الصحاح: مادة ربب)

(٤) ديوان النابغة الذبياني: ١١.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ في دين الله بالغة في القبح.

﴿وَمَقْتًا﴾ أي: قبيحاً ممقوتاً في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: بئس طريقاً ذلك النكاح السيئ الفاحش.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

المعنى: حرّم عليكم نكاحهن، لأنّ ذلك هو المفهوم من تحريمهن، كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها، ومن تحريم الميتة تحريم أكلها.

ويتضمن قوله: ﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ تحريم نكاح الجدات من قبل الأب ومن قبل الأم وإن علون بدرجات؛ وقوله: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ تحريم نكاح بنات الصلب وبنات الابن وبنات البنت وإن نزلن بدرجات؛ وقوله: ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ يتضمن تحريمهن سواء كن من قبل أب أو من قبل أم أو منهما.

ويتضمن العمّات: كل أخت لذكر رجع النسب إليه بالولادة، من قبل الأب كان أو من قبل الأم.

ويتضمن الخالات: كل أخت لأنثى رجع النسب إليها بالولادة، من جهة

الأم كان أو من جهة الأب.

ويتضمن بنات ﴿ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾ كل بنات الأخوة والأخوات من قبل الأب كن أو من قبل الأم قربن أو بعدن. فهؤلاء السبع هن المحرّمات من جهة النسب.

ثم ذكر المحرّمات من جهة السبب فقال: ﴿أُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ سمّى المرضعات أمهات إذ نزّل الرضاعة منزلة النسب، وسمّى المرضعات أخوات بقوله: ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ﴾.

فعلى هذا يكون زوج المرضعة أباً للرضيع، وأبواه جداه، وأخته عمته، وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم أخوته وأخواته لأبيه، وأم المرضعة جدته، وأختها خالته، وكل ولد لها من هذا الزوج فهم أخوته وأخواته لأبيه وأمه، وكل ولد لها من غير هذا الزوج فهم أخوته وأخواته لأمه، ومنه قول النبي ﷺ: ((يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب))[1]. وفيه: أنّ المحرّمات السبع بالنسب محرّمات بالرضاع أيضاً.

ثم قال: ﴿وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ وهذا يتضمن تحريم نكاح أمهات الزوجات وجداتهن، قربن أو بعدن من جهة النسب والرضاع، ويحرمن بنفس العقد.

﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ أي: في ضمانكم وتربيتكم، سمّي ولد المرأة من غير زوجها ربيباً وربيبة لأنّه يربّهما في غالب الأمر كما يربّ ولده، ثم سمّي بذلك وإن لم يربّهما. وهذا يقتضي تحريم بنت المرأة من غير زوجها على زوجها، وتحريم بنت ابنها وبنت بنتها قربت أم بعدت لوقوع اسم الربيبة عليهن.

(١) تهذيب الأحكام ج٧: ٢٩٤، صحيح البخاري ج٢: ١٠٠.

وقوله: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ متعلّق بـ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ والمعنى: أنّ الربيبة من المرأة المدخول بها محرّمة على الرجل، وإذا لم يدخل بها فهي حلال له. ومعنى الدخول بهن كناية عن الجماع كما يقال: بنى عليها، وضرب عليها الحجاب. فقوله: ﴿دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ معناه: أدخلتموهن الستر، والباء للتعدية، وما يجري مجرى الجماع من التجريد واللمس بالشهوة، فذلك أيضاً دخول بها عند أبي حنيفة[1]، وهو مذهبنا[2].

﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ أي: وحرّم عليكم نكاح أزواج أبنائكم ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ دون من تبنّيتم، فأنّ رسول اللهﷺ تزوج زينب بنت جحش[3] حين فارقها زيد بن حارثة[4].

﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ في موضع الرفع، أي: وحرّم عليكم الجمع بين الأختين في النكاح والوطء بملك اليمين، ويجوز الجمع بينهما في الملك.

﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

والمحرّمات بالنسب أو السبب على وجه التأبيد يسمّين مبهمات، لأنّهن يحرمن من جميع الجهات، قال ابن عباس: (حرّم الله من النساء سبعاً بالنسب وسبعاً

---

(١) تحفة الفقهاء ج٢: ١٢٣.

(٢) التبيان ج٣: ١٥٨.

(٣) زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية أم المؤمنين، أمها أميمة بنت عبد المطلب، تزوجها رسول اللهﷺ بعد أن طلقها زيد بن حارثة، والقصة مشهورة، توفيت سنة ٢٠ هـ. ينظر: الاستيعاب ج٤: ٣١٣.

(٤) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي مولى رسول اللهﷺ، من أوائل السابقين إلى الإسلام، قتل بمؤتة سنة ٨ هـ، وكان أحد أمراء تلك الغزوة. ينظر: الاستيعاب ج١: ٥٤٤، معجم رجال الحديث ج٧: ٣٣٩.

بالسبب، وتلا هذه الآية ثم قال: والسابعة: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾[(١)].

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

القراءة هنا ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ بفتح الصاد، أي: وحرّمت عليكم اللاتي أحصنّ ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وهن ذوات الأزواج ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من اللاتي سبين ولهن أزواج في ديار الكفر فهن حلال وإن كن محصنات.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ مصدر مؤكد، أي: كتب الله ذلك عليكم كتاباً وهو تحريم ما حرّم.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ هو عطف على الفعل المضمر الذي نصب ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾. ومن قرأ: ﴿وَأَحِلَّ لَكُم﴾ على البناء للمفعول فهو عطف على ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ مفعول له، والمعنى: بيّن لكم ما يحلّ وما يحرم إرادة أن تبتغوا، أي: تطلبوا ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾ نكاحاً بصداق أو شراء بثمن، فيكون مفعول ﴿تَبْتَغُوا۟﴾ مقدراً، ويجوز أن يكون ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ بدلاً من ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾.

﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أي: أعفاء غير زناة، والإحصان: العفة

(١) تفسير الطبري ج٤: ٢٢٠.

وتحصين النفس من الوقوع في الحرام، وقيل: محصنين: متزوجين[١].

﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ من النساء، و﴿مَا﴾ في معنى النساء ويرجع الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ إليه على اللفظ، وفي ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على المعنى. والمراد به متعة النساء وهو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم، وإليه ذهب ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وجماعة من التابعين[٢] وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام[٣]، وقرأوا: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمّى فآتوهن أجورهن. معناه: فاللاتي عقدتم عليهن هذا العقد من جملة النساء فأعطوهن أجورهن، فأوجب إيتاء الأجر بنفس العقد، وإنّما يجب كمال المهر بنفس العقد في نكاح المتعة خاصة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الأجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فيما شرع لعباده من النكاح الذي به يحفظ الأموال والأنساب.

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ
وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا
مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج١: ٢١٨.

(٢) تفسير الطبري ج٥: ٩.

(٣) ينظر: الوسائل ج ١٤ باب ١ من أبواب المتعة.

﴿نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥﴾

الطَّول: الفضل والزيادة، أي: من لم يجد غنى وزيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ أي: الحرائر.

﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ أي: فلينكح أمة مما ملكت أيمانكم، والخطاب للمسلمين.

﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾ من إمائكم لا من فتيات غيركم من المخالفين في الدين.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ والله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في الإيمان، ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم، وربّما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة، والمرأة أفضل في الإيمان من الرجل، فمن حقّكم أن تعتبروا فضل الإيمان لا فضل الأحساب والأنساب.

﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍ﴾ أي: أنتم وأرقاؤكم متناسبون لاشتراككم في الإيمان، فلا تستنكفوا من نكاحهن.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾ والضمير للفتيات، أي: تزوّجوهن ﴿بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾ أي: بأمر مواليهن.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن.

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ من غير مطل وضرار وإحواج إلى الاقتضاء، والمراد: فآتوا مواليهن، لأنّ الموالي هم مالكو مهورهن فحذف المضاف.

﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾ عفائف غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرّات له، وهو قوله: ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ﴾ والأخدان: الأخلاء في السر.

﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ من قرأ بالضم فالمعنى: فإذا زوّجن فأحصنهن أزواجهن أي: تزوّجن، ومن قرأ بالفتح فمعناه: أسلمن، وقيل: أحصن أنفسهن بالتزويج[1].

﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ أي: فإن زنين ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ أي: الحرائر.

﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ من الحد، كما في قوله: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا﴾[2] وهو خمسون جلدة، ولا رجم عليهن لأنّ الرجم لا ينتصف.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى نكاح الإماء.

﴿لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡ﴾ لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة. وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير لكل مشقة وضرر، ولا ضرر أعظم من الوقوع في الزنا.

﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾ أي: وصبركم عن نكاح الإماء متعففين ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾

الأصل ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ أن ﴿يُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين، كما زيدت في (لا أبا لك) لتأكيد إضافة الأب، والمعنى: يريد الله أن يبين لكم ما

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٥: ١٦.

(٢) النور: ٢.

خفي عنكم من مصالحكم وأن يهديكم ﴿سُنَنَ ٱلَّذِينَ﴾ كانوا ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ من الأنبياء وأهل الحقّ لتقتدوا بهم.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: وأن يقبل توبتكم.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يوفّقكم لها، ويقوّي دواعيكم إليها.

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ من المبطلين ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ أي: تعدلوا عن الاستقامة والقصد بمساعدتهم وموافقتهم ﴿مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ إذ لا ميل أعظم من الموافقة على اتباع الشهوات.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ﴾ بإحلال الأمة وغير ذلك من الرخص.

﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ لا يصبر على مشقة الطاعة وعن الشهوة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ
إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا
فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

ذكر الأكل والمراد به سائر التصرّفات.

و﴿ٱلۡبَٰطِلِ﴾: ما لم يبحه الشرع من الربا والقمار والخيانة والظلم والسرقة.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ بالنصب على: إلا أن تكون التجارة تجارة ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾، وبالرفع على: إلا أن تقع تجارة. والاستثناء منقطع معناه: ولكن كون تجارة عن تراض منكم غير منهي عنه.

و﴿عَن تَرَاضٖ﴾ صفة لـ﴿تِجَٰرَةً﴾ أي: تجارة صادرة عن تراض، والتراضي: رضا المتبايعين بما تعاقدوا عليه في حال البيع وقت الإيجاب والقبول.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ بأن تقاتلوا من لا تطيقونه فتقتلوا، وقيل: لا يقتل بعضكم بعضاً لأنّكم أهل دين واحد فأنّتم كنفس واحدة[١]، وقيل: لا يقتل الرجل نفسه كما يفعل بعض الجهال في حال غضب أو ضجر[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ينهاكم عما يضرّكم لرحمته عليكم.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى القتل، أي: ومن يقدم على قتل النفس ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ لا خطأ ولا اقتصاصاً ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ مخصوصة شديدة العذاب.

إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

قال أصحابنا رضي الله عنهم: المعاصي كلها كبائر من حيث كانت قبائح، لكن بعضها أكبر من بعض، وإنّما يكون الذنب صغيراً بالإضافة إلى ما هو أكبر منه واستحقاق العقاب عليه أكثر[٣]. ونحوه قول ابن عباس: (كل ما نهى الله عنه فهو كبير)[٤]، وقول مجاهد وسعيد بن جبير: (كل ما أوعد الله عليه عقاباً في العقبى،

---

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج٥: ٢٣.

(٢) تفسير الماوردي ج١: ٤٧٥.

(٣) التبيان ج٣: ١٨٢.

(٤) تفسير الطبري ج٥: ٢٧.

وأوجب عليه حداً في الدنيا فهو كبيرة)[١].

ومعنى الآية: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ﴾ ما نهيتم ﴿عَنۡهُ﴾ في هذه السورة من المناكح، وأكل الأموال بالباطل، وغير ذلك، وتركتموها في المستقبل ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ التي اكتسبتموها بارتكاب ذلك فيما سلف، ويعضده قوله سبحانه: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٢]، وعن ابن مسعود: (كل ما نهى الله عنه من أول السورة إلى رأس الثلاثين فهو كبير)[٣]. وروي: أنّ رجلاً قال لابن عباس: (الكبائر سبع؟ فقال: هي إلى سبعمائة أقرب، إلا أنّه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار)[٤].

وقرئ: ﴿مُّدۡخَلٗا﴾ بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ﴾ نهي عن التحاسد وعن تمنّي ﴿مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ بعض الناس ﴿عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ من الجاه والمال، لأنّ ذلك التفضيل قسمة من الله العالم بأحوال العباد، فواجب على الخلق أنّ يرضوا بقسمته الصادرة عن الحكمة والعلم بالمصلحة.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْ﴾ جعل سبحانه ما قسمه لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرفه من مصالحه كسباً له.

﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ ولا تحسدوا غيركم بما أوتي من الفضل، ولكن

---

(١) تفسير الطبري ج٥: ٢٧.

(٢) الأنفال: ٣٨.

(٣) تفسير الطبري ج٥: ٢٤.

(٤) تفسير الطبري ج٥: ٢٧.

اسألوا الله من فضله الذي لا يغيض[١]، قال سفيان بن عيينة[٢]: (لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي)[٣].

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

أي: ولكل واحد من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ أي: ورثة هم أولى بميراثه، يرثون ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ الموروثون.

﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي: ويرثون مما ترك الذين عقدت أيمانكم، لأنّ لهم ورثة هم أولى بميراثهم، فيكون عطفاً على ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ﴾ ويكون المضمر في ﴿فَـَٔاتُوهُمْ﴾ للموالي، ويجوز أن يكون في ﴿تَرَكَ﴾ ضمير ﴿لِكُلٍّ﴾ و﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ تفسيراً لـ﴿مَوَٰلِيَ﴾ كأنّه قيل: من هم؟ فقيل: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾.

---

(١) غاض الماء يغيض: قلّ ونضب. (الصحاح: مادة غيض)

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي محدث الحرم، ولد سنة ١٠٧هـ وطلب العلم في صغره، سمع ابن دينار والزهري وغيرهما وحدّث عنه الكثيرون، مات سنة ١٩٨هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ج١: ٢٦٢، معجم رجال الحديث ج٩: ١٦٤.

(٣) معالم التنزيل ج١: ٢٢٤.

و﴿ٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ مبتدأ ضمّن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله: ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾، والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ موالي الموالاة. كان الرجل يعاقد الرجل فيقول: (دمي دمك، وهدمي هدمك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك، وتعقل عني وأعقل عنك) فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف، فنسخ بقوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[١]. وقرئ: (عَاقَدَتْ) و(عَقَدَتْ)، ومعنى عاقدت أيمانكم: عاقدتهم أيديكم وماسحتموهم، ومعنى (عقدت): عقدت عهودهم أيمانكم.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يقومون عليهن بالأمر والنهي كما تقوم الولاة على رعاياهم، ولذلك سمّوا قوّاماً، بسبب تفضيل الله.

﴿بَعۡضَهُمۡ﴾ وهم الرجال ﴿عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ يعني: النساء. وقد ذكر في تفضيل الرجال أشياء: منها العقل، والحزم، والجهاد، والخطبة، والأذان، وعدد الأزواج، والطلاق، وغير ذلك.

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ أي: وبسبب ما أنفقوا في نكاحهن من الأموال يعني: المهر والنفقة.

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي: مطيعات لله قائمات بما عليهن للأزواج.

﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ﴾ الغيب: خلاف الشهادة، أي: راعيات لحقوق أزواجهن وحرمتهم في الفروج والبيوت والأموال في حال غيبتهم.

﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ بما حفظهنّ الله حين أوصى بهن الأزواج في كتابه، أو بما حفظهنّ الله [إذ وفقهنّ][٢] لحفظ الغيب فتكون ﴿مَا﴾ مصدرية. وقرئ: (بما

(١) الأنفال: ٧٥.

(٢) ساقطة من ج.

حفظ الله) ـ بالنصب ـ على أنّ ﴿مَا﴾ موصولة، أي: بالأمر الذي يحفظ حقّ الله وأمانة الله، وهو التعفف والشفقة على الرجال. وفي الحديث: ((خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرّتك، وإن أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية))[١].

﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أي: عصيانهن، وأصل النشوز: الانزعاج والترفّع على الزوج.

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أوّلاً بالقول والنصيحة ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ﴾ ثانياً ﴿فِي الْمَضَاجِعِ﴾ والمراقد وهي كناية عن الجماع، وقيل: هو أن يوليها ظهره في المضجع[٢].

﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم ينجع فيهن الوعظ والهجران ضرباً غير مبرح لا يقطع لحماً ولا يكسر عظماً، وعن الباقر عليه السلام: ((إنّه الضرب بالسواك))[٣].

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ أي: أزيلوا عنهن التعرّض بالأذى والتجني، وتوبوا عليهن بعد رجوعهن إلى الطاعة وترك النشوز.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه ولا تكلفوهن ما لا يطقن.

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

الأصل شقاقاً ﴿بَيْنِهِمَا﴾، فأضيف الشقاق إلى الظرف على سبيل الاتساع، والضمير للزوجين وإن لم يجر ذكرهما لدلالة ذكر الرجال والنساء عليهما.

---

(١) مسند الطيالسي: ٣٠٦، الكافي ج٥: ٣٢٧ بالمعنى.

(٢) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج٥: ٤١.

(٣) التبيان ج٣: ١٩١.

﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا﴾ أي: رجلاً رضي ﴿مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ كذلك، يصلح كلاهما لحكومة العدل والإصلاح بينهما، والألف في ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا﴾ ضمير الحكمين، وفي ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ للزوجين، أي: إن قصدا إصلاح ذات البين بورك في وساطتهما، وأوقع الله بحسن نيتهما الوفاق والألفة بين الزوجين. وقيل: الضميران للحكمين[1] يوفق الله بينهما حتى يتفقا على الكلمة الواحدة. وروى أصحابنا: إنّ للحكمين أن يجمعا بينهما إن رأيا ذلك صلاحاً، وليس لهما أن يفرّقا بينهما إلا بعد أن يستأمراهما ويرضيا بذلك[2].

وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾

﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ بمعنى: وأحسنوا بالوالدين إحساناً.

﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وبكل من بينكم وبينه قرابة.

﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي: الذي جواره قريب.

﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ الذي جواره بعيد، وقيل معناهما: الجار القريب النسب والجار الأجنبي[3].

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٥: ٥٠.

(٢) ينظر: الوسائل ج١٥ باب ١٢، ١٣ من أبواب القسم والنشوز والشقاق.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٥: ٥٠.

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ هو الذي يصحب الإنسان بأن يحصل بجنبه، بكونه رفيقه في سفره، أو جاراً له ملاصقاً، أو شريكاً، أو قاعداً إلى جنبه في مجلس، فعليه أن يرعى حقّه.

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع به، وقيل: هو الضيف(١).

والمختال: التيّاه الجهول الذي يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه، والفخور: الذي يفخر بكثرة ماله.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾، أو نصب على الذم، أو رفع على الذم أيضاً، أو يكون مبتدأ خبره محذوف كأنّه قيل: الذين يبخلون ويفعلون كذا ملومون مستحقّون للعقوبة، أي: يبخلون بما عندهم وبما في أيدي غيرهم، فيأمرونهم بأن يبخلوا كما جاء في المثل: (أبخل من الضنين بنائل غيره)(٢).

﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ من فضل الغنى، بالتفاقر إلى الناس، وقيل: هم اليهود كتموا صفة رسول الله ﷺ(٣).

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: للمراءاة والفخار وليقال: إنّهم أسخياء، لا لوجه الله،

---

(١) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج٥: ٥٣.

(٢) مجمع الأمثال ج١: ١٩٩.

(٣) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج٥: ٥٥.

وقيل: هم مشركو قريش أنفقوا أموالهم في عداوة رسول الله ﷺ.

﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾ إذ حملهم على البخل والرياء وكل شرّ وفساد، ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن يكون الشيطان مقروناً بهم في النار.

﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: أيّ شيء عليهم من الوبال والتبعة في الإيمان والإنفاق في سبيل الله؟! وهذا توبيخ لهم وتهجين، وإلا فإنّ المنفعة كل المنفعة في ذلك.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا﴾ وعيد لهم.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾

الذرّة: النملة الصغيرة، وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء ذرّة. وفي هذا دلالة على أنّه لو نقص من الأجر أدنى شيء، أو زيد على المستحقّ من العقاب لكان ظلماً.

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ﴾ أي: وإن تك مثقال الذرة حسنة، وإنّما أنّث لكونه مضافاً إلى مؤنث. وقرئ: حسنة ـ بالرفع ـ على (كان) التامة.

﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾ أي: يضاعف ثوابها.

﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ أي: يعط صاحبها من عنده على سبيل التفضّل عطاء عظيماً، وسمّاه أجراً لأنّه تابع للأجر. وقرئ: يضعّفها ـ بالتشديد ـ.

فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾

﴿فَكَيۡفَ﴾ يصنع هؤلاء الكفار ﴿إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾ يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيّهم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمّد ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ﴾ يعني: قومه ﴿شَهِيدًا﴾. والمعنى: إنّ الله سبحانه يستشهد يوم القيامة كل نبيّ على أمّته فيشهد لهم وعليهم. وعن ابن مسعود: (إنّه قرأ هذه الآية على النبي ﷺ ففاضت عيناه)[١]. فانظر في هذه الحالة إذا كان الشاهد يبكي لهول هذه المقالة، فماذا ينبغي أن يصنع المشهود عليه من الانتهاء عن كل ما يستحيي منه على رؤوس الأشهاد!.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ﴾ من التسوية، وقرئ: (لو تسوّى) بحذف التاء من (تتسوّى)، و(تسوّى) بإدغام التاء في السين، يقال: سوّيته فتسوّى. والمعنى: يودّون أنهم لم يبعثوا، وأنّهم كانوا والأرض سواء، وقيل: يودّون لو يدفنون فتسوّى بهم الأرض كما تسوّى بالموتى[٢].

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ ولا يقدرون على كتمانه لأنّ جوارحهم تشهد عليهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

أي لا تقوموا إلى الصلاة وأنّتم نشاوى، وقيل: معناه: لا تقربوا مواضع الصلاة وهي المساجد[٣]، كقوله ﷺ: ((جنّبوا مساجدكم صبيانكم

---

(١) الكشف والبيان ج٣: ٣١٠.

(٢) الكشاف ج١: ٥١٢.

(٣) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٥: ٦٣.

ومجانينكم))[١]. وقيل: هو سكر النوم وغلبة النعاس خاصة[٢]، وروي ذلك عن الباقر عليه السلام[٣].

﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطف على قوله: ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ لأنّ محلّ الجملة مع الواو نصب على الحال، كأنّه قيل: لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنباً، لأنّ الجنب اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب، فاستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ أي: لا تقربوا الصلاة في أحوال الجنابة، إلا إذا كنتم مسافرين فيجوز لكم أن تؤدوها بالتيمم، فإنّ التيمم لا يرفع حكم الجنابة. فيكون قوله: ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ منصوباً على الحال، وعبور السبيل عبارة عن السفر، فكأنّه قيل: لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا إلا في حال كونكم مسافرين. ومن فسّر الصلاة بالمسجد قال: إنّ معناه لا تقربوا مواضع الصلاة جنباً، إلا مجتازين فيها حتى تغتسلوا من الجنابة.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أراد سبحانه أن يرخّص للذين تجب عليهم الطهارة في التيمم عند عدم الماء، فخصّ أوّلاً من بينهم مرضاهم ومسافريهم، لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة، ثم عمّ كل من وجب عليه الطهارة وأعوزه الماء، لخوف عدو أو سبع أو عدم ما يتوصل به إلى الماء، أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر؛ فلذلك نظم في سلك واحد بين المريض والمسافر، وبين المحدث والجنب، وإن كان المرض والسفر سببين من

---

(١) تهذيب الأحكام ج٣: ٢٥٤، معجم الطبراني الكبير ج٨: ١٣٢.

(٢) عن الضحاك. تفسير الطبري ج٥: ٦٢.

(٣) تفسير العياشي ج١: ٢٤٢.

أسباب الرخصة، والحدث سبباً لوجوب الوضوء، والجنابة سبباً لوجوب الغسل.

ومن قرأ: (أو لمستم) فإنّ اللمس والملامسة بمعنى الجماع، قال ابن عباس: (سمّى الله الجماع لمساً كما يسمّى المطر سماء)[١].

و﴿ٱلْغَآئِطِ﴾ أصله المطمئن من الأرض، وكانوا يتبرّزون هناك ثم كثر ذلك حتى كنّوا بالغائط عن الحدث.

والتيمم: أصله القصد، وقد تخصص في الشرع بقصد الصعيد لمسح أعضاء مخصوصة، وقال الزجّاج[٢]: (الصعيد: وجه الأرض تراباً كان أو صخراً لا تراب عليه)[٣]. لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره. وهو مذهب أبي حنيفة[٤]، وهو المروي عن أئمّة الهدى عليهم السلام[٥].

﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ وهو ضربة واحدة للوجه واليدين إذا كان بدلاً من الوضوء، وضربتان: إحداهما للوجه والأخرى لليدين إذا كان بدلاً من الغسل. ومسح الوجه من قصاص الشعر إلى طرف الأنف، ومسح اليدين من الزندين إلى رؤوس الأصابع.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ

---

(١) الكشف والبيان ج٣: ٣١٤.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجّاج النحوي، كان يخرط الزجاج ثم مال إلى النحو، مات سنة ٣١١ هـ عن سبعين عاماً. ينظر: بغية الوعاة ج١: ٤١١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٢: ٥٦.

(٤) المبسوط للسرخسي ج١: ١٠٦.

(٥) ينظر: الوسائل ج٢ باب ٧ من ابواب التيمم.

نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى
ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ
وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من رؤية القلب، وعدّي بـ﴿إِلَى﴾ لأنّه بمعنى: ألم تنظر إليهم، أو ألم ينته علمك إليهم.

﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أعطوا حظاً من علم التوراة، وهم أحبار اليهود.

﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ يستبدلونها بالهدى، وهي البقاء على اليهودية بعد وضوح المعجزات الدالة على صدق محمّدﷺ والآيات الموضحة عن صحة نبوته، وأنّه النبي العربي المبشر به في التوراة والإنجيل.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [أنتم أيّها المؤمنون سبيل الحقّ كما ضلوه، فكأنّهم إذا ضلوا][1] أحبّوا أن يضل غيرهم معهم.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ وقد أخبركم بعداوة هؤلاء لكم، فاحذروهم ولا تستشيروهم في أموركم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ فثقوا بولايته ونصرته ولا تبالوا بهم.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ بيان لـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لأنّهم يهود ونصارى، وتوسطت بين البيان والمبيّن جمل اعتراضية وهي قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ، وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾. ويجوز أن يكون بياناً لـ(أعدائكم) أو

---

(١) ساقطة من ج.

صلة لـ﴿نَصِيرًا﴾ أي: ينصركم من الذين هادوا كقوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾[1].

ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ على تقدير: من الذين هادوا قوم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ يعني: يميلونه عنها، لأنّهم إذا بدّلوه ووضعوا مكانه غيره فقد أمالوه عن موضعه الذي وضعه الله فيه وأزالوه عنه، كما حرّفوا (أسمر ربعة) عن موضعه في التوراة ووضعوا مكانه (آدم طوال).

وقولهم: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ معناه: اسمع منا مدعوّاً عليك بـ(لا سمعت)، أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه، فيكون ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حالاً من المخاطب.

﴿وَرَٰعِنَا﴾ مرّ معناه[2].

﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فتلاً بها وتحريفاً، أي: يفتلون بألسنتهم الحقّ إلى الباطل حيث يضعون ﴿رَٰعِنَا﴾ موضع ﴿ٱنظُرْنَا﴾، و﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ موضع لا أسمعت مكروهاً. أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقاً.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ﴾ منا ﴿وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ الضمير في ﴿كَانَ﴾ يرجع إلى ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾، لأنّ المعنى: ولو ثبت قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ لكأنّ قولهم ذلك ﴿خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ أي: أعدل وأسدّ.

﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أبعدهم عن رحمته.

---

(١) الأنبياء: ٧٧.

(٢) تقدم في البقرة: ١٠٤.

﴿بِكُفۡرِهِمۡ﴾ أي: بسبب كفرهم.

﴿فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا﴾ إيماناً ﴿قَلِيلٗا﴾ ضعيفاً لا إخلاص فيه، أو إلا قليلاً منهم قد آمنوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧﴾

أي: صدّقوا بما نزلناه من القرآن والأحكام على محمّد ﷺ ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ من التوراة.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ أي: نمحو آثارها وتخطيط صورها من عين وحاجب وأنف.

﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها، أو يريد ننكس وجوهاً إلى خلف وأقفاءها إلى قدام، أو يريد بالطمس: التغيير وبالوجوه الوجهاء والرؤساء، أي: من قبل أن نغيّر أحوال وجهائهم، فنسلبهم وجاهتهم وإقبالهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم.

﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾ الضمير يرجع إلى أصحاب الوجوه أو الوجهاء، أي: نخزيهم بالمسخ ﴿كَمَا﴾ مسخنا ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِ﴾.

وهذا الوعيد لليهود كان مشروطاً بالإيمان، فلما آمن جماعة منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعفة(١) ومخيريق(٢) وغيرهم، رفع العذاب عن غيرهم، وقيل:

---

(١) ثعلبة بن سعفة هو أحد الثلاثة الذين أسلموا يوم قريظة، قيل: إنه توفي في حياة النبي ﷺ. ينظر: الاستيعاب ج١: ٢٠١.

(٢) مخيريق النضري الإسرائيلي من بني النضر، وقيل: إنه من بني قينقاع، أسلم وشهد أُحداً وقُتل بها، ﷺ

هو منتظر ولابد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة[1].

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ فلابد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

هذه الآية أرجى آية في القرآن، لأنّ فيها إدخال جميع الذنوب التي هي دون الشرك الداخلة تحت عموم قوله: ﴿مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ في مشيئة الغفران، ألا ترى أنّه سبحانه نفى غفران الشرك أوّلاً، وقد حصل الإجماع على أنّه سبحانه يغفره بالتوبة، ثم أثبت غفران ما دون الشرك من المعاصي، فينبغي أن يكون المراد غفران من لم يتب منها ليخالف المنفي المثبت. ثم علّق المشيئة بالمغفور لهم فقال: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يغفر الذنوب التي هي دون الشرك لمن يشاء أن يغفر له من المذنبين، ليكون العبد واقفاً بين الخوف والرجاء خارجاً عن الإغراء، إذ الإغراء إنّما يحصل بالقطع على الغفران دون الرجاء للغفران المعلّق بالمشيئة.

وقال جار الله: إنّ المنفي والمثبت في الآية موجهان إلى قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ والمراد بالأوّل: من لم يتب، وبالثاني: من تاب[2].

وهذا الذي قاله غاية في الفساد والبطلان، لأنّه يكون معنى الآية إذ ذاك: أنّه سبحانه لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو غير التائب ويغفر لمن تاب منه، ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء وهو التائب ولا يغفر لمن لم يتب منه، فيصير المنفي والمثبت ـ كما ترى ـ سواء في الحكم والمعنى؟!. حاشا كلام الله الذي بهر العقول بفصاحته

↩أوصى إلى النبي ﷺ بجميع أمواله. ينظر: الإصابة ج ٣: ٣٩٣.

(١) عن المبرد. الكشف والبيان ج٣: ٣٢٤.

(٢) الكشاف ج ١: ٥٢٠.

عن مثل هذه النقيصة التي يربأ بكلام كل عاقل عنها.

على أنّ التوبة إذا حصلت أوجبت عنده إسقاط العقاب فكيف تعلّق بها المشيئة؟! وهل يستجيز عاقل أنّ يقول: أنا أقضي الدين إن شئت أو لمن شئت؟.

جلّ ربّنا عن مثله وتقدّس، اللهم لك الحمد على تأييدك وتسديدك.

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ﴾ أي: ارتكب ﴿إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ وهو مفتر في زعمه أنّ العبادة يستحقّها غير الله سبحانه.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ هم اليهود والنصارى قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[١]، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾[٢]. ويدخل في الآية كل من زكّى نفسه ووصفها بزيادة الطاعة والزلفى عند الله.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ إيذان بأنّ تزكية الله هي التي يعتدّ بها دون تزكية المرء نفسه، لأنّه سبحانه العالم بمن هو أهل التزكية.

﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ الضمير يرجع إلى ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ أي: لا يظلمون في تعذيبهم على تزكيتهم أنفسهم مقدار فتيل، وهو ما يكون في شق النواة؛ أو يرجع إلى ﴿مَن يَشَآءُ﴾ أي: يثابون ولا ينقص من ثوابهم.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ في زعمهم أنّهم أزكياء عند الله.

﴿وَكَفَىٰ﴾ بزعمهم هذا ﴿إِثۡمًا مُّبِينًا﴾ أي: بيّناً ظاهراً من بين سائر آثامهم.

---

(١) المائدة: ١٨.

(٢) البقرة: ١١١.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

الجبت: كل ما عبد من دون الله، والطاغوت: الشيطان.

روي: أنّ حييّ بن أخطب وكعب بن الأشرف خرجا مع جماعة من اليهود إلى مكة يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله ﷺ، فقالت قريش لهم: أنتم أقرب إلى محمّد منكم إلينا فلا نأمن مكركم، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم، ففعلوا، فهذا إيمانهم.

﴿بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ لأنّهم سجدوا للأصنام وأطاعوا الشيطان فيما فعلوا. وقال أبو سفيان: أنحن أهدى سبيلاً أم محمّد؟ فقال كعب: ماذا يقول محمّد؟ قالوا: يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك، قال: وما دينكم؟ قالوا: نحن ولاة البيت، نسقي الحاج، ونقري الضيف، ونفك العاني، وذكروا أفعالهم، فقال: أنتم أهدى سبيلاً[1].

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم الله من رحمته وخذلهم.

﴿وَمَن﴾ يلعنه ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ

(١) أسباب النزول: ١٠٨.

﴿ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾

وصف سبحانه اليهود بالبخل والحسد وهما شر الخصال، لأنّ البخيل يمنع ما أوتي من النعمة، والحاسد يتمنى أنّ تكون له نعمة غيره وزوالها عنه.

و﴿أَمۡ﴾ هذه منقطعة، والهمزة لإنكار أن يكون ﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ أي: ولو كان لهم نصيب من الملك ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ﴾ أحداً مقدار نقير، وهو النقرة في ظهر النواة، والملك: إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله كما في قوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾(١).

﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ﴾ بل أيحسدون ﴿ٱلنَّاسَ﴾ يعني: رسول الله والمؤمنين ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن﴾ النبوة والنصرة وزيادة العزّ كل يوم ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [هذا إلزام لهم بما عرفوه من أنّ الله تعالى آتى آل إبراهيم](٢) الذين هم أسلاف محمّد ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وهو التوراة والأنّجيل ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ وهي ما أعطوا من العلم.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾ وهو ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام.

﴿فَمِنۡهُم﴾ أي: من اليهود ﴿مَّنۡ ءَامَنَ﴾ بما ذكر من حديث آل إبراهيم ﴿وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُ﴾ أنكره مع علمه بصحته، أو يكون المعنى: فمن اليهود من آمن برسول الله، ومنهم من أنكر نبوته، أو فمن آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٣).

---

(١) الإسراء: ١٠٠.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) الحديد: ٢٦.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾

﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ﴾ أي: نلزمهم ﴿نَارٗا﴾ ونلقيهم فيها ونحرقهم بها.

﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ أبدلناهم إيّاها.

﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ أي: ليجدوا ألم العذاب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يمتنع عليه إنجاز ما وعده أو توعّد به ﴿حَكِيمٗا﴾ لا يعذب إلا من يستحقّه.

﴿لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ من الحيض والنفاس ومن جميع الدنايا والأدناس.

﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ أي: دائماً لا تنسخه الشمس. وهو وصف اشتق من لفظ الظل كما يقال: يوم أيوم، وليل أليل، وداهية دهياء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾

قيل: إنّ الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة من أمانات الله التي هي أوامره

ونواهيه، وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً فيه[١]، وقيل: الخطاب لولاة الأمر[٢] أمرهم الله بأداء الأمانات والحكم بالعدل. ثم أمر الرعية في الآية الأخرى بأن يسمعوا لهم ويطيعوا، ثم أكّد ذلك بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾. وروي عنهم عليهم السلام: ((أنّه أمر لكل واحد من الأئمّة أن يسلّم الأمر إلى ولي الأمر بعده))، وقالوا: ((إنّ الآية الأولى لنا والآية الأخرى لكم))[٣].

وقوله: ﴿نِعِمَّا﴾ أي: نعم شيئاً ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ فتكون ﴿مَا﴾ نكرة منصوبة موصوفة بـ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾، أو نعم الشيء الذي يعظكم به فتكون ﴿مَا﴾ مرفوعة موصولة والمخصوص بالمدح محذوف، أي: نعمّا يعظكم به ذاك وهو المأمور به من أداء الأمانات والحكم بالعدل.

وأولو الأمر: هم أمراء الحقّ وأئمّة الهدى الذين يهدون الخلق ويقضون بالحقّ، لأنّه لا يعطف على الله ورسوله في وجوب الطاعة، ولا يقرن بهما في ذلك إلا من هو معصوم مأمون منه القبيح أفضل ممن أمر بطاعته وأعلم، ولا يأمرنا الله عزّ اسمه بالطاعة لمن يعصيه، ولا بالانقياد لوالٍ علة حاجتنا إليه موجودة فيه.

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾ أي: فإن اختلفتم ﴿فِى شَىْءٍ﴾ من أمور دينكم ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: ارجعوا فيه إلى الرسول صلى الله عليه وآله في حياته، وإلى من أمر بالرجوع إليه بعد وفاته في قوله: ((إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))[٤]، فقد صرّح عليه السلام

---

(١) عن زيد بن اسلم وغيره. تفسير الطبري ج٥: ٩٢.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٥: ٩٣.

(٣) الكافي ج١: ٢٧٦.

(٤) بصائر الدرجات: ٤١٤، مسند أحمد ج٣: ١٤.

أنّ في التمسّك بهما الأمان من الضلال، فالردّ إلى أهل بيته العترة الملازمة كتاب الله الغير المخالفة له بعد وفاته مثل الردّ إليه في حياته، لأنّهم الحافظون لشريعته القائمون مقامه في أمّته، فثبت أنّ ﴿أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ هم الأئمّة عليهم السلام من آل محمّد.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الرد إلى الله والرسول ﴿خَيۡرٞ﴾ لكم.

﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ أي: وأحمد عاقبة.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾

كان بين رجل من المنافقين وبين رجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: أحاكم إلى محمّد لأنّه علم أنّه لا يقبل الرشوة، وقال المنافق: بل بيني وبينك كعب ابن الأشرف فنزلت[1].

سمّى الله كعب بن الأشرف طاغوتاً، لإفراطه في الطغيان وفي عداوة رسول الله، أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه، أو جعل سبحانه اختيار التحاكم إليه على التحاكم إلى رسول الله تحاكماً إلى الشيطان بدليل قوله: ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾.

فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾

---

(١) أسباب النزول: ١١٢.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾

﴿فَكَيۡفَ﴾ يكون حالهم ﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ أي: نالتهم من الله تعالى عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من التحاكم إلى غيرك وإظهار السخط لحكمك.

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ فيعتذرون إليك و﴿يَحۡلِفُونَ﴾ ما ﴿أَرَدۡنَآ﴾ بالتحاكم إلى غيرك ﴿إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا﴾ وهو التخفيف عنك ﴿وَتَوۡفِيقًا﴾ بين الخصمين بالتوسط، ولم نرد المخالفة لك والتسخط لحكمك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ من الشرك والنفاق.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم.

﴿وَعِظۡهُمۡ﴾ بلسانك ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ يبلغ من نفوسهم كل مبلغ، أي: خوّفهم بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق. ويجوز أن يكون المعنى: وقل لهم في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم فإنّ النصيحة في السر أنجع [أي أنفع][1].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾

---

(١) ساقطة من أ، ج، ط.

أي: ولم نرسل رسولاً من رسلنا قط ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بسبب إذن الله في طاعته، وبأنّه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنّه مؤد عن الله، فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين مما ارتكبوه ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ من ذلك بالإخلاص ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ ولم يقل: واستغفرت لهم، لكنه عدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله ﷺ وتعظيماً لاستغفاره، وتنبيهاً على أنّ شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ [لعلموه توّاباً][1]، أي: لتاب عليهم.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ معناه: فوربّك، و﴿لَا﴾ مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾[2] لتأكيد وجوب العلم، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جواب القسم.

﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلف بينهم، ومنه الشجر لتداخل أجزائه.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ أي: ضيقاً، أي: لا يضيق صدورهم من حكمك، وقيل: شكاً[3]، لأنّ الشاك في ضيق من أمره.

﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾ أي: وينقادوا أو يذعنوا لقضائك من قولك: سلّم لأمر الله وأسلم له.

﴿تَسْلِيمًا﴾ تأكيد للفعل بمنزلة تكريره.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) عن مجاهد تفسير الطبري ج٥: ١٠٠.

قيل: نزلت في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة[١]، فإنّهما اختصما إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل، فقال رسول الله ﷺ: ((اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك))، فغضب حاطب وقال: لئن كان ابن عمتك. فتغيّر وجه رسول الله ﷺ ثم قال: ((اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقّك ثم أرسله إلى جارك))[٢]. كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه، [فلما أحفظ رسول الله ﷺ استوعب للزبير حقّه في صريح الحكم][٣].

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾

أي: ﴿وَلَوْ﴾ أوجبنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم، ﴿أَوِ﴾ خروجهم ﴿مِن﴾ ديارهم ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا﴾ أناس ﴿قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾، وهذا توبيخ بليغ. والرفع على البدل من الواو في ﴿فَعَلُوا﴾، وقرئ: إلا قليلاً بالنصب على أصل الاستثناء، أو على: إلا فعلاً قليلاً.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من اتباع رسول الله ﷺ والانقياد له والرضا بحكمه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ عاجلاً وآجلاً ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لإيمانهم.

﴿وَإِذًا﴾ جواب لسؤال مقدّر، كأنّه قيل: وماذا يكون لهم أيضاً بعد التثبيت؟

---

(١) حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزّى، شهد بدراً والحديبية، وقصة كتابته إلى أهل مكة قبل الفتح مشهورة، توفي سنة ٣٠ هـ. الإصابة ج ١: ٣٠٠.

(٢) أسباب النزول: ١١٤.

(٣) ساقطة من ج.

فقيل: وإذاً لو ثبتوا ﴿لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾، لأن ﴿إِذٗا﴾ جواب وجزاء.

﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: وفّقناهم لازدياد الخيرات.

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾

رغّب الله المؤمنين في طاعة الله ورسوله حيث وعدهم مرافقة ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ في أعلى عليين ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ الذين صدقوا في أقوالهم وأفعالهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ المقتولين في الجهاد ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين صلحت حالهم واستقامت طريقتهم ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ فيه معنى التعجب، كأنّه قيل: وما أحسن أولئك رفيقاً!. والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه. ويجوز أن يكون مفرداً بيّن به الجنس في باب التمييز.

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾ صفته، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ الخبر. ويجوز أن يكون ﴿ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبر المبتدأ. والمعنى: إن ما أُعطي المطيعون من الأجر العظيم، ومرافقة أقرب عباد الله إلى الله؛ تفضّل عليهم من الله تبعاً لثوابهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾

الحِذر والحَذر بمعنى، يقال: أخذ حذره: إذا تيقّظ وتحفّظ من المخوف، كأنّه جعل الحذر آلته التي يحفظ بها نفسه. أي: احذروا واحترزوا من العدو، وعن

الباقر عليه السلام: ((خذوا أسلحتكم))[١] فسمّى الأسلحة حذراً لأنّ بها يتقى المحذور.

﴿فَٱنفِرُواْ﴾ إلى قتال عدوكم، أي: اخرجوا إلى الجهاد إما ﴿ثُبَاتٍ﴾ أي: جماعات متفرقة، وإما ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا.

واللام في ﴿لَمَن﴾ للابتداء، وفي ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ جواب قسم محذوف تقديره: وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن، والقسم وجوابه صلة ﴿مَن﴾.

والخطاب لعسكر النبي صلى الله عليه وآله، والمبطئون هم المنافقون، ومعنى ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: ليتثاقلنّ وليتخلفنّ عن الجهاد، وبطأ بمعنى أبطأ، ويقال: ما بطأ بك أي: أخّرك عنا، والتبطئة: التأخر عن الأمر فيعدّى بالباء، ويجوز أن يكون منقولاً من بطؤ فيكون المعنى: ليبطئنّ غيره وليثبطنّه عن الغزو.

﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ من قتل أو هزيمة ﴿قَالَ﴾ قول الشامت: ﴿قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾ أي: حاضراً في القتال فكان يصيبني ما أصابهم.

وإن ﴿أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من فتح أو غنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ يا ليتني.

وقوله: ﴿كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ﴾ اعتراض بين الفعل الذي هو ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ وبين مفعوله الذي هو ﴿يَٰلَيۡتَنِي﴾ يعني: كأن لم يتقدّم له معكم مودة.

﴿فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ أي: أصيب غنيمة وآخذ حظاً وافراً منها.

فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا
بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ
فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ

---

(١) التبيان ج٣: ٢٥٣.

أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

﴿يَشْرُونَ﴾ أي: يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية ويستبدلونها بها، ثم وعد المقاتل ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ظافراً أو مظفوراً به إيتاء الأجر العظيم.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ أي: أيّ عذر لكم في ترك القتال مع اجتماع الأسباب الموجبة للقتال.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعته وإعزاز دينه وإعلاء كلمته.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يكون مجروراً عطفاً على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [أي: في سبيل الله وفي](١) خلاص المستضعفين، أو منصوباً على الاختصاص بمعنى: وأختص من سبيل الله خلاص المستضعفين، لأنّ سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المؤمنين من أيدي الكفار من أعظم الخيرات وأخص القربات.

والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدّهم المشركون عن الهجرة، فبقوا بين أظهرهم يلقون منهم الأذى، فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه، فيسّر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة، وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير وليّ وخير ناصر وهو محمّدﷺ، فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أعزّ النصر، وكانوا قد أشركوا صبيانهم في دعائهم استنزالاً لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا، كما وردت السنّة بإخراجهم في الاستسقاء(٢)، وعن ابن عباس:

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) المبسوط للشيخ الطوسي ج١: ١٣٥.

(كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان)[١].

وذكّر الظالم وإن كان وصفاً للقرية لأنّه مسند إلى أهلها، فأُعطي إعراب القرية لأنّه صفتها، وذكّر لإسناده إلى الأهل.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾

هذا ترغيب للمؤمنين وإخبار بأنّهم أولياء الله والله ناصرهم، وأعداؤهم ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ﴾ الشيطان، فلا ولي لهم إلا الشيطان، و﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ للمؤمنين ضعيف وأوهن في جنب كيد الله للكافرين.

ودخل ﴿كَانَ﴾ هنا ليدلّ على أنّ الضعف لازم لكيد الشيطان في جميع الأحوال والأوقات.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾

﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ أي: كفّوها عن القتال، وكان المسلمون بمكة مكفوفين عن قتال الكفار، وكانوا يتمنّون أن يؤذن لهم فيه.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ بالمدينة كره فريق منهم ذلك خوفاً من القتل والإخطار بالروح.

﴿كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ إضافة للمصدر إلى المفعول، ومحلّ الكاف النصب على

---

(١) صحيح البخاري ج١: ٢٣٥.

الحال من الضمير في ﴿يَخْشَوْنَ﴾ أي: يخشون الناس مثل أهل خشية الله، بمعنى مشبّهين لأهل خشية الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [من أهل خشية الله، وليس التقدير: يخشون خشية مثل خشية الله، لأنّ ﴿أَشَدَّ خَشْيَةً﴾][1] معطوف عليه، ولا تقول: خشي فلان أشدّ خشية، فتنصب (خشية) وأنت تريد المصدر، وإنّما تقول: أشدّ خشية بالجر، وإذا نصبتها كان (أشدّ) حالاً من الفاعل.

﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ استمهال إلى وقت آخر، فأعلمهم سبحانه أنّ ما يستمتع به من منافع ﴿ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا تبخسون أدنى شيء من أجوركم على مشاق المقاتلة فلا ترغبوا عنها.

أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟﴾ من الأماكن يلحقكم ﴿ٱلْمَوْتُ﴾ وإن ﴿كُنتُمْ فِى﴾ قصور ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ مجصصة أو مطولة في ارتفاع، وقيل: في بروج السماء[2].

والحسنة تقع على النعمة والطاعة، والسيئة تقع على البلية والمعصية، قال الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3]. المعنى: وإن تصبهم

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن سفيان. الدر المنثور ج٢: ١٨٤.

(٣) الأعراف: ١٦٨.

نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله، وإن تصبهم بلية من جدب وقحط نسبوها إليك، وقالوا: هي ﴿مِنۡ عِندِكَ﴾ وبشؤمك كما حكي عن قوم موسى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾[1]، وعن قوم صالح: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾[2].

وإنّما قاله اليهود والمنافقون فردّ الله عليهم ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ يبسط الأرزاق ويقبضها يبتلي بذلك عباده.

﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ فيعلموا أنّ الله هو الباسط والقابض، وأفعاله كلها صادرة عن حكمة وصواب.

ثم قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ يا إنسان خطاباً عاماً ﴿مِنۡ حَسَنَةٖ﴾ من نعمة وإحسان ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ تفضّلاً منه وامتناناً وامتحاناً.

﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ﴾ أي: بلية ومصيبة ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ لأنّك السبب فيها بما اكتسبت من الذنوب، ومثله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[3].

﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ﴾ جميعاً ﴿رَسُولٗاۚ﴾ لست برسول للعرب وحدهم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ على ذلك فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ

(١) الأعراف: ١٣١.

(٢) النمل: ٤٧.

(٣) الشورى: ٣٠.

﴿عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١﴾

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأنّه إنّما يأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه، فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة الله.

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أي: أعرض ولم يطع ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ بل نذيراً، إن عليك إلا البلاغ، وما عليك أن تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم.

﴿وَيَقُولُونَ﴾إذا أمرتهم بشيء: ﴿طَاعَةٞ﴾ أي: أمرنا وشأننا طاعة، كأنّهم قالوا: قابلنا أمرك بالطاعة.

﴿فَإِذَا بَرَزُواْ﴾ أي: خرجوا ﴿مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ﴾ [أي: دبّر طائفة ﴿مِّنۡهُمۡ﴾][(١)] ليلاً.

﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُ﴾ أي: خلاف ما قلت وأمرت به، أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة، لأنّهم نافقوا بما قالوا وأبطنوا خلاف ما أظهروا. والتبييت: إما من البيتوتة لأنّها تدبير الأمر بالليل، يقال: هذا أمر بيّت بليل، وإما من أبيات الشعر لأنّ الشاعر يدبّرها ويسويها.

﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ أي: يثبته في صحائف أعمالهم، وهذا وعيد.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ وأبق عليهم إلى أن يستقر أمر الإسلام.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في شأنهم فإنّ الله ينتقم لك منهم.

---

(١) ساقطة من ج.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

التدبّر: النظر في أدبار الأمور وتأمّلها، ثم استعمل في كل تأمّل، ومعنى تدبّر القرآن: تأمّل معانيه.

﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ لكان الكثير منه مختلفاً متناقضاً متفاوتاً نظمه ومعانيه، فكان بعضه معجزاً، وبعضه غير معجز يمكن معارضته، وبعضه إخباراً لا يوافق المخبر عنه، فلما تناسب كله فصاحة فاقت قوى الفصحاء، وصحة معان، وصدق أخبار، علم أنّه ليس إلا من جهة الله تعالى.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ﴾ يعني: ناساً من المنافقين أو من ضعفة المسلمين، كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله من أمن وسلامة أو خوف وضرر ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾، وكانت إذاعتهم مفسدة. وقيل: كانوا إذا وقفوا من رسول الله ﷺ وأولي الأمر على أمن، أي: وثوق بالظفر على الأعداء أو خوف منهم أذاعوه[١].

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ يعني: رسول الله ﷺ.

﴿وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ قيل: هم أهل العلم والفقه الملازمون للنبي ﷺ[٢]،

(١) التبيان ج٣: ٢٧٢.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٥: ١١٥.

وقيل: هم أمراء السرايا والولاة[١]، وقال الباقر عليه السلام: ((هم الأئمّة المعصومون))[٢].

﴿لَعَلِمَهُ﴾ أي: لعلم صحته ﴿الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ من الرسول وأولي الأمر، ولعرفوا هل هو مما يذاع أو لا يذاع.

ومعنى ﴿يَسْتَنبِطُونَهُ﴾: يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم، وعلى هذا فالذين يستنبطونه هم الذين أذاعوا به، وقيل: معناه لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبّرونه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بإرسال الرسول وإنزال الكتاب. وعنهم عليهم السلام: ((فضل الله ورحمته: النبي وعلي عليهما السلام))[٣].

﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فيما يلقي إليكم من الوساوس الموجبة لضعف اليقين والبصيرة، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم وهم أهل البصائر النافذة وذوو الصدق واليقين.

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾

لما تقدّم في الآي قبلها تثبيطهم عن القتال، قال: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إن أفردوك وتركوك وحدك ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ غير ﴿نَفْسَكَ﴾ وحدها أن تقدّمها إلى الجهاد، فإنّ الله سبحانه هو ناصرك لا جنودك، فإن شاء نصرك وحدك كما ينصرك

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٥: ١١٥.

(٢) تفسير العياشي ج١: ٢٦٠.

(٣) تفسير العياشي ج١: ٢٦١.

وحولك الجنود. وروي: إنّ أبا سفيان يوم أُحد لما رجع واعد رسول الله ﷺ موسم بدر الصغرى فكره الناس وتثاقلوا حين بلغ الميعاد فنزلت، فخرج النبي ﷺ وما معه إلا سبعون، ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده[١].

﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وما عليك في شأنهم إلا التحريض.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهم قريش، وقد كفّ بأسهم بأن بدا لأبي سفيان وقال: هذا عام مجدب، وانصرف النبي ﷺ بمن معه سالمين.

﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ من قريش ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً.

الشفاعة الحسنة هي التي يدفع بها شر عن مسلم وابتغي بها وجه الله، والسيئة ما كان خلاف ذلك، وقيل: الشفاعة الحسنة: الدعوة للمسلم[٢]، لأنّها في معنى الشفاعة إلى الله. وفي الحديث: ((من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب أستجيب له، وقال له الملك: ولك مثلاه))[٣] فذلك النصيب، والدعوة على المسلم بضد ذلك. وأصل الشفاعة من الشفع الذي هو ضد الوتر، فإنّ الرجل إذا شفع لصاحبه فقد شفعه أي: صار ثانيه. والكفل: النصيب أيضاً وكأنّه النصيب من الشر. والمقيت: الحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة، وقيل: هو المقتدر[٤].

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾

---

(١) الكشف والبيان ج٣: ٣٥٢.

(٢) عن الجبائي. التبيان ج٣: ٢٧٦.

(٣) الكافي ج٢: ٥٠٧، صحيح ابن حبّان ج٣: ٢٦٨.

(٤) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج٥: ١١٨.

أمر سبحانه بردّ السلام على المسلم ﴿بِأَحْسَنَ﴾ مما سلّم وهو أن يقول: وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال: السلام عليكم، وأن يزيد (وبركاته) إذا قال: السلام عليكم ورحمة الله.

﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ أو أجيبوها بمثلها، وردّ السلام: رجع جوابه بمثله. وجواب التسليم واجب، والتخيير إنّما وقع بين الزيادة وتركها، وعن النبيﷺ: ((إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم))[1] أي: وعليكم ما قلتم، لأنّهم كانوا يقولون: السام عليكم، والسام: الموت.

والحسيب: المحاسب الحفيظ.

و﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إما خبر المبتدأ، وإما اعتراض، والخبر ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ [ومعناه: والله ليجمعنكم][2] أي: ليحشرنكم.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهو يوم قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: موعداً لا خلف لوعده.

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)﴾

﴿فِئَتَيْنِ﴾ نصب على الحال تقول: مالك قائماً، أي: ما ﴿لَكُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى﴾ شأن ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أو تفرّقتم فيه فرقتين ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ من

---

(١) صحيح البخاري ج٤: ٩١، وانظر الكافي ج٢: ٦٤٩.

(٢) ساقطة من ط.

لحوقهم بالمشركين. وهم قوم قدموا من مكة وأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة فأظهروا الشرك، ثم سافروا إلى اليمامة، فاختلف المسلمون في غزوهم فقال بعضهم: إنّهم مسلمون.

والإركاس: الرد، أي: أركسهم في الكفر، بأن خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا﴾ أي: تجعلوا من جملة المهتدين من جعله الله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك، أو خذله حتى ضل.

وقوله: ﴿فَتَكُونُونَ﴾ عطف على ﴿تَكْفُرُونَ﴾، والمعنى: ﴿وَدُّوا﴾ كفركم فكونكم معهم شرعاً سواء فيما هم عليه من الضلال، فلا تتولوهم وإن آمنوا.

﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ هجرة صحيحة هي لله لا لغرض من أغراض الدنيا.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان المصاحب للهجرة المستقيمة، فحكمهم حكم سائر المشركين أن يقتلوا حيث وجدوا في أرض الله من الحلّ والحرم.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ﴾ خليلاً ولا ناصراً، وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم.

إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

هو استثناء من قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾.

ومعنى ﴿يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾: ينتمون إليهم ويتصلون بهم بحلف أو جوار.

﴿بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ أي: موادعة وعهد. وهؤلاء القوم هم الأسلميون وادعهم رسول الله وقت خروجه إلى مكة وواثق عنهم هلال بن عويمر الأسلمي[١] على أن لا يعين رسول الله ولا يعين عليه، وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال.

و﴿جَآءُوكُمۡ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على صفة ﴿قَوۡمِۭ﴾ كأنّه قيل: إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين، أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم، أو على صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ كأنّه قيل: إلا الذين يصلون إلى المعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم.

﴿حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ [في موضع الحال بإضمار (قد)، ويدلّ عليه قراءة من قرأ: حَصِرَةً صدروهم][٢]، وقيل: هو صفة لموصوف محذوف أي: جاؤوكم قوماً حصرت صدورهم. وقيل: هو بيان لجاؤوكم، وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله ﷺ غير مقاتلين[٣]. والحصر: الضيق والانقباض.

﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ عن أن يقاتلوكم، أو كراهة أن يقاتلوكم.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡ﴾ هذا إخبار عن المقدور، وليس فيه أنّه يفعل ذلك أو يأذن لهم فيه، بل قذف سبحانه الرعب في قلوبهم حتى طلبوا الموادعة، ولولم يقذفه لكانوا مسلّطين أي: مقاتلين غير كافين.

﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ﴾ فإن لم يتعرضوا لكم.

﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: الاستسلام والانقياد.

﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ أي: فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم.

---

(١) الكشف والبيان ج٣: ٣٥٧.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) عن ابن عباس الكشف والبيان ج٣: ٣٥٧.

سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟
إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟
أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ
جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

هم قوم من بني أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم نكثوا عهدهم وكفروا.

﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين قلبوا ﴿فِيهَا﴾ أقبح قلب، وكانوا شراً فيها من كل عدو.

﴿فَإِن لَّمْ﴾ يعتزل هؤلاء قتالكم ولم يستسلموا لكم ولم يكفّوا ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم فأسروهم ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي: حيث تمكّنتم منهم.

﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ أي: حجّة واضحة لظهور عداوتهم وكفرهم وإضرارهم بأهل الإسلام، وقيل: تسلطاً ظاهراً حيث أذنّا لكم في قتلهم وأسرهم[1].

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا
خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن
يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم
مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ
فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

---

(١) الكشاف ج١: ٥٤٨.

﴿وَمَا ﴾ صح ﴿لِمُؤْمِنٍ﴾ ولا استقام له وما لاق بحاله، كقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾[١]، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾[٢].

﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ ابتداء غير قصاص.

﴿إِلَّا خَطَئًا﴾ إلا على وجه الخطأ، وانتصب ﴿خَطَئًا﴾ على أنّه مفعول له، أي: ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى: لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ؛ أو صفة للمصدر أي: إلا قتلاً خطأ. والمعنى: إنّ من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداءً البتة، إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي شخصاً على أنّه كافر فيكون مسلماً أو نحو ذلك.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فعليه تحرير رقبة، والتحرير: الإعتاق، والحر: الكريم، والعتيق كذلك لأنّ الكرم في الأحرار، ومنه: عتاق الطير، وعتاق الخيل لكرامهما، وحر الوجه: أكرم موضع منه، والرقبة عبارة عن النسمة.

﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي: مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث، والدية على عاقلة القاتل ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ أي: يتصدّق أولياء المقتول بالدية ومعناه: العفو، وفي الحديث: ((كل معروف صدقة))[٣].

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ أي: قوم كفار محاربين لكم ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يعني: أن يكون آمن بالنبي ﷺ وهو بين ظهراني قومه لم يفارقهم بعد، فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ، وليس على عاقلته لأهله شيء لأنّهم كفار.

---

(١) آل عمران: ١٦١.

(٢) الأعراف: ٨٩.

(٣) الكافي ج٤: ٢٦، صحيح البخاري ج٤: ٥٤.

﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾ أي: عهد وذمة وليسوا أهل حرب ﴿فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ تلزم عاقلة قاتله ﴿وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ﴾ تلزم قاتله.

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ رقبة أي: لم يملكها فعليه صيام ﴿شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ قبولاً من الله، من تاب الله عليه أي: شرع ذلك توبة منه.

وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾

في هذه الآية من التهديد والوعيد أمر عظيم وخطب جسيم، ولذلك قال بعض أصحابنا: إنّ قاتل المؤمن لا يوفّق للتوبة[١]، على معنى أنّه لا يختار التوبة. وعن الصادق عليه السلام: ((إنّ معنى التعمّد: أن يقتله على دينه))[٢]، وعن عكرمة وجماعة: (هو أن يقتله مستحلاً لقتله)[٣].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾

وقرئ: فتثبّتوا، وهما جميعاً من التفعّل بمعنى الاستفعال، أي: اطلبوا بيان الأمر وثباته، ولا تعجلوا في القتل من غير روية.

---

(١) التبيان ج٣: ٢٩٥.

(٢) تفسير العياشي ج١: ٢٦٧.

(٣) التبيان ج٣: ٢٩٥.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ أي: حياكم بتحية أهل الإسلام، ومن قرأ: السلم، فهو الاستسلام، وقيل: الإسلام، وقرئ: لست مؤمَناً ـ بفتح الميم ـ من آمنه، أي: لا تقولوا له: لا نؤمنك.

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: تطلبون الغنيمة التي هي حطام الدنيا، وهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبّت وقلة البحث عن حال من تقتلونه.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام لتأخذوا ماله.

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أوّل ما دخلتم في الإسلام، سُمعت من أفواهكم كلمة الشهادة، فحصنت دماؤكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاستقامة والاشتهار بالإيمان.

﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ تكرير للأمر بالتبيّن ليؤكد عليهم.

لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

قرئ: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة لـ﴿ٱلْقَـٰعِدُونَ﴾، وبالنصب استثناء منهم أو حالاً عنهم.

والضرر: المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها، عن ابن

عباس: (لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها)[١]، وعن مقاتل[٢]: (عن تبوك)[٣].

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين، كأنّه قيل: ماهم لا يستوون؟ فأجيب بذلك، والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر، لكون الجملة بياناً للجملة الأولى المتضمّنة لهذا الوصف.

﴿وَكُلّٗا﴾ أي: وكل فريق من المجاهدين والقاعدين.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: المثوبة الحسنى وهي الجنّة، وإن كان المجاهدون مفضّلين ﴿عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗ﴾. وعن النبي ﷺ: ((لقد خلّفتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم))[٤]، وهم الذين صحّت نياتهم، ونصحت جيوبهم، وهوت أفئدتهم إلى الجهاد، وقد منعهم من المسير ضرر أو غيره.

ذكر سبحانه المفضّلين ﴿دَرَجَةٗ﴾ ثم ذكر المفضّلين ﴿دَرَجَٰتٖ﴾، والأولون هم الذين فضّلوا على القاعدين الأضراء، والآخرون هم الذين [فضّلوا على القاعدين الذين][٥] أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم، لأنّ الجهاد فرض على الكفاية.

---

(١) تفسير الطبري ج٥: ١٤٥.

(٢) مقاتل بن سليمان الخراساني مولى الأزد أصله من بلخ ثم انتقل الى البصرة وبها مات. ينظر: المجروحين من المحدثين ج٣: ١٤، معجم رجال الحديث ج١٩: ٣٣٧.

(٣) الكشاف ج١: ٥٥٣.

(٤) صحيح البخاري ج٣: ٩٠.

(٥) ساقطة من أ.

و﴿دَرَجَةً﴾ انتصبت لوقوعها موقع المرة، كأنّه قال: فضّلهم تفضيلة، نحو ضربه سوطاً بمعنى: ضربة.

وانتصب ﴿أَجْرًا﴾ بـ﴿فَضَّلَ﴾ أيضاً، لأنّه في معنى آجرهم أجراً. و﴿دَرَجَٰتٍ﴾ و﴿مَغْفِرَةً﴾ و﴿رَحْمَةً﴾ بدل من ﴿أَجْرًا﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾

﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ يجوز أن يكون ماضياً كقراءة من قرأ: توفتهم، [ويجوز أن يكون][1] مضارعاً بمعنى تتوفاهم، وقرئ في الشواذ: تُوَفّاهم فيكون مضارع وُفيت.

والمعنى: إنّ الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها، أي: يمكنهم من استيفائها فيستوفونها.

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في حال ظلمهم أنفسهم.

﴿قَالُوا۟﴾ أي: قال الملائكة للمتوفين: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟.

﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهم جماعة أسلموا بمكة ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة، فلما خرج المشركون إلى بدر لم يخلّفوا أحداً إلا صبياً [أو

---

(١) ساقطة من ب، ج.

مريضاً][١] أو شيخاً كبيراً، فخرج هؤلاء معهم فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا، فأصيبوا فيمن أصيب من المشركين، فنزلت الآية[٢].

وصحّ قولهم: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ جواباً عن ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾، لأنّه كالتوبيخ لهم بأنّهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا، فاعتذروا مما وبخوا به بالاستضعاف وأنّهم لم يتمكّنوا من الهجرة، فبكتتهم الملائكة بأن قالوا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ أي: كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم. وهذا يدلّ على أنّ الإنسان إذا كان في بلد لا يتمكّن فيه من إقامة أمر الدين لبعض العوائق، وعلم أنّه في غير بلده أقوم بحقّ الله وجبت عليه المهاجرة. وفي الحديث: ((من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنّة، وكان رفيق إبراهيم ومحمّد عليهما السلام))[٣].

ثم استثنى من أهل الوعيد ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ في الخروج، لفقرهم وعجزهم وقلة معرفتهم بالطرق.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان، وجاز ذلك وإن كانت الجمل يجب كونها نكرات، لأنّ الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه، كقول الشاعر:

وَلَقَـدْ أَمُـرُّ عَـلى اللَئِيـمِ يَسُـبُّنِي[٤]

---

(١) ساقطة من ط.

(٢) أسباب النزول: ١٢٢.

(٣) الكشف والبيان ج٣: ٣٧٢.

(٤) البيت لرجل من بني سلول. الكتاب ج٣: ٢٤، وبقيته: فمضيت ثمت قلت لايعنيني.

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿مُرَاغَمًا﴾ أي: مهاجراً وطريقاً يراغم بسلوكه قومه، أي: يفارقهم على رغم أنوفهم، والرغم: الذل والهوان، وأصله لصوق الأنف بالرغام، وهو التراب، قال النابغة الجعدي:

كَطَـوْدٍ يُـلاَذُ بِأَرْكَانِـهِ عَزِيـزِ المَرَاغِـمِ وَالمَهْـرَبِ[١]

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ فقد وجب ثوابه على الله، وأصل الوجوب السقوط، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾[٢] يعني فقد علم الله كيف يثيبه، وذلك واجب عليه.

وكل هجرة لغرض ديني من طلب علم، أو حج، أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة، أو زهداً في الدنيا؛ فهي هجرة إلى الله ورسوله.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

الضرب في الأرض هو السفر، أي: إذا سافرتم ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ حرج وإثم في ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ﴾ عدد ﴿الصَّلَاةِ﴾ فتصلّوا الرباعيات ركعتين ركعتين.

والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة، وهو قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن

---

(١) ديوان النابغة الجعدي: ٤٤، وفي النسخ: المضطرب بدل المهرب.

(٢) الحج: ٣٦.

﴿يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، أما في حال الأمن فبنصّ النبيﷺ[١]، وهو عزيمة واجبة غير رخصة عند أبي حنيفة[٢]، وهو مذهب أهل البيت[٣]، وعند الشافعي رخصة[٤].

وإنّما قال: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾ في الواجب لئلا يخطر ببالهم أنّ عليهم نقصاناً في القصر، فهو مثل قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٥]. والمراد بالفتنة في الآية: القتال والتعرّض بما يكره، فإنّهم كانوا يخافون الكفار في عامة أسفارهم.

وحدّ السفر الذي فيه القصر عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيّام بلياليهن سير الإبل[٦]، وعند الشافعي مسيرة يومين[٧]، وعند أهل البيت مسيرة يوم واحد، وهي ثمانية فراسخ أربعة وعشرون ميلاً[٨]. وأجمعت الطائفة على أنّه ليس بقصر، بل فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر وأربعاً أربعاً في الحضر[٩].

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن

(١) رجال الكشي ج١: ١٦٧، التمهيد ١٦: ٢٩٦.

(٢) المبسوط للسرخسي ج١: ٢٣٩.

(٣) ينظر: الوسائل ج٥ باب ١ من ابواب صلاة المسافر.

(٤) كتاب الأم ج١: ١٥٩.

(٥) البقرة: ١٥٨.

(٦) المبسوط للسرخسي ج٢: ١٠٧.

(٧) كتاب الأم ج١: ١٦٢.

(٨) من لا يحضره الفقيه ج١: ٢٧٩.

(٩) التبيان ج٣: ٣٠٧.

وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾

﴿فِيهِمْ﴾ الضمير للخائفين.

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ فاجعلهم طائفتين، فلتقم إحدى الطائفتين معك فصلّ بهم.

﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ الضمير للمصلين يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة، كالسيف يتقلّدونه والخنجر يشدّونه إلى دروعهم ونحوهما.

﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ وفرغوا من سجودهم.

﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ أي: فليصيروا بعد فراغهم من السجود مصافين للعدو.

وعندنا: إنّهم يصلّون الركعة الأخرى ويتشهدون ويسلّمون، وينصرفون إلى مواقف أصحابهم، والإمام قائم في الثانية، ويجيء الآخرون فيستفتحون الصلاة ويصلّي بهم الإمام الركعة الثانية، ويطيل التشهد حتى يقوموا فيصلّوا بقية صلاتهم ثم يسلّم بهم[1]، وذلك قوله: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾.

---

(١) تهذيب الأحكام ج٣: ١٧١.

﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡ﴾ جعل الحذر وهو التحرّز كأنّه آلة يستعملها الغازي، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ، كما جعل الإيمان مستقراً ومتبوّءاً لتمكّنهم فيه في قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾[1].

﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: تمنّوا ﴿لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ﴾ تشتغلون عن أخذها في القتال.

﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم﴾ فيشدّون عليكم شدة واحدة.

ثم رخصّ لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها إذا نالهم ﴿أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ﴾ مرض، وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيحمل عليهم العدو.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ هذا إخبار بأنّه سبحانه يهين عدوهم ليقوي قلوبهم.

فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

﴿فَإِذَا﴾ صليتم في حال الخوف والقتال ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ فصلّوا ﴿قِيَٰمٗا﴾ مسايفين ﴿وَقُعُودٗا﴾ جاثين على الركب مرامين ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾ مثخنين بالجراح.

﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ﴾ حين تضع الحرب أوزارها واستقررتم وأمنتم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فأتموا حدود الصلاة.

---

(١) الحشر: ٩.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾ أي: محدوداً بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في حال خوف كنتم أو أمن.

وقيل: معناه: فإذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مكبّرين ومهللين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع، فإذا اطمأننتم فإذا أقمتم فأتموا الصلاة.

﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ ولا تضعفوا في طلب الكفار، ثم ألزمهم الحجّة بأن قال: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ﴾ فإنّ ذلك أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم، ثم إنّهم يصبرون عليه ويتشجعون، فمالكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنّكم أولى منهم بالصبر!، لأنّكم ﴿تَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾ من الظفر بهم في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما يعلم أنّ فيه صلاحكم.

إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ
ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ
ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ
مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ
جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾

يروى: إنّ أبا طعمة بن أبيرق سرق درعاً من جار له اسمه قتادة بن النعمان[١]

(١) قتادة بن النعمان بن زيد الأنصاري الظفري، عقبي شهد بدراً والمشاهد كلها، توفي سنة ٢٣ هـ وقيل

وخبأها عند رجل من اليهود، فأخذ الدرع من منزل اليهودي، فقال: دفعها إليّ أبو طعمة، فجاء بنو أبيرق إلى رسول الله فكلّموه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي. فهمّ رسول الله أن يفعل وأن يعاقب اليهودي، فنزلت[١].

﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أي: بما عرّفك الله وأوحى إليك.

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ أي: لأجل الخائنين مخاصماً للبراء.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما هممت به من عقاب اليهودي.

﴿يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية، [جعلت معصية][٢] العصاة خيانة منهم لأنفسهم، كما جعلت ظلماً لها لأنّ الضرر راجع إليهم، ونحوه: ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾[٣].

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يستترون من الناس حياء منهم وخوفاً من ضررهم ﴿وَلَا﴾ يستترون ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ ولا يستحيون منه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ عالم بأحوالهم.

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبّرون ويزوّرون بالليل ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ﴿هَا﴾ للتنبيه في ﴿أَنتُمْ﴾ و﴿أُوْلَآءِ﴾ وهما مبتدأ وخبر، و﴿جَٰدَلْتُمْ﴾ جملة مبيّنة لوقوع ﴿أُوْلَآءِ﴾ خبراً، كما تقول للرجل السخي: أنت حاتم تجود بمالك. والمعنى: هبوا أنّكم خاصمتم عن بني أبيرق ﴿فِي﴾ الدنيا

↵ ٢٤ هـ. ينظر: الاستيعاب ج٣: ٢٤٨.

(١) أسباب النزول: ١٢٤.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) البقرة: ١٨٧.

﴿فَمَن﴾ يخاصم ﴿عَنْهُمْ﴾ في الآخرة إذا عذّبهم الله.

﴿وَكِيلًا﴾ أي: حافظاً من بأس الله ونقمته.

وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ
يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا
يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ
عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

﴿سُوٓءًا﴾ أي: قبيحاً متعدّياً يسوء به غيره، كما فعل أبو طعمة بقتادة واليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بما يختص به، وقيل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ أي: ذنباً دون الشرك ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بالشرك. وفيه: إنّ كل ذنب وإن عظم فإنّه غير مانع من المغفرة إذا استغفر منه.

﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي: لا يتعدّى ضرره إلى غيره.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ أي: ذنباً على غير عمد.

﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أي: ذنباً تعمّده.

﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ كما رمى به أبو طعمة غيره.

﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ لأنّه بكسب الإثم آثم، وبرمي البريء به باهت، فهو جامع بين الأمرين.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ أي: عصمته وألطافه وإطلاعه إيّاك على سرّهم.

﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحقّ وسلوك طريق العدل ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ لأنّ وباله عليهم.

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖ﴾ فإنّ الله حافظك وناصرك ومؤيدك.

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾ القرآن والسنة.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ﴾ من خفيّات الأمور، أو من أمور الدين وأحكام الشرع.

لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦

﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن﴾ تناجي الناس ﴿إِلَّا﴾ نجوى ﴿مَنۡ أَمَرَ﴾، على أنّه مجرور بدل من ﴿كَثِيرٖ﴾، كما تقول: لا خير في قيامهم إلا قيام فلان، ويجوز أن يكون منصوباً على الاستثناء المنقطع أي: لكن ﴿مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ ففي نجواه الخير. وقيل: المعروف: القرض[١]، وقيل: هو عام في كل جميل[٢]. والإصلاح بين

(١) عن مقاتل بن حيان. الدر المنثور ج٢: ٢٢٠.

(٢) معالم التنزيل ج١: ٢٥٥.

الناس: التأليف بينهم بالمودة. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم))[١].

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي.

﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ نجعله والياً لما تولى من الضلال، بأن نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ تكرير للتأكيد، وقيل: كرر لقصّة أبي طعمة[٢].

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ هي اللات والعزّى ومناة. وعن الحسن: (لم يكن حيّ من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمّونه أنثى بني فلان)[٣]، وقيل: كانوا يقولون في أصنامهم: هن بنات الله، وقيل: المراد الملائكة لقولهم: الملائكة بنات الله[٤].

---

(١) تفسير القمي ج١: ١٤١.

(٢) التبيان ج٣: ٣٢٩.

(٣) تفسير الطبري ج٥: ١٧٩.

(٤) عن الضحاك. تفسير الطبري ج٥: ١٧٩.

﴿وَإِن يَدۡعُونَ﴾ أي: وما يدعون بعبادة الأصنام ﴿إِلَّا شَيۡطَٰنًا﴾ لأنّه الذي أغراهم بعبادتها فأطاعوه، فجعل طاعتهم له عبادة.

وقوله: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ صفتان، يعني: ﴿شَيۡطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ جامعاً بين لعنة الله وهذا القول الشنيع.

﴿نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا﴾ مقطوعاً واجباً فرضته لنفسي، وهو من قولهم: فرض له في العطاء.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾ الأماني الكاذبة من طول العمر وبلوغ الأمل.

وتبتيكهم ﴿ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ هو ما فعلوه بالبحائر، كانوا يشقّون أذنها إذا ولدت خمسة أبطن والخامس ذكر.

وتغييرهم ﴿خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾ هو فقؤهم عين الحامي[1] وإعفاؤه من الركوب، وقيل: هو الخصاء[2]، وقيل: فطرة الله التي هي دين الإسلام وأمره[3]، وقيل للحسن: (إنّ عكرمة يقول: هو الخصاء، فقال: كذب عكرمة، هو دين الله)[4]، وعن ابن مسعود: (هو الوشم)[5].

﴿يَعِدُهُمۡ﴾ الفقر إن أنفقوا مالهم.

﴿وَيُمَنِّيهِمۡ﴾ طول البقاء في الدنيا ودوام نعيمها ليؤثروها على الآخرة.

---

(١) الحامي: الفحل من الإبل الذي طال مكثه عندهم. (الصحاح: مادة حمى)

(٢) عن عكرمة وغيره. تفسير الطبري ج٥: ١٨١.

(٣) عن الضحاك. تفسير الطبري ج٥: ١٨٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج٥: ١٨٢.

(٥) تفسير الطبري ج٥: ١٨٣.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ
أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن
ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا
يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ
وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا
﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ
شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗا﴾ مصدران مؤكدان: الأوّل مؤكد لنفسه، التقدير: وعد الله ذلك وعداً، والثاني مؤكد لغيره، التقدير: أحقّه حقّاً. ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ توكيد آخر بليغ، و﴿قِيلٗا﴾ نصب على التمييز.

وفي ﴿لَّيۡسَ﴾ ضمير ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس ينال ما وعد الله من الثواب ﴿بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ والخطاب للمسلمين، وعن الحسن: (ليس الإيمان بالتمنّي، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل)[1]. وقيل: إنّ الخطاب للمشركين[2] قالوا: إن كان الأمر على ما يزعم هؤلاء لنكوننّ خيراً منهم

(١) الدر المنثور ج٢: ٢٢٦.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٥: ١٨٦.

وأحسن حالاً: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[١]، ﴿إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾[٢]، وقال أهل الكتاب: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[٣].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ (من) للتبعيض، أي: ومن يعمل بعض الصالحات، و(من) في قوله: ﴿ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ لتبيين الإبهام في ﴿مَن يَعْمَلْ ﴾.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ أي: ولا يبخسون مقدار نقير مما يستحقّونه من الثواب.

و﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾ أي: أخلص نفسه ﴿لِلَّهِ ﴾ وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربّاً ومعبوداً سواه.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: فاعل للفعل الحسن، أو هو محسن في جميع أفعاله، وفي الحديث: ((الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك))[٤].

﴿حَنِيفًا ﴾ حال من المتبع.

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ عبارة عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله. والخليل: الذي يخالّك، أي: يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقك، من الخل وهو الطريق في الرمل، أو يسدّ خللك كما تسدّ خلله. وهي جملة اعتراضية لا محلّ لها من الإعراب، وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ متصل بذكر الصالحين والطالحين، أي: إنّ من له ملك أهل السماوات والأرض فطاعته واجبة عليهم.

---

(١) مريم: ٧٧.

(٢) فصلت: ٥٠.

(٣) المائدة: ١٨.

(٤) صحيح البخاري ج١: ١٩.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ فيعلم أعمالهم ويجازيهم عليها.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ في محلّ الرفع على العطف، أي: ﴿ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾، والمتلو ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ في معنى ﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يعني قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾[1] وهو نحو قولك: أعجبني زيد وكرمه، فيكون ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ من صلة ﴿يُتْلَىٰ﴾. ويجوز أن يكون ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ بدلاً من ﴿فِيهِنَّ ﴾، وهذه الإضافة أعني ﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ بمعنى: (من) نحو ثوب خز، وسحق عمامة.

﴿ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ ﴾ أي: لا تعطونهن.

﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ أي: ما فرض لهن من الميراث، وكان الرجل منهم يضمّ اليتيمة ومالها إلى نفسه، فإن كانت جميلة تزوّجها وأكل المال، وإن كانت دميمة عضلها عن التزوّج حتى تموت فيرثها.

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يحتمل الوجهين، أي: ترغبون في أن تنكحوهن لجمالهن ومالهن، أو ترغبون عن أن تنكحوهن لدمامتهن.

وقوله: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ مجرور معطوف على ﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾. وكانوا في الجاهلية إنّما يورثون الرجال الذين يقومون بالأمور دون

---

(١) النساء: ٣.

الأطفال والنساء.

والمعنى: يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين من الصبيان بأن تعطوهم حقوقهم، وفي ﴿أَن تَقُومُواْ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل في أنفسهم ومواريثهم، وتعطوا كل ذي حقّ منهم حقّه، صغيراً كان أو كبيراً، ذكراً كان أو أنثى.

﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ من عدل أو برّ يعلمه الله ولا يضيع عنده أجره.

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾

﴿خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ أي: توقعت منه ذلك، وهو أن يمنعها نفسه ومودته ونفقته ويؤذيها بسبّ أو ضرب.

﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بأن يعرض عنها ويقلّ مجالستها ومؤانستها.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن﴾ يتصالحا، أي: يصطلحا ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ بأن تترك المرأة له يومها، أو تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة تستعطفه بذلك، أو تهب له بعض المهر.

﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة، أو من النشوز والإعراض وسوء العشرة، أو الصلح خير من الخصومة في كل شيء. وهذه الجملة اعتراض.

وكذا قوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ أي: جعل الشح حاضراً لها لا يغيب عنها أبداً إذ هي مطبوعة عليه. والغرض: إنّ المرأة لا تسمح بقسمتها، والرجل لا يسمح بأن يمسكها إذا أحبّ غيرها ولم يحبّها.

﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾ بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن، وتصبروا على

ذلك ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وهو يثيبكم عليه.

وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

ومحال أن ﴿تَسۡتَطِيعُوٓاْ﴾ العدل ﴿بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ والتسوية حتى لا يقع ميل البتة في المحبّة والمودة بالقلب ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ﴾ على ذلك، وعن النبي ﷺ: ((أنّه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك))[١] يعني المحبّة. وقيل: إنّ العدل بينهن صعب، وهو أن يسوّي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والمؤانسة وغير ذلك مما لا يحصى، فهو كالخارج عن حد الاستطاعة، هذا إذا كن محبوبات كلهن، فكيف إذا مال القلب مع بعضهن!.

﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾ فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور، فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها.

﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾ وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلّقة، ويروى: إنّ علياً عليه السلام كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الأخرى[٢].

﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ في القسمة والتسوية بين الأزواج ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الله في أمرهن.

---

(١) سنن الترمذي ج٢: ٣٠٤، التبيان ج٣: ٣٤٩ باختلاف يسير.

(٢) التبيان ج٣: ٣٥٠.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفر لكم ما مضى منكم من الحيف في ذلك، ويرحمكم بترك المؤاخذة عليه.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه.

﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ أي: يرزقه الله زوجاً خيراً من زوجه وعيشاً أهنأ من عيشه. والسعة: الغنى والمقدرة، والواسع: الغني المقتدر.

وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾

تعلّق قوله: ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ بـ﴿وَصَّيْنَا﴾ أو بـ﴿أُوتُوا۟﴾، و﴿إِيَّاكُمْ﴾ عطف على ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ اسم للجنس يتناول الكتب السماوية.

﴿أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: بأن اتقوا الله. والمعنى: وصّيناهم ووصّيناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟﴾ [فإنّ لله][١]. والمعنى: إنّ لله الخلق كله وهو خالقهم والمنعم عليهم بصنوف النعم، فاستديموا نعمه باتقاء معاصيه، ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة ووصّيناكم أن اتقوا الله، يعني: إنّها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده، لأنّ بالتقوى تنال النجاة والسعادة.

﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ﴾ في سماواته وأرضه من يوحّده ويعبده.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ مع ذلك ﴿غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعن عبادتهم جميعاً.

﴿حَمِيدًا﴾ مستحقّاً لأن يحمد لكثرة نعمه.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

وكرر قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تقريراً لما هو موجب تقواه ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

﴿إِن يَشَأْ﴾ الله يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم.

﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ ويوجد خلقاً آخرين غيركم أو إنشاء آخرين مكانكم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ على الإعدام والإيجاد ﴿قَدِيرًا﴾ لا يمتنع عليه شيء أراده، وقيل: هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله من العرب[1]، يعني: إن يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالون رسول الله ﷺ، وروي: أنّها لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ بيده على ظهر سلمان[2] وقال: ((إنّهم قوم هذا))[3] يعني: أبناء فارس.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بجهاده ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: الغنيمة.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ فماله يطلب أحدهما دون الآخر، والذي يطلبه أخسّهما، لأنّ الغنيمة في جنب ثواب الآخرة كلاشيء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ

---

(١) التبيان ج٣: ٣٥٢.

(٢) أبو عبد الله سلمان الفارسي، الصحابي الجليل المشهور، كان أول مشاهده الخندق وهو الذي أشار بحفره، ولم يفته بعد ذلك مشهد مع النبي ﷺ، توفي في آخر زمن عثمان، وقيل في آخر زمن عمر. ينظر: الاستيعاب ج ٢: ٥٦، معجم رجال الحديث ج٨: ١٨٧.

(٣) تفسير الطبري ج٥: ٢٠٥.

أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾

﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمركم بإقامتها ﴿وَلَوۡ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ وهي الإقرار، لأنّه في معنى الشهادة عليها ﴿أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ أو على آبائكم وأقاربكم.

﴿إِن يَكُنۡ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا﴾ فلا تمتنعوا من الشهادة عليه لغناه ﴿أَوۡ فَقِيرٗا﴾ فلا تمتنعوا منها ترحماً عليه ﴿فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾ بالغني والفقير، أي: بالنظر إليهما وإرادة مصلحتهما، ولولا أنّ الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها.

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ كراهة ﴿أَن تَعۡدِلُواْ﴾ بين الناس، أو إرادة أن تعدلوا عن الحقّ.

﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ﴾ ألسنتكم عن شهادة الحقّ أو حكومة العدل ﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها. وقرئ: وإن تَلُوا بمعنى: وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ بأعمالكم وبمجازاتكم عليها ﴿خَبِيرٗا﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي
نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ
ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ
كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا

﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ ۝١٣٧

هو خطاب للمسلمين.

﴿ءَامِنُواْ﴾ أي: اثبتوا على الإيمان ودوموا عليه، [﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ هو القرآن][1].

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾ المراد به جنس الكتب المنزلة على الأنبياء. وقرئ: (نزّل) و(أنزل) على البناء للفاعل.

وقيل: الخطاب لأهل الكتاب[2] لأنّهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض، أي: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمّد والقرآن وبكل كتاب أنزل قبله. وقيل: هو خطاب للمنافقين[3] يريد: يا أيّها الذين آمنوا نفاقاً آمنوا إخلاصاً. وإنّما قيل: نزّل ـ بالتشديد ـ للقرآن، لأنّه نزل مفرقاً منجّماً في نيف وعشرين سنة بخلاف الكتب قبله.

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ ... الآية﴾ أي: ومن يكفر بشيء من ذلك ﴿فَقَدۡ ضَلَّ﴾ لأنّ الكفر بالبعض كفر بالكل، ألا ترى كيف قدّم الإيمان بالجميع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بهما بكفرهم بمحمّد ﷺ ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ بعيسى والإنجيل يعني: النصارى ﴿ثُمَّ

---

(١) ساقطة من أ، ب، ط.

(٢) عن الضحاك وغيره. الدر المنثور ج٢: ٢٣٤.

(٣) عن مجاهد. معالم التنزيل ج١: ٢٦٠.

﴿كَفَرُواْ﴾ بهما بكفرهم بمحمّد ﷺ ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ بكفرهم بالقرآن.

وقيل: هم طائفة من أهل الكتاب أرادوا تشكيك المسلمين بإظهار الإيمان به، ثم بإظهار الكفر به كما تقدّم ذكرهم عند قوله: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١]، وقيل: هم المنافقون أظهروا الإيمان بمحمّد ﷺ ثم الكفر به ثم الإيمان به ثم الكفر به ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم على الكفر حتى ماتوا عليه[٢]، وعن ابن عباس: (دخل في هذه الآية كل منافق كان في عهد النبي ﷺ)[٣].

﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ نفي للغفران والهداية التي هي اللطف، واللام للمبالغة في النفي.

﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ وضع ﴿بَشِّرِ﴾ مكان (أخبر) تهكّماً بهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ﴾ نصب على الذم، أو رفع بمعنى: أريد الذين، أو هم الذين. وكانوا يوالون الكفرة ويمايلونهم يطلبون ﴿عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ﴾ والغلبة باتخاذهم إيّاهم ﴿أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ﴾ والغلبة ﴿لِلَّهِ﴾ ولأوليائه يعزّ من يشاء، ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين.

وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا
وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا
مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

---

(١) آل عمران: ٧٢.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٥: ٢١٠.

(٣) الكشف والبيان ج٣: ٤٠٢.

﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ هي ﴿أَنْ﴾ المخففة من الثقيلة، والمعنى: أنّه إذا سمعتم، و ﴿أَنْ﴾ مع ما في حيّزها في موضع الرفع بـ﴿نَزَّلَ﴾، أو في موضع النصب بـ(نزل) فيمن قرأ به. والمراد به ما نزّل عليهم بمكة من قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[١]، وذلك أنّ المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن فيستهزئون به، فنهى المسلمون عن القعود ﴿مَعَهُمْ﴾، وكان اليهود في المدينة يفعلون مثل فعلهم فنهوا أن يجلسوا معهم، وكان المنافقون يجالسونهم فقيل لهم: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

والضمير في قوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ يرجع إلى من دلّ عليه قوله: ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾، كأنّه قال: فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها. وفي هذا دلالة على تحريم مجالسة الفساق وأهل البدع من أي جنس كانوا.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ
وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ
وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ﴾، أو صفة لـ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾، أو نصب على الذم. ومعناه: ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من فتح أو إخفاق.

﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ فأسهموا لنا في الغنيمة.

---

(١) الأنعام: ٦٨.

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ألم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ﴾ المسلمين بأن ثبّطناهم عنكم، وتوانينا في مظاهرتهم عليكم، وأطلعناكم على أسرارهم، وأفضينا إليكم بأخبارهم، فاعرفوا لنا هذا الحقّ. وسمّى ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً، تعظيماً لشأن المسلمين وتحقيراً لحظ الكافرين.

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين المنافقين أيّها المؤمنون ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالحقّ فيدخلكم الجنّة ويدخلهم النار.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: يفعلون فعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر.

﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ من خادعته فخدعته، أي: فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع، حيث عصم دماءهم وأموالهم في الدنيا، وأعدّ لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة.

﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ أي: متثاقلين لا عن رغبة.

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة.

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: لا يصلّون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأنّهم لا يصلّون قط غائبين عن عيون الناس، وما يجاهرون به قليل. أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتحميد إلا ذكراً قليلاً في الندرة.

والمراءاة: مفاعلة من الرؤية، فكأنّ المرائي يري الناس عمله وهم يرونه استحسانه، ويجوز أن يكون بمعنى التفعيل كما قيل: نعمة وناعمة، وقد قرئ في الشواذ: يراؤّن مثل يرعّون أي: يبصّرونهم أعمالهم.

﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾ إما حال عن واو ﴿يُرَآءُونَ﴾ نحو قوله: ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ﴾ أي: يراؤون الناس غير ذاكرين مذبذبين، أو منصوب على الذم يعني: ذبذبهم الشيطان ﴿بَيۡنَ﴾ الكفر والإيمان فهم مترددون بينهما متحيّرون. وحقيقة المذبذب: الذي يذبّ عن كلا الجانبين، أي: يذاد ويدفع فلا يقر في حال واحدة كما قيل: فلان يرمى به الرجوان[١]. وقراءة ابن عباس: مذبذِبين ـ بكسر الذال ـ معناه: يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الكفر والإيمان.

﴿لَآ﴾ منسوبين ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فيكونوا مؤمنين ﴿وَلَآ﴾ منسوبين ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فيكونوا كافرين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦﴾

أي: لا تتشبّهوا بالمنافقين في اتخاذهم الكافرين أولياء.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ حجّة بيّنة، يعني: إنّ موالاة الكافرين بيّنة على النفاق.

﴿ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ﴾ الطبق الذي في قعر جهنم، والنار سبع دركات. وقرئ بسكون الراء.

---

(١) أي طرح في المهالك، والرجوان: حافتا البئر. الصحاح: مادة (رجا)

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ نيّاتهم ﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ وثقوا به كما يثق المؤمنون المخلصون.

﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ أي: لا يبتغون بطاعتهم إلا وجه الله.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين.

﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ فيشاركونهم فيه. وسوف كلمة ترجية وإطماع، وهي من الله سبحانه إيجاب، لأنّه سبحانه أكرم الأكرمين ووعد الكريم إنجاز.

مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ
إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ
تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾

﴿مَا﴾ يصنع ﴿ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾ أيتشفى به من الغيظ، أم يستجلب به نفعاً، أو يستدفع به ضرراً؟! لا بل هو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، فإن قمتم بشكر نعمته ﴿وَءَامَنتُمۡ﴾ به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾ يشكر القليل من أعمالكم، ويعلم ما تستحقّونه من الجزاء.

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ إلا جهر من ظلم، استثنى من الجهر الذي لا يحبّه الله جهر المظلوم، وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء، وقيل: هو أن يُبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ينتصر منه[1].

---

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج٦: ٣.

ثم حثّ سبحانه على العفو، وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار، حثاً على الأحبّ إليه والأفضل عنده. وذكر إبداء الخير وإخفاءه تسبيباً للعفو، ثم عطف العفو عليهما تنبيهاً على لطف منزلته عند الله، ويدلّ على ما ذكرنا قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي: يعفو مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ
بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ
وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ
أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾

جعل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ آمنوا بالله وكفروا برسله، أو آمنوا بالله وكفروا ببعض رسله؛ كافرين بالله وبرسله جميعاً.

ومعنى اتخاذهم ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً وسطاً، ولا واسطة بين الكفر والإيمان، ولذلك قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾ أي: هم الكاملون في الكفر، و﴿حَقّٗا﴾ تأكيد لمضمون الجملة أو صفة لمصدر الكافرين، أي: كفراً حقّاً لا شك فيه.

وجاز دخول ﴿بَيۡنَ﴾ على ﴿أَحَدٖ﴾، لأنّه عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما، تقول: ما رأيت أحداً فتقصد العموم، والمعنى: ولم يفرّقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة.

﴿سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ معناه: إنّ ذلك كائن لا محالة وإن تأخر،

والغرض توكيد الوعد لا كونه متأخراً.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ
سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ
فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى
ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

روي: أنّ كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إن كنت نبياً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة جملة فنزلت[1]. وقيل: سألوا كتاباً يعاينونه حين ينزل، وإنّما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت[2]، قال الحسن: (لو سألوه لكي يتبيّنوا الحقّ لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية)[3].

﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ﴾ جواب لشرط مقدّر، معناه: إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى ﴿أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾، وإنّما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم لكونهم راضين بسؤالهم.

﴿جَهْرَةً﴾ عياناً. والمعنى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ﴾ نره ﴿جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ بسبب ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وهو سؤالهم الرؤية.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ أي: تسلطاً واستيلاءً ظاهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه.

---

(١) أسباب النزول: ١٢٨.

(٢) عن الجبائي. التبيان ج٣: ٣٧٦.

(٣) الكشاف ج١: ٥٨٤.

﴿بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوا.

﴿وَقُلۡنَا لَهُمُ﴾ والطور فوقهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾، و﴿لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ وأخذنا منهم الميثاق على ذلك والعهد، ثم نقضوه من بعد. وقرئ: لا تَعْدُّوا ـ بتشديد الدال وسكون العين ـ والأصل: لا تعتدوا فأدغم التاء في الدال وجمع بين الساكنين كما جمع في نحو: أصيم ودويبة.

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾

أي: فبنقضهم، و﴿مَا﴾ مزيدة للتوكيد، والباء يتعلّق بمحذوف. والمعنى: فبما نقضهم وكفرهم وقتلهم وقولهم، فعلنا بهم ما فعلنا. ويجوز أن يتعلّق بقوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فيما بعد، على أنّ قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بدلّ من قوله: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾.

﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ أي: في أكنّة لا يصل إليها شيء من الموعظة والذكر، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ أي: خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها.

﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ يجوز أن يكون عطفاً على ما يليه من قوله: ﴿بِكُفۡرِهِمۡ﴾. والوجه أن يعطف على ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾، ويكون

قوله: ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ كلاماً تابعاً لقوله: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ على وجه الاستطراد. والبهتان العظيم هو التزنية.

وروي: أنّ جماعة من اليهود سبّوا عيسى ﵇ وسبّوا أمه فقال: ((اللهم أنت ربّي وبكلمتك خلقتني، اللهم العن من سبّني وسبّ والدتي)) فمسخ الله من سبّهما قردة وخنازير. فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنّه يرفعه إلى السماء ويطهّره من صحبة اليهود، وقال لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب فيكون معي في درجتي؟ فقال له شاب منهم: يا نبي الله أنا، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وهم يظنون أنّه عيسى[1].

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾ أسند ﴿شُبِّهَ﴾ إلى الجار والمجرور، كقولك: خيّل إليه، كأنّه قال: ولكن وقع لهم التشبيه، أو أسند إلى ضمير المقتول الذي يدلّ عليه قوله: ﴿إِنَّا قَتَلۡنَا﴾ كأنّه قيل: ولكن شبّه لهم من قتلوه.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ في عيسى أنّه قتل أو لم يقتل، وقيل: اختلفوا في أنّه إله أو ابن إله.

﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم﴾ بعيسى ﴿مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ استثناء منقطع، لأنّ اتباع الظن ليس من جنس العلم، أي: ولكنهم يتبعون الظن.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ قتلاً ﴿يَقِينَۢا﴾، أو ما قتلوه متيقنين كما ادّعوا ذلك في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ﴾، وقيل: هو من قولهم: قتلت الشيء علماً.

وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ج٣: ٤٠٩-٤١٠.

﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾

﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ جملة قسمية وقعت صفة لمحذوف، والتقدير: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾، ونحوه: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[١]، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٢]. والمعنى: وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ بعيسى وبأنّه عبد الله ورسوله، حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف، وقيل: الضميران لعيسى[٣]، أي: وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله، فإنّه ينزل من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أهل ملة إلا يؤمنون به، ويصلّي خلف المهدي من آل محمّد وتقع الأمنة حتى ترتع الذئاب مع الغنم والأسود مع البقر. وقيل: الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يرجع إلى الله تعالى، وقيل: يرجع إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: ((حرام على روح امرئ أن تفارق جسدها حتى ترى محمّداً وعليّاً بحيث تقرّ عينها أو تسخن))[٥].

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي: فبأيّ ظلم عظيم! والمعنى: ما ﴿حَرَّمْنَا

---

(١) الصافات: ١٦٤.

(٢) مريم: ٧١.

(٣) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٦: ١٤.

(٤) عن عكرمة. تفسير الطبري ج٦: ١٦.

(٥) أمالي الشيخ الطوسي ج٢: ٢٤١، و(تسخن) عكس (قرّت)، يقال: أسخن الله عينه أي أبكاه. الصحاح مادة: سخن.

عَلَيۡهِمۡ﴾ الطيّبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه، وهو ما عدّد لهم من الكفر والكبائر الموبقة. والطيّبات التي حرّمت عليهم عقوبة على ظلمهم ما ذكر في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ... الآية﴾[1]، كلما أذنبوا ذنباً حرّم عليهم بعض الطيبات.

﴿وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ أي: ناساً كثيراً، أو صداً كثيراً.

﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالرشوة التي كانوا يأخذونها من عوامّهم في تحريف الكتاب.

لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ
أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ الثابتون فيه المتقنون له، وهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وأضرابه من علماء اليهود.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ من المهاجرين والأنصار.

﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وقيل: هو عطف على ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ أي: يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء.

إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ
إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ
وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ
زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ
نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا

(١) الأنعام: ١٤٦.

مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

هذا جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزّل عليهم كتاباً من السماء، واحتجاج عليهم بأنّ إرساله كإرسال من تقدّمه من الأنبياء، وأنّ المعجزات قد ظهرت على يده كما كانت تظهر على أيديهم. وقرئ: زُبُوراً ـ بضم الزاي ـ جمع زبر وهو الكتاب.

ونصب ﴿ رُسُلًا ﴾ بمضمر في معنى ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ وهو أرسلنا.

﴿قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ ﴾ بمكة في الأنعام وغيرها، وعرّفناك شأنهم وأخبارهم.

﴿وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَ ﴾ فيه دلّالة على أنّ له سبحانه رسلاً لم يذكرهم في القرآن.

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ بلا واسطة إبانة له بذلك.

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ نصب على المدح، ويجوز أن يكون منصوباً على التكرير.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ لأنّ في إرسالهم إزاحة للعلة وإتماماً لإلزام الحجّة، لئلا يقول الناس: لولا أرسلت إلينا رسولاً يوصل إلى المحجّة، وينبّه على الحجّة، ويوقظ من سنة الغفلة.

لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

﴿وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٦٩﴾

لما سألوا أنزال الكتاب من السماء، واحتج سبحانه عليهم بقوله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، قال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ على معنى: أنّهم لا يشهدون لكن الله يشهد، وقيل: لما نزلت ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ قالوا: ما نشهد لك بهذا فنزل ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾[1].

ومعنى شهادة الله ﴿بِمَآ أَنزَلَ﴾ إليه: إثباته لصحته بالمعجزات، كما تثبت الدعاوى بالبيّنات؛ وشهادة الملائكة: شهادتهم بأنّه حقّ وصدق.

ومعنى قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أنزله ملتبساً بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره، وهو تأليفه على أسلوب ونظم أعجز كل بليغ، وقيل: أنزله وهو عالم بأنّك أهل لإنزاله إليك ومبلّغ له ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ وإن لم يشهد غيره.

﴿كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾ جمعوا بين الكفر والظلم، أو كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين.

﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم، أو لا يهديهم يوم القيامة إلا طريقها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧٠ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾

---

(١) تفسير السمرقندي ج١: ٣٨٣.

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾

﴿فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ ومثله: ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾، انتصب بمضمر، وهو أنّه لما دعاهم إلى الإيمان، وإلى الانتهاء عن التثليث، علم أنّه يحملهم على أمر فقال: ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ اقصدوا أو ائتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان والتوحيد.

﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ غلت اليهود في المسيح حتى قالت: ولد لغير رشدة، وغلت النصارى فيه حيث جعلوه إلهاً.

﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ وهو تنزيه عن الشريك والولد.

﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ قيل لعيسى: كلمة الله وكلمة منه، لأنّه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة، وقيل له: روح الله وروح منه كذلك، لأنّه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح، كالنطفة المنفصلة من الحي، وإنّما أنشئ إنشاءً من عند الله خالصاً.

﴿أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ أوصلها إليها وحصلها فيها.

﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، فإن صح عنهم قولهم: هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم فتقديره: الله ثلاثة، وإلا فتقديره: الآلهة ثلاثة.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ أي: أُسبّحه تسبيحاً من أن يكون له ولد.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بيان لتنزهه مما نسب إليه. المعنى: إنّ كل

ما فيهما خلقه وملكه، فكيف يكون بعض خلقه وملكه جزء منه!.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ يكل الخلق إليه أمورهم، فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه.

لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

أي: ﴿لَن﴾ يأنف ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ ولن يذهب بنفسه عزّة، من نكفت الدمع: إذا نحيته عن خدّك بإصبعك، من ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ يأنفون، وهو عطف على ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ أي: ولا كل واحد من الملائكة يأنف من أن يكون عبداً لله، أو ولا الملائكة المقرّبون يأنفون من أن يكونوا عباداً لله فحذف لدلالة قوله: ﴿عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ عليه إيجازاً.

﴿وَمَن﴾ يأنف ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ ويترك الإذعان له.

﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: فسيحشر المستنكف والمستكبر والمقرّ بالعبودية ﴿جَمِيعًا﴾ إلى موضع الجزاء، فيجازيهم جميعاً على حسب أحوالهم.

والآية الأخرى ظاهرة المعنى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى

﴿رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾

البرهان والنور المبين هو القرآن، أو أريد بالبرهان الدين الحقّ أو رسول الله، وبالنور المبين ما يبيّنه من الكتاب المعجز.

﴿فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ﴾ أي: في ثواب مستحقّ وتفضّل.

﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ﴾ يوفّقهم لإصابة فضله الذي يتفضّل به على أوليائه، وسلوك طريق من أنعم عليه من أصفيائه، واتباع دينهم وهو الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله سبحانه منهجاً لعباده.

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾

قالوا: إنّه آخر ما نزل من أحكام الدين.

كان جابر بن عبد الله مريضاً فعاده رسول الله ﷺ، فقال: (يا رسول الله، إنّ لي كلالة فكيف أصنع في مالي؟) فنزلت[١].

﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ مرفوع بفعل مضمر يفسّره الظاهر، و﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ جملة منصوبة الموضع على الحال، أي: هلك غير ذي ولد ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ﴾ يعني: الأخت للأب والأم، أو للأب.

﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞ﴾ يعني: إنّها إذا كانت

---

(١) ينظر: أسباب النزول: ١٢٩.

الميتة فالأخ يرثها المال كله إذا كانت غير ذات ولد ولا والد، وشرط انتفاء الوالد بيّنه النبي صلى الله عليه وآله[١] وفيه إجماع.

﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ الأصل: فإن كان من يرث بالأخوّة اثنتين ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾.

﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ﴾ وإن كان من يرث بالأخوّة أخوة ذكوراً وإناثاً.

﴿فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ فالمراد بالأخوة: الأخوة والأخوات تغليباً لحكم الذكور.

وإنّما قيل: ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ و﴿وَإِن كَانُوٓاْ﴾ كما قيل: (من كانت أمك)، فكما أنّث ضمير (من) لمكان تأنيث الخبر كذلك ثنّي وجمع ضمير من يرث في ﴿كَانَتَا﴾ و﴿كَانُوٓاْ﴾ لمكان تثنية الخبر وجمعه.

و﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ مفعول له، ومعناه: كراهة أن تضلوا، أي: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ جميع أحكام دينكم لئلا تضلوا.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ من أمور معاشكم ومعادكم فيجزيكم بها على ما تقتضيه المصلحة وتوجبه الحكمة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٤: ٣٣٦، تهذيب الأحكام ج٩: ٣١٩.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدّمة الناشر ٥
مقدّمة المحقق ٧
منهج التحقيق ١٨
نماذج من المخطوطات ٢١
مقدّمة المؤلف ٥
سورة فاتحة الكتاب ٩
سورة البقرة ١٨
سورة آل عمران ٢٣٨
سورة النساء ٣٤٧
فهرس المحتويات ٤٥٣